المملكة المغربية



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

التفسير

من خلال المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية

السنة الثانية من التعليم الثانوي العتيق

كتاب التلميذ والتلميذة

عنوان الكتاب :

التفسير من خلال المحرر الوجيز
في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية

السنة الثانية من التعليم الثانوي العتيق

الناشر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

رقم الإيداع القانوني : 978-9954-726-15-0

ردمك : 2018MO1242

طبعة 1439هـ / 2018م

الإخراج الفني والطباعة



دار أبي رقراق للطباعة والنشر

10 شارع العلويين رقم 3 حسان الرباط

الهاتف : 83 75 20 0537 الفاكس : 89 75 20 0537





مــقـدمــة

أيها التلميذ، أيتها التلميذة:

يسعدنا أن نقدم بين أيديكما كتاب "التفسير للسنة الثانية من التعليم الثانوي العتيق" المخصص لتفسير سورة الإسراء، اعتمادا على تفسير القاضي أبي محمد ابن عطية المسمى "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، مع الاستفادة من أمهات التفسير المعتمدة، بأسلوب يقرب منكما معنى الآيات وييسر لكما فهمها.

وتتضمن هذه السورة أصول العقيدة التي تقرر توحيد الله تعالى، وتقرير النبوة والرسالة للرسول ﷺ بما احتوت عليه من معجزات وآيات بينات، إضافة إلى إثبات اليوم الآخر وما يرتبط به من أحداث، شأنها في ذلك شأن السور المكية.

راعينا في تأليف هذا الكتاب، خصوصية التعليم العتيق، مع الانفتاح على المستجدات التربوية، التي تجعل منكما محور العملية التربوية، بإشراككما في بناء الدرس وإنجاز أنشطة متنوعة تروم تحقيق أهدافه وتحفزكما على التعلم الذاتي.

وسلكنا في إعداد هذا الكتاب منهجا يقرب منكما مقاصد القرآن الكريم وفوائده من خلال ما اشتملت عليه سورة الإسراء من دروس وعبر ترسخ مبادئ العقيدة الصحيحة، والأخلاق الفاضلة، والقيم النبيلة التي على المسلم أن يتحلى بها في حياته وفي علاقته مع الآخرين أيا كان جنسهم أو ملتهم.

نسأل الله العلي القدير أن يكون هذا الكتاب عونا لكما في مدارستكما لكتاب الله تعالى.

والله المـوفق للصواب

منهجية التأليف

راعينا في تأليف هذا الكتاب المنهج الآتي:

عرضنا المادة العلمية لكتاب ابن عطية رحمه الله "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، بأسلوب منظم يراعي مستوى المتعلمين والمتعلمات بهذا المستوى؛ مع استحضار أهم المقاصد والفوائد التربوية المستنتجة من الآيات.

كما انتقينا نصوص استثمار داعمة، تعمق مكتسبات المتعلمين والمتعلمات وتغني معارفهم، بما له صلة بمضامين الدرس ومحاوره.

وقد أثبتنا آيات القرآن الكريم برواية ورش عن نافع بخط المصحف المحمدي الصادر عن مؤسسة محمد السادس لنشر المصحف الشريف، التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، ووثقناها بذكر السورة ورقم الآية، اعتمادا على المصحف المذكور.

كما وثقنا الأحاديث النبوية بذكر مصدر الحديث والكتاب والباب؛ إضافة إلى أقوال العلماء ونقولهم، غير تلك الواردة في الكتاب الأصل، بذكر المصدر أو المرجع والصفحة والجزء إن وجد، مع إثبات باقي المعلومات المتعلقة بالكتاب في فهرس المصادر والمراجع.

ومن أجل ربط المتعلمين والمتعلمات بالأعلام الذين لهم علاقة بالتفسير، ترجمنا لهم بذكر اسم العلم ونسبه وبعض مؤلفاته، وتاريخ وفاته.

وقد ضبطنا الأحاديث النبوية ونصوص الاستثمار بالشكل التام، سيرا على نفس المنهج المعتمد في المستويات السابقة، تذليلا للصعوبات وتجنبا للخطإ فيها.

كيف أستعمل كتابي

الدرس 1

سورة الإسراء

﴿الآية: 1﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف معجزة الإسراء بالنبي ﷺ وأهم أحداثها الثابتة.

2- أن أدرك سنة الله في إرسال الرسل بالمعجزات الدالة على صدقهم.

3- أن أقوي إيماني باستحضار كمال قدرة الله تعالى، وبصدق نبوة سيدنا محمد ﷺ.

أهداف الدرس وقدراته التي تسعى أنشطة الدرس إلى تحقيقها وتنميتها

تمهيد

سورة الإسراء مكية إلا آيات منها، وقد روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال فيها وفي الكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: "إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي" [صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن] أي: مما تعلمته وحفظته قديما.

وقد تحدثت الآية الأولى من هذه السورة عن معجزة الإسراء التي هي دليل باهر على قدرة الله عز وجل، وعلى التكريم الإلهي لنبينا محمد ﷺ.

فما هي معجزة الإسراء؟ وما دلالات هذه المعجزة الخالدة بنص القرآن؟

مدخل يتضمن العناصر الكبرى التي يعالجها الدرس

الآيات

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1)﴾ [سورة الإسراء: 1]

آيات قرآنية أقرأها مطبقا قواعد التجويد، وأستوعب معانيها لتوظيفها في فهم الدرس وبناء تعلماتي

11

الفهم

الشرح:

سُبْحَانَ : تنزيها لله من كل سوء.

أَسْرَىٰ : سار في الليل.

بَارَكْنَا حَوْلَهُ : جعلنا حوله البركة.

استخلاص المضامين:

1- ما هي معجزة الإسراء؟

2- ما هي المعاني المضمنة في الآية الكريمة؟

الشرح : مفردات لغوية تساعدني على فهم النصوص وإثراء رصيدي اللغوي

استخلاص مضامين الآيات: أسئلة تساعدني على استخراج مضامين الآيات موضوع الدرس

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: التعريف بمعجزة الإسراء:

ذكر ابن عطية رحمه الله أن الحديث عن الإسراء وقع في جميع مصنفات الحديث، وروي عن الصحابة في كل أقطار الإسلام، فهو من المتواتر بهذا الوجه. وذكر أبو بكر النقاش رحمه الله من رواة هذه المعجزة الخالدة عشرين صحابيا.

وقد روى جمهور الصحابة أن الإسراء كان بشخصه ﷺ، وأنه ركب البراق من مكة ووصل إلى بيت المقدس وصلى فيه. وروى حذيفة وغيره أن رسول الله ﷺ لم ينزل عن البراق في بيت المقدس ولا دخله. قال حذيفة: ولو صلى فيه لكتبت عليكم الصلاة فيه، وأنه ركب البراق بمكة ولم ينزل عنه حتى انصرف إلى بيته، إلا في صعوده إلى السماء.

وقالت عائشة ومعاوية رضي الله عنهما: إنما أسري بنفس رسول الله ﷺ لا بشخصه، ولم يفارق شخصه مضجعه، وأنها كانت رؤيا رأى فيها الحقائق من ربه عز وجل، وجوزه الحسن

12

عنصر يتضمن تفسير الآيات وتوضيح معانيها بلغة سهلة ميسرة تساعد على استخلاص الدروس والمقاصد المستفادة منها لتطبيقها في الحياة اليومية

التقويـم

1 – ما سبب عقاب الله لبني إسرائيل في الدنيا؟

2 – لماذا وقع التعبير بالماضي في قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا﴾ مع أن المقام مقام المضارع؟

3 – ماذا يمكن أن نستنتج من قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ ؟

4 – ما هي المقاصد التربوية للقصة الواردة في الآيات ؟

الاستثمار

أرجع إلى تفسير ابن عطية رحمه الله، ثم أستخلص منه أقوال العلماء في قول الله تعالى: ﴿عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [سورة الإسراء: 5].

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 9 – 12 من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

1 – أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: يَهْدِي – أَعْتَدْنَا – ءَايَتَيْنِ – فَمَحَوْنَا ءَايَةَ الَّيْلِ – فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا.

2 – أبحث عن صفات القرآن الكريم الواردة في الآيات.

3 – أوضح معنى ﴿وَجَعَلْنَا ءَايَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ مع بيان ما فيها من نكتة بلاغية.

نشاط يتضمن أسئلة تقيس مدى تحقق الأهداف المسطرة في بداية الدرس

نشاط أتدرب فيه على استثمار التعلمات المكتسبة من خلال الدرس في وضعيات جديدة

نشاط أطلع من خلاله على الدرس الموالي وأجيب عن الأسئلة التي يوجهني إليها الأستاذ

كفايات تدريس مادة التفسير
للسنة الثانية من التعليم الثانوي العتيق

يسعى هذا الكتاب إلى تمكين المتعلم (ة) من تحقيق الكفايات الآتية:

- ❖ تحصيل معاني السورة المقررة وفهم الأساليب البلاغية والنحوية وغيرها مما ورد في الآيات .
- ❖ استشعار النعم الإلهية التي امتن الله بها على الإنسان، وشكر الله على ذلك، والإخلاص له في كل الأحوال.
- ❖ الاعتبار بالقصص القرآنية وما تشتمل عليه من الدروس الإيمانية والأخلاقية.
- ❖ تنمية المشاعر الإيمانية وتقوية العلاقة بكتاب الله تعالى والامتثال لأحكامه ومضامينه.
- ❖ ترسيخ ثوابت الإسلام العقدية والشرعية والأخلاقية، من خلال التعامل مع آيات القرآن الكريم المقررة.

التوزيع الدوري والأسبوعي

الدورة	الأسبوع	الدروس
الدورة الأولى	1	تقويم تشخيصي سورة الإسراء (الآيـــة:1)
	2	سورة الإسراء (الآيات: 2-4)
	3	سورة الإسراء (الآيات: 5-8)
	4	سورة الإسراء (الآيات: 9-12)
	5	سورة الإسراء (الآيات: 13-17)
	6	سورة الإسراء (الآيات: 18-22)
	7	سورة الإسراء (الآيات: 23-25)
	8	فرض كتابي رقم:1 إنجاز وتصحيح ودعم وتثبيت
	9	سورة الإسراء (الآيات: 26-30)
	10	سورة الإسراء (الآيات:31-33)
	11	سورة الإسراء (الآيات:34-36)
	12	سورة الإسراء (الآيات:37 40)
	13	سورة الإسراء (الآيات:41 44)
	14	سورة الإسراء (الآيات:45-48)
	15	سورة الإسراء (الآيات:49-55)
	16	فرض كتابي رقم 2
	17	تصحيح الفرض الكتابي رقم 2 - دعم وتثبيت

الدورة	الأسبوع	الدروس
الدورة الثانية	18	سورة الإسراء (الآيات: 56-60)
	19	سورة الإسراء (الآيات: 61-65)
	20	سورة الإسراء (الآيات: 66-69)
	21	سورة الإسراء (الآيات: 70-72)
	22	سورة الإسراء (الآيات: 73-77)
	23	سورة الإسراء (الآيات 78-81)
	24	فرض كتابي رقم:1 إنجاز وتصحيح ودعم وتثبيت
	25	سورة الإسراء (الآيات: 82-85)
	26	سورة الإسراء (الآيات: 86-89)
	27	سورة الإسراء (الآيات: 90-93)
	28	سورة الإسراء (الآيات: 94 98)
	29	سورة الإسراء (الآيتان: 99-100)
	30	سورة الإسراء (الآيات: 101-104)
	31	سورة الإسراء (الآيات: 105-108)
	32	سورة الإسراء (الآيتان: 109-110)
	33	فرض كتابي رقم 2
	34	تصحيح الفرض الكتابي رقم 2 - دعم وتثبيت

الدرس 1

سورة الإسراء

﴿الآية: 1﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف معجزة الإسراء بالنبي ﷺ وأهم أحداثها الثابتة.

2- أن أدرك سنة الله في إرسال الرسل بالمعجزات الدالة على صدقهم.

3- أن أقوي إيماني باستحضار كمال قدرة الله تعالى، وبصدق نبوة سيدنا محمد ﷺ.

تمهيد

سورة الإسراء مكية إلا آيات منها، وقد روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال فيها وفي الكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: "إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي" [صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن] أي: مما تعلمته وحفظته قديما.

وقد تحدثت الآية الأولى من هذه السورة عن معجزة الإسراء التي هي دليل باهر على قدرة الله عز وجل، وعلى التكريم الإلهي لنبينا محمد ﷺ.

فما هي معجزة الإسراء؟ وما دلالات هذه المعجزة الخالدة بنص القرآن؟

الآيات

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1)﴾

[سورة الإسراء: 1]

الفهم

الشرح :

سُبْحَانَ : تنزيها لله من كل سوء.

أَسْرَىٰ : سار في الليل.

بَارَكْنَا حَوْلَهُ : جعلنا حوله البركة.

استخلاص المضامين:

1- ما هي معجزة الإسراء؟

2- ما هي المعاني المضمنة في الآية الكريمة؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: التعريف بمعجزة الإسراء:

ذكر ابن عطية رحمه الله أن الحديث عن الإسراء وقع في جميع مصنفات الحديث، وروي عن الصحابة في كل أقطار الإسلام، فهو من المتواتر بهذا الوجه. وذكر أبو بكر النقاش رحمه الله من رواة هذه المعجزة الخالدة عشرين صحابيا.

وقد روى جمهور الصحابة أن الإسراء كان بشخصه ﷺ، وأنه ركب البراق من مكة ووصل إلى بيت المقدس وصلى فيه. وروى حذيفة وغيره أن رسول الله ﷺ لم ينزل عن البراق في بيت المقدس ولا دخله. قال حذيفة: ولو صلى فيه لكتبت عليكم الصلاة فيه، وأنه ركب البراق بمكة ولم ينزل عنه حتى انصرف إلى بيته، إلا في صعوده إلى السماء.

وقالت عائشة ومعاوية رضي الله عنهما: إنما أسري بنفس رسول الله ﷺ لا بشخصه، ولم يفارق شخصه مضجعه، وأنها كانت رؤيا رأى فيها الحقائق من ربه عز وجل، وجوزه الحسن

البصري وابن إسحاق. وركوب البراق على قول هؤلاء يكون من جملة ما رأى في النوم.

واحتج لقول عائشة بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: 60]، ويحتمل أن تكون الاية حجة للجمهور؛ لأنه يقال لرؤية العين رؤيا أيضا.

واحتج أيضا لقول عائشة رضي الله عنها بأن في بعض الأحاديث: "فاستيقظت وأنا في المسجد الحرام"، لكن هذا أيضا يحتمل أن يريد به أنه عاد من الإسراء إلى النوم في المسجد الحرام.

واعترض قول عائشة رضي الله عنها بأنها كانت صغيرة، لم تشاهد ولا حدثت عن النبي ﷺ. وأما معاوية فكان كافرا في ذلك الوقت، غير مشاهد للحال صغيرا، ولم يحدث عن النبي ﷺ.

والصحيح ما ذهب إليه الجمهور؛ لأنه لو كانت منامة ما أمكن قريشا التشنيع، ولا فضل أبو بكر بالتصديق، ولا قالت له أم هاني: "لا تحدث الناس بهذا فيكذبوك". إلى غير هذا من الدلائل.

واختلف في زمن الإسراء على أقوال كثيرة نقل منها ابن عطية رحمه الله عن مقاتل وقتادة أنه قبل الهجرة بعام. وقيل: بعام ونصف، رواه عروة عن عائشة رضي الله عنها، وكان ذلك في رجب. وقيل: في ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأول، والنبي ﷺ ابن إحدى وخمسين سنة وتسعة أشهر وثمانية وعشرين يوما. والمتحقق أن ذلك كان بعد شق الصحيفة، وقبل بيعة العقبة.

ثانيا: دلالات الآية على معجزة الإسراء:

تضمنت الآية الأولى من سورة الإسراء الحديث عن هذه المعجزة التي أكرم الله تعالى بها نبيه محمدا ﷺ. وقد افتتحت السورة بتنزيه الله جل وعلا فقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾.

فقوله: ﴿سُبْحَٰنَ﴾ مصدر غير متمكن؛ لأنه لا يجري بوجوه الإعراب ولا تدخل عليه الألف واللام، ولم يجر منه فعل، وسبح إنما معناه قال: (سبحان الله) فلم يستعمل سبح إلا إشارة إلى سبحان، ولم ينصرف لأن في آخره زائدتين، وهو معرف بالعلمية، وإضافته لا تزيده تعريفا، هذا كله مذهب سيبويه فيه. والعامل فيه على هذا المذهب الفعل الذي هو من معناه لا من لفظه، مثل قعد القرفصاء، واشتمل الصماء، فالتقدير عنده: أنزه الله تنزيها فوقع "سبحان" مكان قولك: تنزيها.

وقيل: إن ﴿سُبْحَانَ﴾ منصوب على النداء، كأنه قال: (يا سبحان)، وهذا ضعيف.

ومعنى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي ..﴾ تنزيها لله. وروى طلحة بن عبيد الله الفياض أنه قال للنبي ﷺ: "ما معنى سبحان الله؟ فقال: تنزيه الله من كل سوء".

وقوله: ﴿أَسْرَىٰ﴾: فعل متعد بالهمزة إلى مفعول محذوف تقديره: أسرى الملائكة بعبده، وهذا أفضل من أن يسند أسرى – وهو بمعنى سرى- إلى الله تعالى، إذ هو فعل يفيد الانتقال من مكان إلى مكان كمشى وجرى وأحضر وانتقل، فلا يحسن إسناد شيء من هذا إلى الله عز وجل ونحن نجد مندوحة. فإذا صرحت الشريعة بشيء من هذا النحو كقوله في الحديث " أتيته سعيا، وأتيته هرولة " حمل ذلك بالتأويل على الوجه المخلص من التشبيه بالحوادث. وأسرى في هذه الآية تخرج فصيحة كما ذكرنا، ولا تحتاج إلى تجوز قلق في مثل هذا اللفظ.

وقال قوم من المفسرين: ﴿أَسْرَىٰ﴾: فعل غير متعد، عداه هنا بحرف جر، تقول: سرى الرجل وأسرى إذ سار بالليل بمعنى واحد، لكن ابن عطية رحمه الله لم يسلم هذا لما يظهر له في اللفظ من جهة العقيدة، وهو أنه يوهم ثبوت الحيز والجهة والحركة لله عز وجل، وكل ذلك من صفات الحوادث.

وقوله تعالى: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾: هو محمد ﷺ، وعبر بذلك لما لمقام العبودية من الشرف، ولأنه أعظم صفات المخلوقين.

وقوله: ﴿لَيْلًا﴾: منصوب على الظرفية لأسرى. وتنكيره يفيد تقليل مدة الإسراء. قال فخر الدين الرازي رحمه الله: " فإن قيل: الإسراء لا يكون إلا بالليل، فما معنى ذكر الليل؟ قلنا: أراد بقوله: ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الإسراء، وأنه أسرى به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة، وذلك أن التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ". [مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي: 292/20]

وقوله: ﴿مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ اختلف في المراد بالمسجد الحرام في الآية على قولين:

القول الأول: قال أنس بن مالك: المسجد المحيط بالكعبة نفسها، ورجحه الطبري رحمه الله وقال: "هو الذي يعرف إذا ذكر هذا الاسم"، ويدل على ذلك ما روي عن مالك بن صعصعة رضي

الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: "بينما أنا في الحطيم، وربما قال: في الحجر، مضطجعا إذ أتاني آت.... " [صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج].

القول الثاني: قالت فرقة: المسجد الحرام مكة كلها، واستندوا إلى قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [الفتح: 27] وعن سفيان الثوري أنه قال: أسري بالنبي عليه السلام من شعب أبي طالب. وروي عن أم هاني أنها قالت: كان رسول الله ﷺ ليلة الإسراء في بيتي.

وقوله سبحانه: ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾، أي: مسجد بيت المقدس، وسماه ﴿الْأَقْصَا﴾، لأنه كان أقصى بيوت الله الفاضلة من الكعبة في ذلك الوقت. ويحتمل أن يريد بـــ ﴿الْأَقْصَا﴾ البعيد دون مفاضلة بينه وبين سواه، ويكون المقصد إظهار العجب في الإسراء إلى هذا البعد في ليلة.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ أي: الذي جعلنا حوله البركة وذلك من جهتين:

إحداهما: النبوءة والشرائع والرسل الذين كانوا في ذلك القطر وفي نواحيه وبواديه.

ثانيهما: النعم من الأشجار والمياه والأرض المفيدة التي خص الله الشام بها.

وقوله: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ أي: لنري محمدا بعينيه آياتنا في السماوات والملائكة والجنة والسدرة وغير ذلك مما رآه تلك الليلة من العجائب، ويحتمل أن يريد لنري محمدا للناس آية، أي: يكون النبي ﷺ آية في أن يصنع الله ببشر هذا الصنع وتكون الرؤية على هذا رؤية قلب.

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ هذا وعيد من الله لمشركي قريش الذين كذبوا محمدا ﷺ في أمر الإسراء، وهي إشارة لطيفة بليغة إلى ذلك، أي: هو السميع لما تقولون البصير بأفعالكم.

ثالثا: مقاصد الآيات:

تهدف هذه الآية إلى تحقيق جملة من المقاصد التربوية منها:

- بيان أن معجزة الإسراء دليل من دلائل النبوة وعلامة من علامات صدق نبينا محمد ﷺ.
- بيان أن هذه المعجزة دليل على كمال قدرة الله عز وجل التي تتعلق بكل الممكنات إيجادا وإعداما، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأن الإسراء بالرسول ﷺ في هذا الجزء

القليل من الليل مظهر وأثر من آثار القدرة الإلهية.

• إثبات معجزة الإسراء في كتاب الله عز وجل فيه رد لمطاعن المشركين الذين أنكروا هذه المعجزة، والمشككين في إمكانية وقوعها.

• تخصيص المسجد الحرام، وهو من بناء إبراهيم واسماعيل عليهما السلام، والمسجد الأقصا، وهو مهبط الرسالات، بهذه المعجزة ابتداء وانتهاء، فيه تعظيم للمكانين المقدسين، ودليل على أن الرسالة المحمدية ما هي إلا امتداد للرسالات السابقة وتتميم لها.

• التذكير بنعم الله على رسوله ﷺ بالمعجزات، وعلى أهل المسجد الأقصى بالبركة حوله، وكل ذلك يدل على تفرده بتدبير الخلق، ويقتضي شكره، وتنزيهه عن كل ما لا يليق به.

التقويم

1 - أعرف معجزة الإسراء وأبين أقوال العلماء في زمانها ومكانها.

2 - ما هي أدلة القول بأن الإسراء كان بنفس النبي ﷺ لا بشخصه وما هو رد الجمهور على هذا القول؟

3 - أستخلص من الآية الحكمة من معجزة الإسراء.

4 - ما معنى قوله تعالى في شأن المسجد الاقصا: ﴿ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾؟

الاستثمار

ناقش أبو حيان رحمه الله في تفسيره ابن عطية رحمه الله فيما ذهب إليه من تأويل لمعنى لفظ ﴿أَسۡرَىٰ﴾، فقال: "أَسْرى بِمَعْنَى سَرَى وَلَيْسَتْ الْهَمْزَةُ فيه للتعدية، وَعُدّيَ بِالْبَاءِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ تَعْدِيَتِهِ بِالْبَاءِ الْمُشَارَكَةُ فِي الْفِعْلِ، بَلِ الْمَعْنَى جَعَلَهُ يَسْرِي؛ لِأَنّ السُّرَى يَدُلُّ عَلَى الِانْتِقَالِ كَمَشَى وَجَرَى، وَهُوَ مُسْتَحِيلٌ عَلَى الله تَعَالَى، فَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ﴾ [البقرة: 19]

أيْ: لأَذْهَبَ سَمْعَهُمْ، فَأَسْرَى وَسَرَى عَلَى هَذَا كَسَقَى وَأَسْقَى إِذَا كَانَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: مَعْنَاهُ سَرَى بِعَبْدِهِ.

وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: "وَيَظْهَرُ أَنَّ أَسْرَى مُعَدَّاةٌ بِالْهَمْزَةِ إِلَى مَفْعُولٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ أَسْرَى الْمَلَائِكَةَ بِعَبْدِهِ؛ لِأَنَّهُ يُقْلِقُ أَنْ يُسْنَدَ أَسْرَى وَهُوَ بِمَعْنَى سَرَى إِلَى اللهِ تَعَالَى؛ إِذْ هُوَ فِعْلٌ يُعْطِي النُّقْلَةَ كَمَشَى وَجَرَى وَأَحْضَرَ وَانْتَقَلَ، فَلَا يَحْسُنُ إِسْنَادُ شَيْءٍ مِنْ هَذَا وَنَحْنُ نَجِدُ مَنْدُوحَةً، فَإِذَا صَرَّحَتْ الشَّرِيعَةُ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا النَّحْوِ كَقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ: "أَتَيْتُهُ سَعْيًا وَأَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً" حُمِلَ ذَلِكَ بِالتَّأْوِيلِ عَلَى الْوَجْهِ الْمُخَلِّصِ مِنْ نَفْيِ الْحَوَادِثِ، وَأَسْرَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَخْرُجُ فَصِيحَةً كَمَا ذَكَرْنَا وَلَا يُحْتَاجُ إِلَى تَجَوُّزِ قَلَقٍ فِي مِثْلِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ، فَإِنَّهُ أَلْزَمُ لِلنُّقْلَةِ مِنْ أَتَيْتُهُ وَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ".

وَإِنَّمَا احْتَاجَ ابْنُ عَطِيَّةَ إِلَى هَذِهِ الدَّعْوَى بِاعْتِقَادِ أَنَّهُ إِذَا كَانَ أَسْرَى بِمَعْنَى سَرَى لَزِمَ مِنْ كَوْنِ الْبَاءِ لِلتَّعْدِيَةِ مُشَارَكَةُ الْفَاعِلِ لِلْمَفْعُولِ، وَهَذَا شَيْءٌ ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُبَرِّدُ، فَإِذَا قُلْتَ: قُمْتُ بِزَيْدٍ لَزِمَ مِنْهُ قِيَامُكَ وَقِيَامُ زَيْدٍ عِنْدَهُ، وَهَذَا لَيْسَ كَذَلِكَ، الْتَبَسَتْ عِنْدَهُ بَاءُ التَّعْدِيَةِ بِبَاءِ الْحَالِ، فَبَاءُ الْحَالِ يَلْزَمُ فِيهِ الْمُشَارَكَةُ؛ إِذِ الْمَعْنَى: قُمْتُ مُلْتَبِسًا بِزَيْدٍ، وَبَاءُ التَّعْدِيَةِ مُرَادِفَةٌ لِلْهَمْزَةِ، فَقُمْتُ بِزَيْدٍ وَالْبَاءُ لِلتَّعْدِيَةِ، كَقَوْلِكَ أَقَمْتُ زَيْدًا، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ إِقَامَتِكَ أَنْ تَقُومَ أَنْتَ". [البحر المحيط، لأبي حيان: 7/7]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 - أوضح قول ابن عطية في معنى أسرى، وتعليله لما ذهب إليه.

2 - كيف رد عليه أبو حيان رحمه الله؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 2 - 4 من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: وَكِيلًا - وَقَضَيْنَآ - لَتُفْسِدُنَّ - وَلَتَعْلُنَّ.

2 - أبحث في معاني (قضى) في اللغة، وأحدد المعنى المناسب للآية سياقيا وعقديا.

3 - أعرب ما يأتي في سياقه القرآني: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا ② ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾.

الدرس 2

سورة الإسراء

﴿الآيات: 2 – 4﴾

أهداف الدرس

1– أن أتعرف بعض نعم الله على بني إسرائيل وعصيانهم وفسادهم.

2– أن أستنتج من الآيات سبب فساد بعض بني إسرائيل وعصيانهم.

3– أن أتمثل وجوب شكر الله على نعمه.

تمهيد

بعد ما ذكر الله تعالى إكرامه لنبيه محمد ﷺ بمعجزة الإسراء، بين في هذه الآية أنه أكرم نبيه موسى عليه السلام قبله بالتوراة كتابا منزلا من عند الله تعالى، فجعله هدى لبني إسرائيل يخرجهم به من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والإيمان، إلا أنهم ما عملوا بهديها، فأفسدوا في الأرض وطغوا وتجبروا وعلوا علوا كبيرا.

فما هي وصية الله تعالى لبني إسرائيل في التوراة؟ ولماذا خالفوا أوامر الله عز وجل؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا (2) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (3) وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (4)﴾

[سورة الإسراء: 2 – 4]

الفهم

الشرح:

﴿وَكِيلًا﴾ : متوكلا عليه في الأمر.

﴿وَقَضَيْنَا﴾ : فرغنا، وقيل: أخبرنا، وقيل: كتبنا في أم الكتاب.

﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾ : لتخالفن ما شرعه الله لكم في التوراة.

﴿وَلَتَعْلُنَّ﴾ : ولتتجبرن وتطغون وتظلمن.

استخلاص المضامين:

1- بم امتن الله على بني إسرائيل في الآيات؟

2- بم قضى الله على بني إسرائيل في الكتاب؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: بعض نعم الله تعالى على بني إسرائيل:

امتن الله عز وجل في هذه الآيات على بني إسرائيل ببعض النعم التي أنعم بها عليهم، ومنها أنه أرسل إليهم موسى عليه السلام نبيا، وأنزل عليه التوراة هداية لهم فقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ هذه الجملة معطوفة على جملة ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ وما بعدها مع ما فيه من تقدير، وكأنه قال: أسرينا بعبدنا وأريناه آياتنا، وآتيناه الكتاب الذي هو التوراة.

ثم قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الضمير في ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ يحتمل أن يعود على الكتاب، ويحتمل أن يعود على موسى.

ثم قال تعالى: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾ ذكر ابن عطية رحمه الله في إعراب قوله: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟﴾ وتقديره وجوها:

أحدها: أن تكون (أن) ناصبة للفعل، فتكون (أن) وما بعدها في موضع نصب بتقدير كراهية أن، أي: وجعلناه هدى لبني اسرائيل (كراهية أن تتخذوا)، أو في موضع خفض بتقدير لأن: لئلا تتخذوا.

وثانيها: أن تكون (أن) مفسرة بمعنى " أي " التي للتفسير، فيكون هناك التفات وانتقال من الغيبة إلى الخطاب والنهي، وذلك على قراءة الجمهور ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا﴾، ومثله الالتفات من الغيبة إلى الخطاب والأمر في قوله: ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا﴾ [ص: 5]

وثالثها: أن تكون (أن) زائدة ويضمر في الكلام قول تقديره: ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ فقلنا لهم: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكِيلًا﴾ الوكيل هنا فعيل من التوكل، أي: متوكلا عليه في الأمور، فهو ند لله بهذا الوجه، وقال مجاهد: وكيلا شريكا.

ثم قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ يحتمل نصب " ذرية" أربعة أوجه:

أحدها: على أنها مفعول ب (يتخذوا) ويكون المعنى: أن لا يتخذ بشر إلها من دون الله.

وثانيها: على النداء أي: يا ذرية، فهذه مخاطبة للعالم، قال قوم: وهذا لا يتجه إلا على قراءة من قرأ (تتخذوا) بالتاء من فوق، ولا يجوز على قراءة من قرأ (يتخذوا) بالياء؛ لأن الفعل الغائب والنداء لمخاطب والخروج من الغيبة إلى الخطاب إنما يستسهل مع دلالة الكلام على المراد، وفي النداء لا دلالة إلا على تكلف.

وثالثها: أن تكون منصوبة بإضمار أعني، وذلك متجه على القراءتين على ضعف هذا الوجه.

الرابع: أن تكون بدلا من ﴿وَكِيلًا﴾، وهذا أيضا فيه تكلف.

وإنما عبر الحق سبحانه بقوله: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ عن الناس الذين عناهم في الآية؛ لأن في هذه العبارة تعديد النعمة على الناس في الإنجاء المؤدي إلى وجودهم، وتقبيح الكفر والعصيان مع هذه النعمة، والذين حملوا مع نوح وأنسلوا هم بنوه لصلبه؛ لأنه آدم الأصغر، وكل من على الأرض اليوم من نسله، وإن كان معهم غيرهم فلم ينسل. هذا قول الجمهور، ذكره

الطبري عن قتادة ومجاهد.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ أي: كان كثير الشكر، ووصفه بـ (الشكور) لأنه كان يحمد الله في كل حال وعلى كل نعمة، على المطعم والمشرب والملبس وغير ذلك.

ثانيا: قضاء الله بإفساد بني إسرائيل في الأرض:

لما ذكر الله تعالى أنه أنعم على بني إسرائيل بإنزال التوراة عليهم، وجعلها هدى لهم، بين في هذه الآية أنهم لم يهتدوا بها، فوقعوا في الفساد، قال تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾. هذه الجملة معطوفة على جملة ﴿وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾، قال الطبري: معنى ﴿فَقَضَيۡنَآ﴾ فرغنا. وحكي عن غيره أنه قال: ﴿فَقَضَيۡنَآ﴾ هنا بمعنى أخبرنا، وحكي عن آخرين أنهم قالوا: قضينا معناه في أم الكتاب.

وذكر ابن عطية رحمه الله أنه يلتبس في هذا المكان تعدية ﴿فَقَضَيۡنَآ﴾ بـ ﴿إِلَىٰ﴾، ذلك أن هذا الأمر هو مما قضاه الله تعالى في أم الكتاب على بني إسرائيل، وألزمهم إياه، ثم أخبرهم به في التوراة على لسان موسى عليه السلام، فلما أراد هنا الإعلام لنا بالأمرين جميعا في إيجاز، جعل قضينا دالة على النفوذ في أم الكتاب، وقرن بها ﴿إِلَىٰ﴾ دالة على إنزال الخبر بذلك إلى بني إسرائيل، والمعنى المقصود مفهوم خلال هذه الألفاظ، ولهذا فسرها ابن عباس مرة بأن قال: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ معناه أعلمناهم، وقال مرة: معناه قضينا عليهم.

وقوله تعالى: ﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الكتاب هنا التوراة؛ لأن القسم في قوله: ﴿لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ﴾ غير متوجه مع جعل الكتاب هو اللوح المحفوظ. وقرأ سعيد بن جبير (في الكتب) على الجمع، قال أبو حاتم: قراءة الناس على الإفراد.

وقوله: ﴿وَلَتَعۡلُنَّ﴾ أي: لتتجبرن عن طاعة الآمرين بطاعة الله وتطلبون في الأرض العلو والفساد وتظلمون من قدرتم على ظلمه ونحو هذا.

ومعنى الآيات: أن الله تعالى أعلم بني إسرائيل في التوراة أنه سيقع منهم عصيان وطغيان وكفر بنعم الله تعالى، وسيحدث ذلك منهم مرتين في زمنين متباعدين، وهذا الإخبار منه تحذير لهم

من الوقوع في المعاصي والطغيان ودعوة لهم إلى الالتزام بما جاء في التوراة من هدي وبيان.

ثالثا: مقاصد الآيات:

تهدف هذه الآية إلى بيان جملة من المقاصد التربوية منها:

- أن توحيد الله عز وجل هو غاية كل الرسالات السماوية السابقة.
- تذكير الناس بأن أصلهم واحد على اختلاف أجناسهم وأعراقهم وشرائعهم.
- التذكير بنعم الله الكثيرة على بني إسرائيل وما يقتضي ذلك من شكر الله تعالى في مقابل هذه النعم الكثيرة، اقتداء بسيدنا نوح عليه السلام الذي كان عبدا شكورا.

التقويم

1 – ما الغاية من إنزال التوراة على سيدنا موسى عليه السلام؟

2 – ما هي أوجه الإعراب الواردة في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾؟

3 – لماذا عبر القرآن الكريم بـ ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ بدل الناس أو القوم؟

الاستثمار

عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد أنه قال في قوله تعالى في حق نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: 3] : "لَمْ يَأْكُلْ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا حَمِدَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَمْ يَشْرَبْ شَرَابًا قَطُّ إِلَّا حَمِدَ اللهَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَمْشِ مَشْيًا قَطُّ إِلَّا حَمِدَ اللهَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَبْطِشْ بِشَيْءٍ قَطُّ إِلَّا حَمِدَ اللهَ عَلَيْهِ؛ فَأَثْنَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا"

[شعب الإيمان للبيهقي: رقم الحديث: 1514]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 - كيف ينبغي للإنسان أن يشكر نعم الله عليه ؟

2 - ما الغاية من تذكير بني إسرائيل بكون نوح عليه السلام عبدا شكورا؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 5 - 7 من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: بَأْسٍ - نَفِيراً - وَلِيُتَبِّرُوا۟ - عُلُوّاً - حَصِيراً.

2 - أبحث فيما ذكره المفسرون من أقوال في نوع إفساد بني إسرائيل في المرتين، ومن سلط الله عليهم من العباد؟

3 - أُعرب قول الله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾.

الدرس
3

سورة الإسراء

﴿الآيات: 5 – 8﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف بعض أحوال بني إسرائيل وما حل بهم عند إفسادهم في الأرض.

2- أن أستنتج من الآيات أن مفتاح النصر طاعة الله والالتزام بتعاليم كتابه.

3- أن أعتبر بما يحل بالمفسدين في الأرض فألتزم بكتاب الله وأهتدي بهديه.

تمهيـــد

بعد ما أخبر الله تعالى بأنه أعلم بني إسرائيل قوم موسى عليه السلام في التوراة بقضائه فيهم بسبب إفسادهم وطغيانهم، جاءت هذه الآيات لتبين هذا الإفساد والطغيان، وما حل بهم من عقاب نتيجة ظلمهم وطغيانهم ومخالفتهم كتاب ربهم.

فماذا حل بهؤلاء القوم ؟ وكيف يكون ذلك عبرة للمفسدين في الأرض؟

الآيـــات

قال الله تعالى: ﴿فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا (5) ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا (6) إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما

دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿7﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿8﴾ [سورة الإسراء: 5 – 8]

الفهم

الشرح:

بَأْسٍ : البأس الشدة والمكروه.

أَكْثَرَ نَفِيرًا : أكثر عددا.

وَلِيُتَبِّرُوا : ليردوا الشيء فتاتا كتبر الذهب والحديد.

عَلَوْا : غلبوا.

حَصِيرًا : من الحصر فهو بمعنى السجن.

استخلاص المضامين:

1- متى كان عقاب الله الأول لبني إسرائيل؟

2- متى حل عقاب الله لبني إسرائيل في المرة الثانية؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: عاقبة المفسدين في الأرض:

بعد أن بين الحق سبحانه ما سيحدث من بني إسرائيل قوم موسى عليه السلام من إفساد في الأرض، وهذا من علم الله تعالى، ذكر هنا ما حل بهم من عقاب على إفسادهم في المرة الأولى

فقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ الضمير في قوله: ﴿أُولَاهُمَا﴾ عائد على قوله: ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ [الإسراء: 4] وعبر عن الشر بالوعد، مع أن الأصل فيه أن يكون في الخير لوجود القرينة على ذلك وهي ذكر المعاقبة؛ إذ يجوز أن يستعمل الوعد في الشر إذا ما صاحبته قرينة.

وقوله سبحانه: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ قرأ الجمهور ﴿فَجَاسُوا﴾ بالجيم، وقرأ أبو السمال (فحاسوا) بالحاء، وهما بمعنى الغلبة والدخول قسرا ومنه الحواس، وقيل لأبي السمال: إنما القراءة (فجاسوا) بالجيم فقال (جاسوا وحاسوا) واحد. ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ أي: وكان حكم الله بذلك حكما جازما لا يقبل النقض ولا التبديل.

والمعنى: فإذا جاء وعد أولى المرتين من الإفساد سلطنا عليكم من عبيدنا أناسا جبارين للانتقام منكم، وخلينا بينكم وبينهم خاذلين إياكم بسبب ظلمكم وطغيانكم.

وقد اتعظ بنو إسرائيل في ذلك الزمان بما حدث لهم، وتابوا إلى ربهم، وعدلوا عن غيهم وضلالهم، فكان ذلك سببا لنصر جديد، قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ فهذه الآية عبارة عما قاله الله لبني إسرائيل في التوراة، وجعل ﴿رَدَدْنَا﴾ موضع "نرد"؛ إذ وقت إخبارهم لم يقع الأمر بعد، لكنه لما كان وعد الله محققا لاشك فيه ، عبر عن مستقبله بالماضي.

وهذه العودة إلى الحق، والتمكين في الأرض من جديد كان بعد الجلوة الأولى التي سبق الحديث عنها، فعاد لبني إسرائيل ملكهم، وحسنت حالهم برهة من الدهر، وأعطاهم الله الأموال والأولاد، وجعلهم إذا نفروا إلى أمر أكثر الناس. قال الطبري: معناه وصيرناكم أكثر عدد نافر منهم. قال قتادة: كانوا أكثر نفيرا في زمن داود عليه السلام.

وقوله: ﴿نَفِيرًا﴾ النفير يحتمل أن يكون جمع نفر ككلب وكليب، وعبد وعبيد، ويحتمل أن يكون فعيلا بمعنى فاعل أي: وجعلناكم أكثر نافرا.

ثم عقب ذلك بوصيتهم فقال سبحانه: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ والمعنى: أنكم بعملكم تؤخذون، لا يكون ذلك ظلما ولا تسرعا إليكم، فإن أحسنتم فإحسانكم لأنفسكم، ونفعه عائد عليكم، لا ينتفع الله منه بشيء، وإن أسأتم فعلى أنفسكم لا يتضرر الله بشيء منها، فهو الغني عن العباد، لا تنفعه طاعتكم ولا تضره معصيتكم.

ثانيا: ما حل ببني إسرائيل بعد فسادهم في المرة الثانية:

بعد ما بين القرآن الكريم إفساد بني اسرائيل في المرة الأولى وما لحق بهم بسبب ذلك من العذاب، ذكر هنا إفسادهم في المرة الثانية، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ أي: فإذا جاء وعد المرة الآخرة من المرتين المذكورتين، من إفسادكم، وجواب ﴿فَإِذَا﴾ محذوف يدل عليه جواب إذا الأولى، تقديره: بعثنا عليكم عبادا أولي باس شديد ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ اللام لام أمر، وقيل: لام كي، والضمير للعباد أولي البأس الشديد.

ثم قال تعالى: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: وليدخلوا مسجد بيت المقدس فيخربوه كما خربوه أول مرة ﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ وتبر معناه رد الشيء فتاتا كتبر الذهب والحديد ونحوه. وقوله: ﴿مَا عَلَوْا﴾ أي: ما غلبوا عليه من الأقطار وملكوه من البلاد، وقيل: ﴿مَا﴾ ظرفية، والمعنى مدة علوهم وغلبتهم على البلاد.

ثم فتح الله تعالى باب الأمل لبقية بني إسرائيل مرة أخرى، فقال: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ عسى للترجي في حقهم، أي: عسى أن يرحمكم ربكم إن أطعتم في أنفسكم واستقمتم. و﴿عَسَىٰ﴾ تفيد الترجي في حقهم، وهذه العدة تعني أن يرحم المطيع منهم، وكان من الطاعة اتباعهم لعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

ثم أنذرهم الله بقوله: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ أي: وإن عدتم إلى الإفساد والمعاصي مرة أخرى، عدنا إلى معاقبتكم بمثل ما فعل بكم في المرتين السابقتين، ولهذا قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾، الحصير فعيل من الحصر، فهو بمعنى السجن أي:

يحصرهم، وبنحو هذا فسره مجاهد،. وقال الحسن البصري: الحصير ما يفترش ويبسط كالحصير المعروف عند الناس، أي: جعلنا جهنم للكافرين مستقرا وسجنا دائما.

ثالثا: مقاصد الآيات:

تهدف الآيات إلى تحقيق جملة من المقاصد التربوية، منها ما يأتي:

- أن طاعة الله عز وجل والاستجابة لأمره هو سبيل السعادة في الدنيا والفلاح والفوز في الآخرة.

- أن الشرائع السماوية كلها تأمر بعمارة الأرض وإصلاحها بفعل الخير ونفع الناس ومساعدتهم، وتنهى عن الفساد والإفساد فيها بالظلم والطغيان والاعتداء على الناس وسفك دمائهم.

- أن الإفساد في الأرض يعرض المفسد إلى عقوبة الله تعالى، وأن جزاءه يكون مناسبا لجنس عمله. والتوبة إلى الله والعودة إلى طاعته تكون سببا للنصر والتمكين.

- تحذير المخاطبين بالقرآن الكريم من سلوك سبيل من سبقهم من الأمم التي خالفت أمر ربها وكتابه، فحل بها ما حل من العذاب. وهذه أهم فائدة من فوائد قصص القرآن.

- أن ثمرة إحسان المرء وإصلاحه في الأرض ترجع إليه، وإساءته وإفساده في الأرض يعود عليه؛ لأن الله عز وجل غني عن العالمين، لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية.

- أن القرآن الكريم لم يذكر متعلق الإحسان ولا نوعه، في قوله: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ ليشمل الإحسان إلى النفس وإلى الغير، وإلى الإنسان والحيوان والكون كله، مما يعني أن الإسلام يدعو إلى مطلق فعل الخير كيفما كانت طبيعته.

- أن رحمة الله تعالى واسعة؛ حيث كرر الإحسان مرتين فقال: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ واقتصر على ذكر الإساءة مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ ثم أتبعها بقولـــه: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ فوعد عباده بالرحمة كلما تابوا إلى الله وأنابوا إليه.

التقويم

1 – ما سبب عقاب الله لبني إسرائيل في الدنيا؟

2 – لماذا وقع التعبير بالماضي في قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا﴾ مع أن المقام مقام المضارع؟

3 – ماذا يمكن أن نستنتج من قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ ؟

4 – ما هي المقاصد التربوية للقصة الواردة في الآيات ؟

الاستثمار

أرجع إلى تفسير ابن عطية رحمه الله، ثم أستخلص منه أقوال العلماء في قول الله تعالى: ﴿عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [سورة الإسراء: 5].

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 9 – 12 من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

1 – أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: يَهْدِي – أَعْتَدْنَا – ءَايَتَيْنِ – فَمَحَوْنَا ءَايَةَ الَّيْلِ – فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا.

2 – أبحث عن صفات القرآن الكريم الواردة في الآيات.

3 – أوضح معنى ﴿وَجَعَلْنَا ءَايَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ مع بيان ما فيها من نكتة بلاغية.

الدرس
4

سورة الإسراء

﴿الآيات: 9 – 12﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف بعض صفات القرآن الكريم.

2- أن أستدل على وحدانية الله وقدرته بالنظر في الآيات الكونية الواردة في الآيات.

3- أن أهتدي بالكتاب المسطور(القرآن) وأعتبر وأتعظ بالكتاب المنظور (الكون).

تمهيـــد

بعد أن ذكر الحق سبحانه أنه أنزل التوراة لهداية بنى إسرائيل، أتبع ذلك بالثناء على القرآن الكريم وذكر بعض صفاته، وهي أنه يهدي للتي هي أقوم، ويبشر المومنين، وينذر الكافرين، مذكرا بطبيعة الإنسان الذي خلق عجولا، قد يدعو على نفسه بالشر كما يدعو لنفسه بالخير، ومستعرضا بعض الآيات الكونية الدالة على وحدانية الله وقدرته وجلاله.

فما هي صفات القرآن الكريم؟ وكيف أتعظ بالتعاليم القرآنية، وأعتبر بالآيات الكونية الواردة في الآيات ؟

الآيـــات

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا اَ۬لْقُرْءَانَ يَهْدِے لِلتِے هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ اُ۬لْمُومِنِينَ اَ۬لذِينَ يَعْمَلُونَ اَ۬لصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمُۥٓ أَجْراً كَبِيراٗ (9) وَأَنَّ اَ۬لذِينَ لَا يُومِنُونَ بِالَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً اَلِيماٗ (10) وَيَدْعُ اُ۬لِانسَٰنُ بِالشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِالْخَيْرِ وَكَانَ اَ۬لِانسَٰنُ عَجُولاٗ (11)

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿12﴾

[سورة الإسراء: 9 - 12]

الفهم

الشرح:

يَهْدِي : يرشد ويدعو.

أَعْتَدْنَا : أحضرنا وأعددنا ومنه العتاد.

أَلِيمًا : موجعا.

ءَايَتَيْنِ : علامتين منصوبتين للنظر والعبرة.

فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ : فجعلنا الآية التي هي الليل ممحوة لا نور فيها.

فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا : بيناه أحسن تبيين، ولم نتركه للمصادفة.

استخلاص المضامين:

1- بماذا نوه الله عز وجل في بداية الآيات؟

2- أين تتجلى رحمة الله تعالى بالإنسان؟

3- بم ذكرنا الحق سبحانه في نهاية هذه الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: التنويه بشأن القرآن والتذكير ببعض خصائصه:

بعد ما ذكر الله تعالى أنه أعطى التوراة لموسى عليه السلام هدى لبني إسرائيل، ذكر هنا أنه خص نبينا محمدا ﷺ بالقرآن الكريم الذي من صفاته:

1 - أنه يهدي للتي هي أقوم، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ ومعنى ﴿يَهْدِي﴾ في هذه الآية: يرشد، أو يدعو و﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ يريد بها الحالة والطريقة التي هي أصوب وأعدل، وقيل: ﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ هي لا إله إلا الله. قال ابن عطية: والأول أعم، وكلمة الإخلاص وغيرها من الأقوال داخلة في الحال التي هي أقوم من كل حال تجعل بإزائها.

والاقتصار على "أقوم" وحذف متعلقها بحيث لم يقل: (أقوم من كذا...) من باب الإيجاز، والمعنى مفهوم، أي: للتي هي أقوم من كل ما غايرها فهي النهاية في القوام.

2 - أنه يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات بالأجر الكبير يوم القيامة، جزاء عملهم، قال تعالى: ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ وقيد المؤمنين بعمل الصالحات؛ إذ هو كمال الإيمان وإن لم يكن هو نفسه، والمؤمن المفرط في العمل له بإيمانه حظ في عمل الصالحات. والأجر الكبير هو الجنة. قال ابن عطية: حيث وقع في كتاب الله (فضل كبير) و(أجر كبير) فهو الجنة. و﴿أَنَّ﴾ وما دخلت عليه في موضع نصب بــ"يبشر".

3 - أنه ينذر الذين لا يصدقون بالمعاد وما بعده من الثواب والعقاب بأن لهم عذاب جهنم جزاء ما قدمت أنفسهم. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ فجملة ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ﴾ معطوفة على ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾، فهي داخلة في جملة بشارة المؤمنين، بمعنى أن القرآن الكريم بشرهم بالجنة، وبأن العذاب الأليم لمن لا يؤمنون بالآخرة، وإعلام المؤمنين بهذا فيه إدخال للسرور عليهم، فهما بشارتان.

ثانيا: عدم الاستجابة لدعاء الإنسان بما يضره رحمة به:

وبعد أن بين الله تعالى لبني إسرائيل وغيرهم صفات الهادي وهو القرآن، بين حال المهدي وهو الإنسان، فقال تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ سقطت الواو من يدع في خط المصحف؛ لأنهم كتبوا المسموع. وقال ابن عباس وقتادة ومجاهد: هذه الآية نزلت ذامة لما يفعله الناس من الدعاء على أموالهم وأبنائهم في وقت الغضب والضجر، فأخبر الله أنهم يدعون بالشر في ذلك الوقت كما تدعون بالخير في وقت التثبت، فلو أجاب الله دعاءهم لأهلكهم، لكنه يصفح

ولا يجيب دعاء الضجر المستعجل، وقد بين الله عز وجل عذر الإنسان في فعله هذا فقال: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا﴾ أي: أن الإنسان له عجلة فطرية. والمراد بالإنسان هنا: قيل الجنس بحسب ما في الخلق من ذلك، قاله مجاهد وغيره. وقال سلمان الفارسي وابن عباس: هو إشارة إلى آدم عليه السلام، وأنه لما نفخ الروح في رأسه عطس وأبصر، فلما مشى الروح في بدنه قبل ساقيه أعجبته نفسه فذهب ليمشي مستعجلا لذلك فلم يقدر. والمعنى فأنتم ذوو عجلة موروثة من أبيكم آدم عليه السلام.

والآية قيل نزلت في شأن قريش الذين قالوا: ﴿وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: 32] ، وكان الأولى أن يقولوا: فاهدنا إليه وارحمنا به، فذمهم الله تعالى في هذه الآية بهذا.

وقالت فرقة: معنى هذه الآية: معاتبة الناس على أنهم إذا نالهم شر ضرعوا وألحوا في الدعاء الذي كان يجب أن يدعوه في حالة الخير ويلتزموه، من ذكر الله وحمده والرغبة إليه، لكنه يقصر حينئذ، فإذا مسه ضر ألح واستعجل الفرج. فالآية على هذا من نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥ﴾ [يونس: 12] .

ثالثا: التذكير بآيات الله الكونية الدالة على وحدانيته وقدرته:

بعد أن بين الله تعالى ما أنعم به من نعم الدين على الناس وهو القرآن، أتبعه ببيان ما أنعم عليهم من نعم الدنيا، فقال سبحانه: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ﴾ الآية: العلامة المنصوبة للنظر والعبرة، وقوله: ﴿فَمَحَوۡنَآ﴾ قالت فرقة: سبب تعقيب الفاء أن الله تعالى خلق الشمس والقمر مضيئين أول الأمر، فمحا بعد ذلك القمر. وقالت فرقة –وهو الظاهر-: إن قوله: ﴿فَمَحَوۡنَآ﴾ إنما يريد في أصل خلقته، وهذا كما تقول: بنيت داري فبدأت بالأس، ثم تابعت. فلا تريد بالفاء التعقيب.

وظاهر لفظ الآية يقتضي أربع آيات، لا سيما لمن بنى على أن القمر هو الممحو والشمس هي المبصرة، فأما إن قدر الممحو في إظلام الليل والإبصار في ضوء النهار، أمكن أن تتضمن

الآية آيتين فقط، على أن يكون فيها طرف من إضافة الشيء إلى نفسه.

وقوله: ﴿مُبْصِرَةً﴾ معناه تبصر فيها الأشياء، فهو مجاز عقلي من إسناد الشيء إلى زمانه، مثل قولك: ليل قائم ونائم، أي: ينام فيه ويقام، فكذلك (آية مبصرة) أي: يبصر بها ومعها. وحكى الطبري عن بعض الكوفيين أنه قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: سلوا عما شئتم. فقال ابن الكواء: ما السواد الذي في القمر؟ فقال له علي: قاتلك الله هلا سألت عن أمر دينك وآخرتك، ذلك محو الليل.

وقوله تعالى: ﴿لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: جعلنا تعاقب الليل والنهار؛ لتتمكنوا فيه من التصرف في أعمالكم، وتطلبون الرزق من الله ربكم الذي يمدكم من فضله وإحسانه شيئا فشيئا، وعلى وفق الزمان الدائر بكم صيفا وشتاء.

وقوله تعالى: ﴿وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ أي: وليعلم به العدد من السنين والحساب للأشهر وللأيام. ومعرفة ذلك في الشرع إنما هو من جهة القمر لا من جهة الشمس.

وقوله سبحانه: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ الظاهر أن ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ منصوب على الاشتغال بفعل مضمر يدل عليه المذكور، تقديره: وفصلنا كل شيء فصلناه تفصيلا، وكان ذلك أرجح من الرفع لسبق الجملة الفعلية. وقيل: معطوف على ﴿وَٱلْحِسَابَ﴾، فيكون معمولا لـ "تعلموا". والتفصيل البيان بأن تذكر فصول ما بين الأشياء وتزال أشباهها حتى يتميز الصواب من الشبه العارضة فيه.

رابعا: مقاصد الآيات:

ترشد هذه الآيات إلى جملة من المقاصد التربوية، منها ما يأتي:

- التذكير ببعض صفات القرآن الكريم والغاية من نزوله على الحبيب المصطفى ﷺ، وهي أنه كتاب هداية وبشارة للمومنين ونذارة للكافرين.

- التأكيد على عدل الله بين العباد في الآخرة، وأن جزاءهم يكون على حسب ما قدموا من أعمال، خيرها وشرها، وأن الإيمان بالله وطاعته يستحق الأجر الكبير، وأن الكفر به ومعصيته

يعرض صاحبه للعذاب الأليم.

• إقامة الحجة على الناس من خلال كتابه المسطور الذي هو القرآن الكريم، وكتابه المنظور الذي هو الآيات الكونية الدالة على وجوده سبحانه ووحدانيته وقدرته.

• التذكير بنعم الله تعالى على الإنسان، ومنها القرآن الكريم الذي أنزله الله لهداية الناس للطريق التي هي أقوم، وكذا نعم الليل والنهار والشمس والقمر وما فيها من منافع للإنسان والحياة.

التقويم

1 – أوضح صفات القرآن الكريم الواردة في الآيات.

2 – لماذا يدعو الإنسان بالشر؟ وما معنى كونه عجولا؟

3 – ما معنى آية الليل وآية النهار؟ وما معنى كون آية النهار مبصرة؟

4 – ما هي منافع الليل والنهار للإنسان؟

الاستثمار

قال فخر الدين الرازي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ : "فَاعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى وَصَفَ الْقُرْآنَ بِثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ الصِّفَاتِ: الصِّفَةُ الْأُولَى: أَنَّهُ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، وَقَدْ مَرَّ تَفْسِيرُهُ، وَالصِّفَةُ الثَّانِيَةُ: أَنَّهُ يُبَشِّرُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ بِالْأَجْرِ الْكَبِيرِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الصِّفَةَ الْأُولَى لَمَّا دَلَّتْ عَلَى كَوْنِ الْقُرْآنِ هَادِيًا إِلَى الِاعْتِقَادِ الْأَصْوَبِ وَالْعَمَلِ الْأَصْلَحِ، وَجَبَ أَنْ يَظْهَرَ لِهَذَا الصَّوَابِ وَالصَّلَاحِ أَثَرٌ، وَذَلِكَ هُوَ الْأَجْرُ الْكَبِيرُ؛ لِأَنَّ الطَّرِيقَ الْأَقْوَمَ لَا بُدَّ وَأَنْ يُفِيدَ الرِّبْحَ الْأَكْبَرَ وَالنَّفْعَ الْأَعْظَمَ، وَالصِّفَةُ الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، وَذَلِكَ لِأَنَّ الِاعْتِقَادَ الْأَصْوَبَ وَالْعَمَلَ الْأَصْلَحَ، كَمَا يُوجِبُ لِفَاعِلِهِ النَّفْعَ الْأَكْمَلَ الْأَعْظَمَ، فَكَذَلِكَ تَرْكُهُ يُوجِبُ لِتَارِكِهِ الضَّرَرَ الْأَعْظَمَ الْأَكْمَلَ". [مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي: 303/20]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 - أوضح السر في ترتيب الصفات الثلاث التي وصف الله تعالى بها القرآن الكريم.

2 - أبين عدل الله عز وجل من خلال جزاء المومنين وغيرهم في الآيات؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 13 - 17 من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: طَٰٓئِرَهُۥ - حَسِيبًا - مُتْرَفِيهَا - فَدَمَّرْنَٰهَا - ٱلْقُرُونِ - قَرْيَةً.

2 - أبحث في أقوال المفسرين عن الأبعاد العقدية لقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾.

3 - أوضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ مفصلا ما فيها من نكت بلاغية.

الدرس

5

سورة الإسراء

﴿الآيات: 13 – 17﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف كيف تعرض على الناس أعمالهم في الآخرة.

2- أن أستنتج عدل الله تعالى في الحساب والجزاء يوم القيامة.

3- أن أتمثل يوم الحساب لأقوي إيماني بعدل الله في الحساب والجزاء.

تمهيد

بعد أن بين الله تعالى صفات كتابه الحكيم، وأنه يفصل للناس ما ينفعهم وما يضرهم من الأعمال، مما يكون به سعادة الإنسان أو شقاؤه في دينه ودنياه، أتبع ذلك بذكر كتاب أعمال الإنسان، الذي لا يترك من هذه الأعمال شيئا إلا أحصاه، موضحا أن حسن هذه الأعمال أو قبحها تابع لأخذ الإنسان بما في كتاب الله أو تركه لذلك، كما أخبر سبحانه أنه لا يعاقب أحدا من الأمم إلا إذا أرسل إليهم الرسل يبلغونهم ويقيمون عليهم الحجة.

فكيف تعرض على الناس أعمالهم؟ وما الحكمة من بعثة الرسل عليهم السلام؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ اَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِے عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ اَلْقِيَٰمَةِ كِتَٰباً يَلْقِيهُ مَنشُوراً (13) اِقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَيٰ بِنَفْسِكَ اَلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً (14) مَّنِ اِهْتَدَيٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِے لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَيٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ

حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿15﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿16﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿17﴾ ﴾ [سورة الإسراء: 13 - 17]

الفهم

الشرح :

طَائِرَهُ : استعارة لعمل الإنسان.

حَسِيبًا : حاسبا.

مُتْرَفِيهَا : المترف الغني.

فَدَمَّرْنَاهَا : التدمير الإهلاك مع طمس الآثار وهدم البناء.

الْقُرُونِ : القوم يجمعهم زمان واحد.

قَرْيَةً : المدينة المجتمعة.

استخلاص المضامين:

1- ما الغاية من عرض الأعمال على الناس في الآخرة؟

2- ما الغاية من بعثة الرسل؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: عدل الله في محاسبة الناس على ما قدموا من أعمال:

بعد ما بين سبحانه أنه فصل في كتابه كل ما يحتاج إليه الناس من عقائد وأحكام، بين هنا أن الإنسان مسؤول عن كل ذلك وسيحاسب عليه. قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ

﴿ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾، قوله: ﴿ كُلَّ ﴾ منصوب بفعل مقدر.

قال ابن عباس: ﴿ طَٰٓئِرَهُۥ ﴾ ما قدر له وعليه. وخاطب الله العرب في هذه الآية بما تعرف، وذلك أنه كان من عادتها التيمن والتشاؤم بالطير، في كونها سانحة أو بارحة، وكثر ذلك حتى فعلته بالظباء وحيوان الفلاة، وسمت ذلك كله تطيرا. وكانت تعتقد أن تلك الطيرة قاضية بما يلقى الإنسان من خير وشر، فأخبرهم الله تعالى في هذه الآية في أوجز لفظ وأبلغ إشارة أن جميع ما يلقى الإنسان من خير وشر قد سبق به القضاء، وألزم حظه وعمله وكسبه في عنقه. وروى جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: " لا عدوى، ولا طيرة " [صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الطيرة]. وبذلك أبطل الإسلام كل هذه المعتقدات الفاسدة.

وقوله: ﴿ فِي عُنُقِهِۦ ﴾ كناية عن اللزوم، كما يقال: جعلت هذا في عنقك، أي: قلدتك هذا العمل وألزمتك الاحتفاظ به، ويقال: قلدتك كذا وطوقتك كذا، أي: صرفته إليك وألزمته إياك. وقد جرى أيضا على عادة العرب في أنها تنسب ما كان إلزاما وقلادة وأمانة ونحو هذا إلى العنق، كقولهم: دمي في عنق فلان. وتنسب ما كان تكسبا وجناية وإثما إلى اليد؛ إذ هي الأصل في التكسب.

وقوله: تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ معمول لقول محذوف، والتقدير يقال له: اقرأ كتابك، وهذا القائل هو الله تعالى على ألسنة الملائكة و﴿ بِنَفْسِكَ ﴾ فاعل ﴿ كَفَىٰ ﴾. وهذا مذهب الجمهور. والباء زائدة، و﴿ حَسِيبًا ﴾ أي: حاسبا، ونصبه على التمييز. وأسند الطبري عن الحسن البصري أنه قال: "يا ابن آدم بسطت لك صحيفتك، ووكل بك ملكان كريمان، أحدهما عن يمينك يكتب حسناتك، والآخر عن شمالك يحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت أو قلل أو أكثر، حتى إذا مت طويت صحيفتك فجعلتها في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة كتابا تلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا، قد عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك".

قال ابن عطية: فعلى هذه الألفاظ التي ذكر الحسن يكون الطائر ما يتحصل مع آدم من عمله في قبره. فتأمل لفظه، وهذا هو قول ابن عباس.

وقال قتادة في قوله: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ ﴾ إنه سيقرأ يومئذ من لم يكن يقرأ.

ثم قال تعالى: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ معنى هذه الآية أن كل أحد إنما يحاسب عن نفسه لا عن غيره. وروي في سبب نزول هذه الآية أن الوليد بن المغيرة المخزومي قال لأهل مكة: اكفروا بمحمد وإثمكم علي، فنزلت هذه الآية. أي: إن الوليد لا يحمل إثمكم وإنما إثم كل واحد عليه. ومعنى هذه الآية أن كل أحد إنما يحاسب عن نفسه لا عن غيره، فمن اهتدى فثواب اهتدائه له، ومن ضل فعقاب ضلاله عليه، فلا يحمل أحد ذنب أحد، ولا يجني جان إلا على نفسه.

وبهذه الآية استدلت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في الرد على من قال: إن الميت يعذب ببكاء الحي عليه، استنادا إلى حديث: " إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه " [صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه].

وقد أجيب عن ذلك بأنه إنما يستحق الميت التعذيب إذا كان البكاء من سنته، أو أمر به أو تسبب فيه كما كانت العرب تفعل.

ثانيا: إقامة الحجة على الناس ببعثة الرسل:

بعد بيان عدل الله في الحساب يوم القيامة، بين سبحانه أنه لا يعذب أحدا من الناس إلا بعد إقامة الحجة عليهم ببعثة الرسل، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.

اختلف العلماء هل المراد بالآية التعذيب والهلاك الذي يقع في الدنيا أو عذاب الآخرة؟

فقال الجمهور: هذا في حكم الدنيا، أي: إن الله لا يهلك أمة بعذاب إلا من بعد الرسالة إليهم والإنذار. وقالت فرقة: هذا عام في الدنيا والآخرة.

قال ابن عطية رحمه الله: وتلخيص هذا المعنى: أن مقصد الآية في هذا الموضع الإعلام بعادة الله مع الأمم في الدنيا، وبهذا يقرب الوعيد من كفار مكة. ويؤيد هذا ما يجيء بعد من وصفه ما يكون عند إرادته إهلاك قرية، ومن إعلامه بكثرة ما أهلك من القرون.

ومع هذا فالظاهر من كتاب الله في غير هذا الموضع ومن النظر أن الله تعالى لا يعذب في الآخرة إلا بعد بعثة الرسل، كقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾

﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ ⑨﴾ [الملك: 8-9]، وظاهر ﴿كُلَّمَآ﴾ أنها تفيد الحصر، وكقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ㉔﴾ [فاطر: 24].

وأما من جهة النظر فإن بعثة آدم عليه السلام بالتوحيد، وبث المعتقدات في بنيه مع نصب الأدلة الدالة على الصانع مع سلامة الفطر يوجب على كل أحد من العالم الإيمان واتباع شريعة الله، ثم تجدد ذلك في مدة نوح عليه السلام بعد غرق الكفار.

وهذه الآية أيضا يعطي احتمال ألفاظها نحو هذا، ويجوز مع الفرض وجود قوم لم تصلهم رسالة وهم أهل الفترات الذين قد قدر وجودهم بعض أهل العلم.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ القرية: المدينة المجتمعة، مأخوذ من قريت الماء في الحوض إذا جمعته، وليست من " قرأ " الذي هو مهموز. وقرأ الجمهور ﴿أَمَرْنَا﴾ على صيغة الماضي من أمر ضد نهى، وقرئت (آمرنا) بمد الهمزة، و(أمّرنا) بتشديد الميم. قال الطبري: القراءة الأولى معناها أمرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها، وهو قول ابن عباس وابن جبير. والثانية: معناها كثرناهم. والثالثة: هي من الإمارة، أي: ملكناهم على الناس.

وقوله سبحانه: ﴿فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾ أي: فخرجوا عما أمرهم الله وعملوا المعاصي فيها ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ هذا وعيد الله لها على لسان رسولهم ﴿فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ أي: أهلكناها فهدمنا بناءها وطمسنا آثارها.

ثم قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ ﴿وَكَمْ﴾ في موضع نصب بأهلكنا، وهذا الذكر لكثرة من أهلك الله من القرون مثال لقريش ووعيد لهم، أي: لستم ببعيدين مما حصل لهؤلاء القرون من العذاب إذا أنتم كذبتم نبيكم.

واختلف الناس في القرن، فقال ابن سيرين: عن النبي عليه السلام أربعون، وقيل: غير هذا مما هو قريب منه، وقال عبد الله بن أبي أوفى: القرن مائة وعشرون سنة، وقالت طائفة: القرن

مائة سنة، وهذا هو الأصح الذي يعضده الحديث في قوله عليه السلام " خير الناس قرني " [صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم]

والباء في قوله: ﴿بِرَبِّكَ﴾ زائدة، التقدير وكفى ربذتك، وهذه الباء إنما تجيء في الأغلب في مدح أو ذم، وكأنها تعطي معنى اكتف بربك، أي: ما أكفاه في هذا.

ثالثا: مقاصد الآيات:

ترشد الآيات إلى جملة من المقاصد التربوية، منها ما يأتي:

- أن الإنسان رهين أعماله، وأنه سيجدها في كتاب ينشر بين يديه يقرؤه يوم القيامة، ويحاسب نفسه بنفسه على ما قدم من أعمال. وهذا مظهر من مظاهر عدل الله حيث يقيم الحجة على الناس بقراءة أعمالهم بأنفسهم.

- أن الإنسان لا يحاسب إلا على أعماله ولا يؤخذ بذنوب غيره؛ لأن عمل الإنسان هو أساس النجاح في الدنيا والنجاة في الآخرة، وأن ثمرات العمل الصالح إنما تعود بالخير على الإنسان، كما أن نتائج الضلال والطغيان تعود بالضرر عليه نفسه.

- أن الناس لا يحاسبون ولا يعاقبون إلا بعد إقامة الحجة عليهم، ببعثة الرسل وإنزال الكتب التي تبين للناس العقائد والشرائع. وهو مذهب أهل السنة في أن الحاكم هو الله، وأن الأساس في التشريع هو النقل.

التقويم

1 – لماذا عبر القرآن الكريم عن عمل الإنسان بطائره؟

2 – كيف يكون الإنسان محاسبا لنفسه؟

3 – كيف توفق بين ما جاء في الآيات وقول النبي ﷺ: " إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه " ؟

4 – ما سبب استحقاق الهلاك الذي نزل ببعض الأقوام بعد نوح عليه السلام؟

الاستثمار

يقول الشاطبي رحمه الله في سياق عرض بعض سنن الله تعالى: " فَمِنْ ذَلِكَ: عَدَمُ الْمُؤَاخَذَةِ قَبْلَ الْإِنْذَارِ، وَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ إِخْبَارُهُ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15]، فَجَرَتْ عَادَتُهُ فِي خَلْقِهِ أَنَّهُ لَا يُؤَاخِذُ بِالْمُخَالَفَةِ إِلَّا بَعْدَ إِرْسَالِ الرُّسُلِ؛ فَإِذَا قَامَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: 29]، وَلِكُلٍّ جَزَاءُ مِثْلِهِ. وَمِنْهَا: الْإِبْلَاغُ فِي إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى مَا خَاطَبَ بِهِ الْخَلْقَ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَى أَنْزَلَ الْقُرْآنَ بُرْهَانًا فِي نَفْسِهِ عَلَى صِحَّةِ مَا فِيهِ، وَزَادَ عَلَى يَدَيْ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ مَا فِي بَعْضِهِ الْكِفَايَةُ. وَمِنْهَا: تَرْكُ الْأَخْذِ مِنْ أَوَّلِ مَرَّةٍ بِالذَّنْبِ، وَالْحِلْمُ عَنْ تعجيل المعاندين بِالْعَذَابِ، مَعَ تَمَادِيهِمْ عَلَى الْإِبَايَةِ وَالْجُحُودِ بَعْدَ وُضُوحِ الْبُرْهَانِ، وَإِنِ اسْتَعْجَلُوا بِهِ ".

[الموافقات في أصول الشريعة، للإمام الشاطبي: 200/4]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 – ماذا يشترط في التكليف والمؤاخذة من خلال النص؟

2 – متى يؤاخذ المذنبون حسب ما جاء في النص؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 18 – 22 من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

1 – أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: ٱلْعَاجِلَةَ – يَصْلَىٰهَا – مَّدْحُورًا – مَحْظُورًا – مَّخْذُولًا.

2 – أبحث عن شروط العمل الذي وصفه الله بأنه كان سعيا مشكورا.

3 – أوضح معنى قوله تعالى: ﴿مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ مستحضرا ما فيها من قراءات، ومبينا إعرابها ومعاد ضمائرها.

الدرس 6

سورة الإسراء

﴿الآيات: 18 - 22﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف مقاصد الناس بأعمالهم.

2- أن أدرك جزاء من يعمل للدنيا أو الآخرة.

3- أن أخلص في أعمالي لتحظى بالقبول يوم القيامة.

تمهيد

بعد أن ذكر المولى جل وعلا أن مصير الإنسان مرتبط بعمله، بين في هذه الآيات أن الناس في الدنيا فريقان، فريق يريد بعمله الدنيا ومنافعها وملذاتها وينسى الآخرة، وفريق يريد بعمله الآخرة ونعيمها ويعتبر الدنيا طريقا لها، فيبارك الله له في عمله ويجعله عملا مشكورا مأجورا. ولذلك فإن التفاضل بين الناس إذا كان في الدنيا بالمال والجاه، فإنه في الآخرة يكون بالدرجات في الجنة، وذلك أكبر وأفضل.

فمتى يكون عمل الإنسان وبالا عليه؟ وما هي شروط العمل المنجي لصاحبه؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (18) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا (19) كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ

مِّنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴿20﴾ اُنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴿21﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهاً اخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَّخْذُولاً ﴿22﴾ [سورة الإسراء: 18 – 22]

الفهم

الشرح:

- **اَلْعَاجِلَةَ** : الدار الدنيا.
- **يَصْلَيٰهَا** : يقاسي حرها.
- **مَذْمُوماً** : المدحور المهان المبعد المذلل المسخوط عليه.
- **مَحْظُوراً** : ممنوعا عمن يريده.
- **مَّخْذُولاً** : المخذول الذي لا ينصره من يحب أن ينصره.

استخلاص المضامين:

1– ماذا يقصد الناس بأعمالهم؟

2– فيم كانت المقارنة بين الناس في الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: الناس بين من يريد بعمله الدنيا ومن يريد الآخرة:

بين الله عز وجل في هذه الآيات أن جزاء الناس مرتبط بنواياهم، فقال: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ اُلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾: أي: من كان يريد الدنيا العاجلة ولا يعتقد غيرها، ولا يؤمن بالآخرة، فهو يفرغ أمله ومعتقده للدنيا، فإن الله يعجل لمن يريد من هؤلاء ما يشاء. فيكون الفاعل هو الله

على قراءة من قرأ (نشاء) بالنون. أو يكون الفاعل هو المريد على قراءة من قرأ (يشاء) بالياء. وقيل: الضمير في يشاء يعود على الله حتى على قراءة الياء وهو من باب الالتفات، فتكون قراءة النون والياء سواء. قال أبو حيان رحمه الله: " ولا بد من تقدير حذف دل عليه المقابل في قولـه: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ فالتقدير: من كان يريد العاجلة وسعى لها سعيها وهو كافر. وقيل: المراد من كان يريد العاجلة بعمل الآخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر، كما قال عليه السلام: " فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه " [صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ...]، وقال عليه الصلاة والسلام: " من طلب عمل الدنيا بعمل الآخرة فما له في الآخرة من نصيب " [مسند القضاعي، 293/1]، وقيل: نزلت في المنافقين وكانوا يغزون مع المسلمين للغنيمة لا للثواب " [البحر المحيط، لأبي حيان: 28/7].

ثم قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ أي: ثم يجعل الله جهنم لجميع مريدي العاجلة على جهة الكفر، من أعطاه فيها ما يشاء ومن حرمه.

وقد اشتمل هذا العقاب على أمور ثلاثة: الدوام والخلود في جهنم، وإلى ذلك الإشارة بقولـه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا﴾، والإهانة والاحتقار، وإلى ذلك أشار بقوله: ﴿مَذْمُومًا﴾. والبعد الطرد من رحمة الله دائما، وإلى هذا أشار بقوله: ﴿مَدْحُورًا﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ المعنى: ومن أراد الآخرة إرادة يقين بها فأطاع الله وطلب ما يرضيه، وهو مصدق بالله وبرسالاته وبثوابه وعظيم جزائه على سعيه لها ﴿فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ أي: فأولئك يشكر الله سعيهم ولا يشكر الله عملا ولا سعيا إلا أثاب عليه وغفر بسببه، بدليل قول النبي ﷺ في حديث الرجل الذي سقى الكلب العاطش " فشكر الله له فغفر له " [الموطأ للإمام مالك، كتاب الجامع، باب جامع الطعام والشراب]. وهكذا فقد اشترط لهذا الجزاء أمورا ثلاثة:

1 - أن يريد بعمله ثواب الآخرة ونعيمها، فإن لم تحصل هذه النية لم ينتفع بذلك العمل كما قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم الآية: 38]، وجاء في الحديث: "إنما

الأعمال بالنيـــات" [صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ...]. ولأن المقصود من الأعمال استنارة القلب بمعرفة الله تعالى ومحبته، وهذا لا يحصل إلا إن نوى العامل بعمله عبودية الله تعالى وطلب طاعته.

2 - أن يعمل العمل الذي يتوصل به إلى الفوز بثواب الآخرة، ولا يكون ذلك إلا إذا كان من القرب والطاعات، لا من الأعمال الباطلة والأفعال المحرمة. قال ابن عطية: " ثم شرط في مريد الآخرة أن يسعى لها سعيها، وهو ملازمة أعمال الخير وأقواله على حكم الشرع وطرقه ".

3 - أن يعمل ذلك وهو مؤمن؛ لأن الشرط في كون أعمال البر موجبة للثواب أن يتقدمها الإيمان، فإذا لم يوجد الشرط لم يحصل المشروط. وهذا هو الشرط الأعظم في النجاة فلا تنفع إرادة ولا سعي إلا بحصوله. [مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي: 317/20 (بتصرف)]

ثم بين سبحانه أن عطاءه ورزقه الدنيوي لا يحظر على أي من مريدي العاجلة ومريدي الآخرة، فقال: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ انتصب ﴿كُلًّا﴾ بـــ " نمد ". والتنوين عوض من المضاف إليه، أي: كل واحد من الفريقين. وأمددت الشيء إذا زدت فيه من غير نوعه، ومددته إذا زدت فيه من نوعه. وقيل: هما بمعنى واحد، يقال: مد وأمد. و﴿هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ بدل من قوله: ﴿كُلًّا﴾ فهو في موضع نصب.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ يحتمل أن يريد من الطاعات لمريدي الآخرة والمعاصي لمريدي العاجلة، وروي هذا التأويل عن ابن عباس. ويحتمل أن يريد بالعطاء رزق الدنيا، وهذا هو تأويل الحسن البصري وقتادة، أي: إن الله تعالى يرزق في الدنيا مريدي الآخرة المؤمنين ومريدي العاجلة من الكافرين، ويمدهم بعطائه منها، وإنما يقع التفاضل والتباين في الآخرة. ويتناسب هذا المعنى مع قوله: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾، أي: إن رزقه في الدنيا لا يضيق عن مؤمن ولا كافر، وقلما تصلح هذه العبارة لمن يمد بالمعاصي التي توبقه.

ثانيا: معيار التفاضل بين الناس في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يحتمل تأويلين:

قيل: انظر يا محمد إلى تفضيل الله لبعض على بعض في الرزق، ونحوه من الصور والشرف والجاه والحظوظ، وعلى هذا فإن العطاء في التي قبلها هو الرزق.

وقيل: انظر يامحمد إلى تفضيل الله قوما بأن أعطاهم الطاعات المؤدية إلى الجنة، وأعطى آخرين الكفر المؤدي إلى النار، وهذا قول الطبري.

فعلى التأويل الأول: النظر في تفضيل شخص على شخص من المؤمنين ومن الكافرين.

وعلى التأويل الثاني: النظر في تفضيل فريق على فريق.

ثم أخبر عز وجل أن التفضيل الأكبر إنما يكون في الآخرة. قال تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ وقوله تعالى: ﴿أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ﴾ ليس في اللفظ من أي شيء هو أكبر، لكنه ظاهر في المعنى والتقدير: أكبر درجات من كل ما يضاف بالوجود أو بالفرض إليها. وكذلك الأمر في قوله: ﴿وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾؛ لأن الناس متفاوتون في الآخرة، فمنهم من يكون في الدركات في جهنم وسلاسلها وأغلالها، ومنهم من يكون في الدرجات العلى في الجنة ونعيمها وسرورها. ثم أهل الدركات يتفاوتون فيما هم فيه، كما أن أهل الدرجات يتفاوتون، فإن الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض. وفي الحديث: " ذر الناس يعملون فإن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلى الجنة وأوسطها، وفوق ذلك عرش الرحمن، ومنها تفجر أنهار الجنة، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس " [سنن الترمذي، أبواب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة درجات الجنة].

ثم أشار تعالى إلى ما به تنال درجات الآخرة من البراءة من الشرك، ومن الاعتصام بالإيمان وشعبه، فقال: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾ الخطاب في الآية للرسول ﷺ، والمراد به جميع الخلق. والذم هنا لاحق من الله تعالى ومن ذوي العقول في أن يكون الإنسان يجعل عودا أو حجرا أفضل من نفسه، ويخصه بالكرامة وينسب إليه الألوهية ويشركه مع الله الذي خلقه ورزقه وأنعم عليه. والخذلان في هذا يكون بإسلام الله له وعدم نصرته.

ثالثا: مقاصد الآيات:

تهدف الآيات إلى تحقيق مجموعة من المقاصد التربوية، منها ما يأتي:

• التأكيد على توحيد الله عز وجل والنهي عن الشرك به في ألوهيته وعبادته؛ لأن الله لن ينصر من أشرك به غيره، وسيخذله ويتركه لمعبوده الذي لا ينفع ولا يضر. وفي ذلك دعوة إلى تحرير الإنسان الذي كرمه الله تعالى، وأنعم عليه بنعم كثيرة ليوحد الوجهة في عقيدته وعبادته.

• أن رزق الله وعطاءه في الدنيا يعم المؤمنين والكافرين والمطيعين والعاصين، شريطة السعي والعمل، فلا يكون عطاؤه محبوسا ممنوعا عن أحد، ولو كان كافرا أو عاصيا، ولا يرتبط التفاوت في الرزق بالإيمان والكفر؛ ولذلك فلا يستدل بما يكسبه الإنسان في الدنيا على رضا الله تعالى؛ لأن الدنيا قد تحصل للإنسان مع سوء العاقبة.

• أن التفاضل لا يكون بما يملكه الناس في الدنيا من مال أو متاع، وإنما يحصل التفاضل الحقيقي بما ينتفع به الإنسان في آخرته فينال به الدرجات العليا في الجنة، وهو الأعمال الصالحة التي يقدمها الإنسان لآخرته.

التقويـم

1 - ما هو جزاء من اقتصر في عمله على طلب الدنيا ونسي الآخرة؟

2 - ما هو معيار التفاضل بين الناس في الدنيا والآخرة؟

3 - ما هو مصير من أشرك بالله غيره؟

الاستثمار

أخرج ابن ماجه في سننه أن النبي ﷺ قال: " مَنْ كَانَت الدُّنيا هَمَّهُ، فَرّقَ اللهُ عَلَيْه أمْرَه، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، ولَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إلا ما قُسِمَ لَهُ. ومَن كَانَتِ الآخرةُ نيته، جَمَعَ اللهُ عليه أمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ في قَلْبه، وأتَتْهُ الدُّنْيَا وهي صاغرة ".

[سنن ابن ماجه، أبواب الزهد، باب الهم بالدنيا]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 – أوضح العلاقة بين مضمون الحديث والآيات موضوع الدرس.

2 – متى يكون طلب الدنيا مذموما ؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 23 – 25 من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

1 – بحث عن مدلولات العبارات الآتية: وَقَضَىٰ - أُفٍّ - وَلَا تَنْهَرْهُمَا - قَوْلًا كَرِيمًا - لِلْأَوَّابِينَ.

2 – أبحث عن مظاهر بر الوالدين في حياتهما وبعد مماتهما.

3 – أوضح معنى قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ مع بيان ما فيه من نكتة بلاغية؟

الدرس 7

سورة الإسراء

﴿الآيات: 23 - 25﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف وجوب تخصيص الله بالعبادة، والإحسان إلى الوالدين.

2- أن أستنتج من الآيات آداب معاملة الوالدين والإحسان إليهما.

3- أن أواظب على عبادة الله وحده وألتزم بتعاليم القرآن في معاملة والدي.

تمهيد

لما بين الله تعالى أن الإيمان والعمل الصالح أساس الفوز بالسعادة الأبدية، وبين الركن الأعظم في الإيمان وهو توحيد الله وعدم الشرك به، أتبع ذلك بذكر مجموعة من التكاليف الشرعية التي يقتضيها التوحيد، وبدأ بتخصيص الحق سبحانه بالعبادة، والاحتراز عن عبادة غير الله تعالى، وثنى بالإحسان إلى الوالدين.

فما الغاية من عبادة الله؟ وكيف يكون الإحسان إلى الوالدين؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي

صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ [سورة الإسراء: 23 - 25]

الفهم

الشرح:

وَقَضَىٰ : قيل من القضاء بمعنى الأمر والإيجاب، وقيل من القضاء والقدر.

أُفٍّ : أتضجر أو أتقذر أو أكره أو نحو ذلك.

وَلَا تَنْهَرْهُمَا : الانتهار إظهار الغضب في الصوت واللفظ.

قَوْلًا كَرِيمًا : قولا لينا سهلا حسنا.

لِلْأَوَّابِينَ : للتوابين أو الرجاعين إلى طاعة الله.

استخلاص المضامين:

1- بم أمر الله عز وجل الناس في بداية الآيات ؟

2- ماذا أوجب الله على الأبناء في حق والديهم ؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: أمر الله بعبادته وحده:

بعد أن ذكر الله سبحانه أن الأساس في قبول الأعمال هو الإيمان بالله وحده وعدم الإشراك به، أتبع ذلك بما يقتضيه الإيمان من عبادة ومعاملة فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ يحتمل أن يكون معنى ﴿وَقَضَىٰ﴾ في هذه الآية أمر وألزم وأوجب عليكم، وليس بمعنى القضاء والقدر؛ لأنه لو كان بمعنى القضاء والقدر لما عبد غير الله؛ لأنه لا يجوز أن يقدر الله شيئا ولا

يقع من الكثير من الناس. قال ابن عباس والحسن وقتادة: " ليس هذا قضاء حكم، بل هو قضاء أمر". وفي مصحف ابن مسعود (ووصى ربك).

ويحتمل أن يكون المراد بها القضاء والقدر، فيكون القضاء قد تعلق بالأمر بعبادة الله، لا بنفس العبادة، أي: وقضى ربك أمره ألا تعبدوا إلا إياه، أو يكون الضمير في قوله: ﴿تَعْبُدُوٓاْ﴾ للمؤمنين من الناس دون غيرهم، وبذلك تبقى قضى على مشهور موضوعها وهو معنى القضاء والقدر.

ثانيا: أمر الله بالإحسان للوالدين والتأدب في معاملتهما:

بعد أن أمر الحق سبحانه بتخصيصه وحده بالعبادة ، أردف ذلك بالأمر بالإحسان إلى الوالدين فقال: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ على التأويل الأول لمعنى ﴿وَقَضَىٰ﴾ الذي هو الأمر والإيجاب، يكون قوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ معطوفا على ﴿أَن﴾ الأولى، أي: أمر الله ألا تعبدوا إلا إياه وأن تحسنوا بالوالدين إحسانا.

وعلى التأويل الثاني لمعنى ﴿وَقَضَىٰ﴾ أي: بمعنى القضاء والقدر يكون قوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ مقطوعا من الأول؛ كأنه أخبرهم بقضاء الله، ثم أمرهم بالإحسان إلى الوالدين.

ثم فصل ما يجب من الإحسان إليهما بقوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر ﴿يَبْلُغَنَّ﴾، وروي عن ابن ذكوان (يبلغن) بتخفيف النون. وعلى القراءتين يكون قوله: ﴿أَحَدُهُمَآ﴾ فاعلا، وقوله: ﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾ معطوفا عليه.

وقرأ حمزة والكسائي (يبلغان) بالنون الثقيلة بعد ألف التثنية. وعلى هذه القراءة يكون قوله: ﴿أَحَدُهُمَآ﴾ بدلا من الضمير في يبلغان وهو بدل مقسم كقول الشاعر:

وكنت كذي رجلين: رجل صحيحة * * ورجل رمى فيها الزمان فشلت

ويجوز أن يكون ﴿أَحَدُهُمَآ﴾ فاعلا، وقوله: ﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾ عطف عليه، ويكون ذلك على لغة من قال: (أكلوني البراغيث). وقد ذكر هذا في هذه الآية بعض النحويين، وسيبويه لا يرى لهذه اللغة مدخلا في القرآن.

وقوله سبحانه: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾ فيه قراءات متعددة، ومعناه: لا تقل: تضجرت أو أتضجر. فـــــ ﴿أُفٍّ﴾ اسم فعل، وكأن الذي يريد أن يقول: أتضجر أو أتذمر أو أكره أو نحو هذا يعبر إيجازا بهذه اللفظة ﴿أُفٍّ﴾ فتعطى معنى الفعل المذكور. وجعل الله تعالى هذه اللفظة مثالا لجميع ما يمكن أن يقابل به الآباء مما يكرهون، فليس المقصود هذه اللفظة في نفسها، وإنما هي مثال للأعظم منها، والأقل، فهذا هو مفهوم الخطاب، بمعنى أن المسكوت عنه حكمه حكم المذكور.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ الانتهار إظهار الغضب في الصوت واللفظ.

ثم قال تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ والقول الكريم هو القول الجامع للمحاسن من اللين وجودة المعنى وتضمن البر، وهذا كما تقول: ثوب كريم، تريد أنه جم المحاسن. وسئل سعيد بن المسيب عن القول الكريم فقال: هو قول العبد المذنب للسيد الفظ.

ثم أمر تعالى بالمبالغة في التواضع معهما فقال: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ استعارة حيث شبه الذل بطائر ذي جناح، ثم حذف الطائر، ورمز له بشيء من لوازمه، وهو الجناح، أي: أقطعهما جانب الذل منك ودمث لهما نفسك وخلقك. وبولغ بذكر الذل هنا ولم يذكر في قوله: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 214] وذلك بحسب عظم الحق هنا.

والذل في الدواب ضد الصعوبة، ومنه الجمل الذلول، والمعنى يتقارب. وينبغي بحكم هذه الآية أن يجعل الإنسان نفسه مع أبويه في خير ذلة في أقواله واستكانته ونظره، ولا يحد إليهما بصره، فإن تلك هي نظرة الغاضب،. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: " رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف، قيل: من يارسول الله؟ قال: " من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة " [صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر، فلم يدخل الجنة].

وقوله: ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ "من " هنا لبيان الجنس، أي: إن هذا الخفض يكون من الرحمة المستكنة في النفس لا بأن يكون ذلك استعمالا، ويصح أن يكون لابتداء الغاية.

ثم أمر الله عباده بالترحم على الوالدين وذكر منتهما عليهم في التربية؛ ليكون تذكر تلك الحالة مما يزيد الإنسان إشفاقا وحنانا عليهما، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾

قال القرطبي: " أمر تعالى عباده بالترحم على آبائهم والدعاء لهم، وأن ترحمهما كما رحماك، وترفق بهما كما رفقا بك؛ إذ ولياك صغيرا جاهلا محتاجا فآثراك على أنفسهما، وأسهرا ليلهما وجاعا وأشبعاك، وتعريا وكسواك، فلا تجزيهما إلا أن يبلغا من الكبر الحد الذي كنت فيه من الصغر، فتلي منهما ما وليا منك، ويكون لهما حينئذ فضل التقدم ". [الجامع لأحكام القران، للقرطبي: 244/10]

ثم حذر الله تعالى عباده من التهاون في بر الوالدين فقال: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ أي: ربكم أعلم بما في نفوسكم من اعتقاد الرحمة بهما والحنو عليهما أو من غير ذلك، فليس ظاهر برهما إذا كان فيه الإخلاص رياء؛ لأن الله تعالى مطلع على ما في نفوسكم، وأعلم بأحوالكم الظاهرة والباطنة.

ثم وعد في آخر الآية بالغفران مع شرط الصلاح والأوبة بعد الأوبة إلى طاعة الله فقال: ﴿إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ اختلف في المراد بـ ﴿لِلْأَوَّابِينَ﴾ في الآية، فقالت فرقة: هم المصلحون، وقال ابن عباس: هم المسبحون، وقال أيضا: هم المطيعون المحسنون، وقال ابن المنكدر: هم الذين يصلون العشاء والمغرب، وقال عون العقيلي: هم الذين يصلون صلاة الضحى. وحقيقة اللفظة أنه من آب يؤوب إذا رجع، وهؤلاء كلهم لهم رجوع أبدا إلى طاعة الله تعالى. قال ابن المسيب: هو العبد يتوب ثم يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب. وفسر الجمهور ﴿لِلْأَوَّابِينَ﴾ بالرجاعين إلى الخير. وقال ابن جبير: أراد بقوله: ﴿لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ الزلة والفلتة تكون من الرجل إلى أحد أبويه، وهو لم يصر عليها بقلبه ولا علمها الله من نفسه.

ثالثا: مقاصد الآيات:

ترشد هذه الآيات إلى جملة من المقاصد التربوية، منها:

- الأمر بعبادة الله وحده وإخلاص العبودية له دون سواه، هذه العبادة التي غاية وجود الإنسان في هذه الحياة.

- الالتزام بعبادة الله هو الذي يحقق للإنسان حريته الكاملة؛ لأن العبودية الخالصة لله هي عين الحرية، وسبيل السيادة الحقيقية.

• التذكير بنعم الله الكثيرة على الإنسان، ومن أكبر هذه النعم نعمة الوالدين، اللذين جعلهما الله سببا لإيجاد الإنسان، وهيأهما لخدمته في صغره، وجعل ذلك غريزة فيهما، كما هيأ الولد أيضا لخدمة والديه في كبرهما، وأمره بالإحسان إليهما والعناية بهما.

• التأكيد على الإحسان إلى الوالدين جزاء لهما على ما أسديا لأبنائهما من مجهودات وعطايا وخدمات، ويتأكد هذا الإحسان في حالة كبرهما وعجزهما، والإحسان كما يكون ماديا بالإنفاق عليهما وجوبا أو تطوعا، يكون معنويا بخفض الجناح وإلانة الكلام والطاعة في غير معصية.

التقويم

1 – ما معنى قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ ؟

2 – ما السر في اقتران الأمر بعبادة الله بالإحسان إلى الوالدين في كثير من الآيات؟

3 – علام يدل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾ منطوقا ومفهوما؟

4 – أُوضح معنى قوله: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾ مستعينا بالقواعد البلاغية.

الاستثمار

قال فخر الدين الرازي رحمه الله: " اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ بِعِبَادَةِ نَفْسِهِ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِالْأَمْرِ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَبَيَانُ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ الْأَمْرِ بِعِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى وَبَيْنَ الْأَمْرِ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ مِنْ وُجُوهٍ:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنَّ السَّبَبَ الْحَقِيقِيَّ لِوُجُودِ الْإِنْسَانِ هُوَ تَخْلِيقُ اللهِ تَعَالَى وَإِيجَادُهُ، وَالسَّبَبُ الظَّاهِرِيُّ هُوَ الْأَبَوَانِ، فَأَمَرَ بِتَعْظِيمِ السَّبَبِ الْحَقِيقِيِّ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِالْأَمْرِ بِتَعْظِيمِ السَّبَبِ الظَّاهِرِيِّ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ الْمَوْجُودَ إِمَّا قَدِيمٌ وَإِمَّا مُحْدَثٌ، وَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ مُعَامَلَةُ الْإِنْسَانِ مَعَ الْإِلَهِ الْقَدِيمِ بِالتَّعْظِيمِ وَالْعُبُودِيَّةِ، وَمَعَ الْمُحْدَثِ بِإِظْهَارِ الشَّفَقَةِ، وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: " التَّعْظِيمُ لِأَمْرِ اللهِ وَالشَّفَقَةُ عَلَى خَلْقِ اللهِ ". وَأَحَقُّ الْخَلْقِ بِصَرْفِ الشَّفَقَةِ إِلَيْهِ هُوَ الْأَبَوَانِ لِكَثْرَةِ إِنْعَامِهِمَا عَلَى الْإِنْسَانِ. فَقَوْلُهُ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ إِشَارَةٌ

إِلَى التَّعْظِيمِ لِأَمْرِ اللهِ وَقَوْلُهُ: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ إِشَارَةٌ إِلَى الشَّفَقَةِ عَلَى خَلْقِ اللهِ.

الْوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنَّ الِاشْتِغَالَ بِشُكْرِ الْمُنْعِمِ وَاجِبٌ، ثُمَّ الْمُنْعِمُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ الْخَالِقُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَقَدْ يَكُونُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ مُنْعِمًا عَلَيْكَ، وَشُكْرُهُ أَيْضًا وَاجِبٌ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: " مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ ". وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلَائِقِ نِعْمَةٌ عَلَى الْإِنْسَانِ مِثْلَ مَا لِلْوَالِدَيْنِ". [مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي: 321/20]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 - ما السر في الأمر ببر الوالدين عقب الأمر بعبادة الله.

2 - ما معنى كون الوالدين سببا في وجود الإنسان؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 26 - 30 من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: وَلَا تُبَذِّرْ - مَغْلُولَةً - وَلَا تَبْسُطْهَا - مَحْسُورًا - وَيَقْدِرُ .

2 - أبحث في الطرق الشرعية لاكتساب المال وإنفاقه.

3 - أبين معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ مع توضيح ما فيها من نكتة بلاغية.

الدرس 8

سورة الإسراء

﴿الآيات: 26 - 30﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف بعض حقوق الأقارب والمساكين وأبناء السبيل.

2- أن أستنتج من الآيات بعض الضوابط الشرعية لإنفاق المال.

3- أن ألتزم التوسط والاعتدال في إنفاق المال.

تمهيـــد

لما أمر تعالى ببر الوالدين والإحسان إليهما، أتبع ذلك بالأمر بالإحسان إلى الأقارب الذين تجمعهم مع بعضهم رابطة القرابة، وإلى المساكين وأبناء السبيل الذين هم في أمس الحاجة إلى المساعدة لفقرهم وحاجتهم وعدم وجود من يعولهم. ثم أتبع ذلك بالنهى عن التبذير؛ لما فيه من مفاسد على الأفراد والمجتمع.

فما هي حقوق الأقارب والمساكين وأبناء السبيل؟ وما الطرق الشرعية لإنفاق المال؟

الآيـــات

قال الله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (26) إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا (27) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا (28) وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (29)

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿30﴾﴾

[سورة الإسراء: 26 – 30]

الفهـم

الشرح:

وَلَا تُبَذِّرْ : التبذير إنفاق المال في فساد أو في سرف في مباح.

مَغْلُولَةً : مقيدة بالغل، وهو القيد الذي يوضع في اليدين.

وَلَا تَبْسُطْهَا : ولا تتوسع في الإنفاق إلى درجة السرف.

مَّحْسُورًا : هو المنفق الذي قد استنفدت قوته.

وَيَقْدِرُ : يضيق.

استخلاص المضامين:

1- ما هي الفئات التي أمر الله عز وجل بإعطائها حقها؟

2- كيف ينبغي للإنسان أن ينفق ماله؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: الحث على أداء حقوق الأقارب والمساكين وأبناء السبيل:

بعد أن أمر الله عز وجل بالإحسان إلى الوالدين، عطف على ذلك أمره بالإحسان إلى الأقارب والمساكين وأبناء السبيل، قال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾، وقد اختلف المفسرون في المخاطب بالآية على قولين:

القول الأول: وهو قول الجمهور: أن الآية وصية للناس كلهم بصلة قرابتهم، خوطب بذلك

النبي ﷺ والمراد الأمة، والمقصود بالحق في هذه الآية ما يتعين لذي القربى من صلة رحم ومعونة وسد خلة ومواساة بالمال عند الحاجة، وليس النفقة المستمرة؛ لأنها لا تجب في المذهب المالكي إلا للأبناء والوالدين إذا كانوا فقراء.

القول الثاني: أنه خطاب للرسول ﷺ خاصة، فأمره الله أن يؤتي أقاربه الحقوق التي وجبت لهم من بيت المال، كما أوجب عليه أيضا إخراج حق المساكين وأبناء السبيل.

قال ابن عطية: والقول الأول أبين، ويعضده عطف المسكين وابن السبيل.

أما ﴿ٱلْمِسْكِينَ﴾ فهو الذي لا يجد قوته ولا قوت عياله، فتعطاه الصدقة وما يحتاج إليه ليفي بقوته وقوت أسرته.

وأما ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ هنا فيعم الغني والفقير؛ إذ لكل واحد منهما حق وإن اختلفا.

ثانيا: الآداب الشرعية لإنفاق المال:

قال تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ التبذير إنفاق المال في فساد أو في سرف في مباح. قال مجاهد: لو أنفق إنسان ماله كله في الحق لم يكن مبذرا، ولو أنفق مدا في غير حق كان مبذرا. وقال قتادة: التبذير النفقة في معصية الله تعالى وفي غير الحق والفساد.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ هذا تعليل للنهي، وهو غاية في الذم والتقبيح أي: إن المبذرين كانوا أمثال الشياطين وأشباههم في الإفساد؛ لأنهم ينفقون في الباطل وينفقون في الشر والمعصية فهم أمثالهم.

ويحتمل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ﴾ أن يكون اسم جنس، ويحتمل أن يعني أهل مكة خاصة، ذكره أبو بكر النقاش.

وقوله تعالى: ﴿كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ يعني أنهم في حكمهم؛ إذ المبذر ساع في فساد والشيطان أبدا ساع في فساد. وإخوان جمع أخ من غير النسب، وقد يشذ، ومنه قوله تعالى في سورة النور ﴿أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ إِخْوَٰنِهِنَّ﴾ [النور: 31] والإخوة جمع أخ في النسب؛ وقد يشذ، ومنه قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10].

ثم ذكر تعالى كفر الشيطان ليقع التحذير من التشبه به في الإفساد مستوعبا بينا ﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا﴾ أي: جحودا؛ لأنه أنكر نعمة الله عليه فأقبل على معصيته ومخالفته.

وقوله سبحانه: ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا﴾، الضمير في ﴿عَنۡهُمُ﴾ عائد على من تقدم ذكره من المساكين وبني السبيل، فأمر الله تعالى نبيه في هذه الآية إذا سأله منهم أحد فلم يجد عنده ما يعطيه فقابله رسول الله ﷺ بالإعراض تأدبا منه في أن لا يرده تصريحا وانتظار الرزق من الله تعالى يأتي فيعطي منه، أن يكون يؤنسه بالقول الميسور، وهو الذي فيه الترجية بفضل الله تعالى والتأنيس بالميعاد الحسن والدعاء في توسعة الله تبارك وتعالى وعطائه. وروي أنه ﷺ كان يقول بعد نزول هذه الآية إذا لم يكن عنده ما يعطي: " يرزقنا الله وإياكم من فضله ". وعلى هذا قيل: إن الآية نزلت في عمار بن ياسر وصنفه.

والمراد بالرحمة على هذا التأويل الرزق المنتظر، وهذا قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة. وقال ابن زيد: الرحمة الأجر والثواب، وإنما نزلت الآية في قوم كانوا يسألون رسول الله ﷺ فيأبى أن يعطيهم؛ لأنه ﷺ كان يعلم منهم نفقة المال في فساد، فكان يعرض عنهم رغبة الأجر في منعهم؛ لئلا يعينهم على فسادهم، فأمره الله تعالى بأن يقول لهم قولا ميسورا يتضمن الدعاء في الفتح لهم والإصلاح.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا﴾ استعير الغل إلى العنق لليد المقبوضة عن الإنفاق جملة المتصفة بالبخل، واستعير البسط لليد التي تستنفد جميع ما عندها غاية، وهو ضد الغل. وكل هذا في إنفاق الخير، وأما إنفاق الفساد فقليله وكثيره حرام. وهذه الآية ينظر إليها قول النبي ﷺ: " مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده، حتى تخفي بنانه وتعفو أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها، فهو يوسعها ولا تتسع " [صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب مثل المتصدق والبخيل] وقال ابن جريج وغيره في معنى هذه الآية: لا تمسك عن النفقة فيما أمرتك به من الحق، ولا تبسطها كل البسط فيما نهيتك عنه.

قال ابن عطية: وإنما نهت هذه الآية عن استفراغ الوجد فيما يطرأ أولا من سؤال المؤمنين؛ لئلا يبقى من يأتي بعد ذلك لا شيء له، أو لئلا يضيع المنفق عيالا ونحوه. ومن كلام الحكمة: ما رأيت قط سرفا إلا ومعه حق مضيع. وهذه من آيات فقه الحال، ولا يبين حكمها إلا باعتبار شخص من الناس.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي: كن أنت يا محمد على ما رسم لك من الاقتصاد وإنفاق القوام ولا يهمنك فقر من تراه كذلك؛ فإنه بمرأى من الله ومسمعه وبمشيئته.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ أي: إن الله يعلم مصلحة قوم في الفقر ومصلحة آخرين في الغنى. وقال بعض المفسرين وحكاه الطبري: إن الآية إشارة إلى حال العرب التي كانت يصلحها الفقر، وكانت إذا شبعت طغت وقتلت غيرها وأغارت، وإذا كان الجوع والقحط شغلهم.

ثالثا: مقاصد الآيات:

ترشد هذه الآيات إلى تحقيق جملة من المقاصد التربوية، منها:

- الحث على التكافل الأسري والمجتمعي والتضامن الإنساني من خلال الإحسان إلى ذوي القربى ثم المساكين ثم أبناء السبيل.

- التأكيد على حقوق الناس، وأن في مال الأغنياء حقوقا سوى الزكاة، فقد جمع الله تعالى في أية واحدة ثلاثة حقوق مرتبة: حق القريب، وحق المسكين، وحق ابن السبيل؛ لأن المسكين في الغالب يكون ابن بيئتك، وابن السبيل غريب، فحق القريب مقدم، ثم ابن القرية والمدينة التي تسكنها، ثم المسافر الغريب.

- النهي عن التبذير في إنفاق المال في المباح، أو إنفاقه في غير مصلحة؛ والنهي عن البخل والتقتير، لأن كل ذلك مخالف للشرع؛ فالمال مال الله؛ والإنسان إنما هو مستخلف فيه، فينبغي أن ينفقه كما يأمر به الله الذي استخلف فيه الإنسان.

• أن إنفاق المال في سبيل الله وفي وجوهه المشروعة هو من شكر نعم الله على الإنسان، ومنها المال نفسه الذي هو مال الله الذي استخلف فيه الإنسان لينفقه على الوجه المشروع وقادر على منعه، فهو الذي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويضيقه عمن يشاء لحكمة يعلمها سبحانه.

التقويـم

1 – ما هي الحقوق التي أمر الله سبحانه بإعطائها لذوي القربى والمساكين وأبناء السبيل؟

2 – ما هي الطرق الشرعية لإنفاق المال ؟

3 – لماذا اهتم الإسلام بطرق اكتساب المال وإنفاقه؟

الاستثمار

قال الإمام الطبري رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾: " وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْمُمْتَنِعِ مِنَ الْإِنْفَاقِ فِي الْحُقُوقِ الَّتِي أَوْجَبَهَا فِي أَمْوَالِ ذَوِي الْأَمْوَالِ، فَجَعَلَهُ كَالْمَشْدُودَةِ يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ، الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى الْأَخْذِ بِهَا وَالْإِعْطَاءِ". [جامع البيان للطبري: 17/433].

تأمل النص وأجب عما يأتي:

1 – أبرز الوجه البلاغي الوارد في الآية.

2 – أستثمر مكتسباتي في الفقه لأبين الحقوق التي أوجبها الله تعالى في المال، وآثارها الإيمانية والاجتماعية والاقتصادية.

3 – أتحدث من خلال مكتسباتي عن خلقي الجود والبخل، مستحضرا بعض النصوص القرآنية والحديثية والأدبية في هذا الموضوع.

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 31 – 33 من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

1 – أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: – خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ – خِطْـًٔا – فَٰحِشَةً – فَلَا يُسْرِف – مَنصُورًا .

2 – أبحث عن الحق في الحياة في الشريعة الإسلامية انطلاقا من الآيات موضوع الدرس المقبل.

3 – أوضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ﴾ مستعينا بمكتسباتي النحوية والبلاغية.

الدرس 9

سورة الإسراء

﴿الآيات: 31 - 33﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف الحقوق التي تضمنتها الآيات.

2- أن أستنتج من الآيات حرمة الأنفس والأعراض عند الله وخطورة الاعتداء عليها.

3- أن أتمثل الإحصان والعفة وأتجنب كل وجوه الاعتداء على الغير.

تمهيد

بعد الأمر بالإحسان إلى الوالدين والأقارب والمساكين وأبناء السبيل، جاءت هذه الآية لتنهى عن قتل الأولاد خشية الفقر، والاقتراب من الزنا، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق؛ لأن ذلك كله يؤدي إلى المساس بالمقاصد الكبرى التي جاءت الشريعة الإسلامية لحفظها، وينشر الخوف وعدم الاستقرار في المجتمع.

فلماذا شدد الشرع في تحريم قتل الأنفس؟ وما هي مخاطر الاستهانة بالنفوس البشرية؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا (31) وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا (32) وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا (33)﴾ [سورة الإسراء: 31 - 33]

الفهم

الشرح:

إِمْلَٰقٍ : الإملاق الفقر والحاجة.

خِطْـًٔا : ذنبا.

فَٰحِشَةً : الفاحشة ما يستتر به من المعاصي لقبحه.

سُلْطَٰنًا : حجة.

فَلَا يُسْرِف : فلا يتجاوز الحد المشروع فيه.

مَنصُورًا : مؤيدا معانا.

استخلاص المضامين:

1- ما هي وصية الله للوالدين بشأن أولادهم في الآيات؟

2- بماذا علل القرآن الكريم تحريم الزنا؟

3- بم أوصى القرآن الكريم بخصوص الأنفس عموما؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: النهي عن قتل الأولاد خشية الفقر:

لما بين تعالى أنه يبسط الرزق لمن يشاء من عباده، أتبعه بالنهي عن قتل الأولاد خشية الفقر والحاجة؛ فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ الولد يعم الذكر والأنثى من البنين، لكن المراد هنا خصوص البنات؛ لأنهن اللاتي جرت عادة العرب بقتلهن وأدا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ⑧ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: 8-9]، وجرى الضمير على اعتبار اللفظ في قوله نرزقهم. وقد غير أسلوب الإضمار من الإفراد إلى الجمع؛ لأن المنهي عنه

هنا من أحوال الجاهلية، زجرا لهم عن فعلهم الشنيع، يقال: كان جهلهم يبلغ بهم أن يغذي أحدهم كلبه ويقتل ولده.

وانتصب ﴿خَشْيَةَ﴾ على المفعول من أجله، والإملاق الفقر والحاجة، يقال: أملق الرجل لم يبق له إلا الملقات وهي الحجارة العظام الملس السود. والمعنى: لا تقتلوا أولادكم خشية الفقر، فوعظهم الله في ذلك، وأخبرهم أن رزقهم ورزق أولادهم على الله، قال تعالى: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾. وقد ذكر المفسرون أنه سبحانه قدم ضمير الأولاد هنا لأن الإملاق مترقب من الإنفاق عليهم، وهو غير حاصل في حال القتل، عكس آية الأنعام فإن سياقها يدل على أن الإملاق حاصل عند القتل، والقتل كان للعجز عن الإنفاق.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءًا كَبِيرًا﴾ هذا تعليل للنهي عن قتل الأولاد. وقرأ الجمهور ﴿خِطْءًا﴾ بكسر الخاء وسكون الطاء وبالهمز بدون ألف، وقرأ ابن عامر (خطئا) بفتح الخاء والطاء والهمزة، وهي قراءة أبي جعفر. وهاتان قراءتان مأخوذتان من خطىء إذا أتى الذنب على عمد، فهي كحذر وحذر ومثل ومثل وشبه وشبه، اسم ومصدر. قال الزجاج: يقال خطىء الرجل يخطأ خطأ مثل أثم إثما، فهذا هو المصدر، وخطأ اسم منه. وقال بعض العلماء خطىء معناه واقع الذنب عامدا، ومنه قوله تعالى: ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ [الحاقة: 37] . وأخطأ واقع الذنب عن غير تعمد، ومنه قوله تعالى: ﴿إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: 285] ، وقال أبو علي: الفارسي: وقد يقع هذا موضع هذا.

ولا شك أن قتل الأولاد إن كان لخوف الفقر فهو سوء ظن بالله، وإن كان لأجل الغيرة على البنات فهو سعي في تخريب العالم، فالأول ضد التعظيم لأمر الله تعالى، والثاني: ضد الشفقة على خلق الله تعالى، وكلاهما مذموم.

ولما كانت قرابة الأولاد قرابة الجزئية والبعضية، كانت من أعظم الموجبات للمحبة، فلو لم تحصل المحبة دل ذلك على غلظ شديد في الروح، وقسوة في القلب، وذلك من أعظم الأخلاق الذميمة، فرغب الله في الإحسان إلى الأولاد إزالة لهذه الخصلة الذميمة. [مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي: 331/20].

وعن عبد الله بن مسعود قال: " قلت يا رسول الله، أي: الذنب أعظم؟ قال: " أن تجعل لله ندا وهو خلقك ". قلت: ثم أي؟ قال: " أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك ". قال: ثم أي؟ قال: " أن تزاني حليلة جارك " [صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قتل الولد خشية أن يأكل معه].

ثانيا: النهي عن فاحشة الزنا:

بعد ما نهى الحق سبحانه عن قتل الأولاد، نهى هنا عن التسبب في إيجادهم من الطريق غير المشروعة، فنهى عن الاقتراب من الزنا، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾ القرب المنهي عنه هو أقل الملابسة، وهو كناية عن شدة النهي. والزنا: وطء المرأة بدون عقد شرعي يجيز للرجل وطأها. وهو يمد ويقصر، فمن قصره الآية الكريمة، وهي لغة جميع كتاب الله، ومن مده قول الفرزدق:

أبا حاضـــر من يزن يظهر زناؤه * ومن يشرب الصهباء يصبح مسكرا

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ تعليل للنهي عن قرب الزنا، والنهي عن قربانه أبلغ؛ لأنه يشمل أي صورة من صور ملابسته، ويؤكد ذلك وصفه بالفاحشة الدال على فعلة بالغة الحد الأقصى في القبح. والفاحشة ما يستتر به من المعاصي لقبحه. ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ سبيلا منصوب على التمييز، التقدير وساء سبيله سبيلا؛ لأنه يؤدي إلى النار.

ثالثا: النهي عن قتل النفس:

بعد ما نهى الله عز وجل عن قتل الأولاد وعن إيجادهم من الطريق غير المشروعة، نهى عن قتل النفس، فانتقل من الخاص إلى العام، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ الظاهر أن هذه كلها منهيات مستقلة وليست معطوفة على ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾، ومندرجة تحتها كاندراج ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾، خلافا للطبري الذي يرى أنها عطف على قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا﴾ [الإسراء: 23]. والألف واللام التي في ﴿النَّفْسَ﴾ هي للجنس فتشمل الصغير والكبير والذكر والأنثى والمسلم وغير المسلم..إلخ.

وقوله سبحانه: ﴿حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ حذف العائد من الصلة إلى الموصول؛ لأنه ضمير منصوب بفعل الصلة، وحذفه كثير. والتقدير: حرمها الله. وعلق التحريم بعين النفس، والمقصود تحريم قتلها.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بـــ ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ﴾ والاستثناء مفرغ، والباء للسببية، أي: لا تقتلوا النفس التي حرم الله في حال من الأحوال إلا بالحق، أي: العدل، وهو الحال الذي ترتكب فيه ما يوجب قتلها. وتعيين هذا الحق المبيح لقتل النفس موكول إلى من لهم تعيين الحقوق، وهي تلك الحقوق التي يقرها الشرع، وبناء على حكم قضائي نهائي، وهي من مهام الدولة وليس من مهام الأفراد.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ﴾ قوله تعالى: ﴿مَظْلُومًا﴾ نصب على الحال، ومعناه بغير الحق المذكور سابقا.

والمراد بقوله: ﴿لِوَلِيِّهِۦ﴾: من يلي أمر المقتول، كأبيه وابنه وأخيه وغيرهم من أقاربه الذين لهم الحق في المطالبة بدمه. فإن لم يكن للمقتول ولي فالحاكم وليه.

ومعنى قوله: ﴿سُلْطَٰنًا﴾ الحجة والملك الذي جعل إليه من التخير في قبول الدية أو العفو، قاله ابن عباس والضحاك. وقال قتادة: السلطان القود.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ﴾ قرأها نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم ﴿فَلَا يُسْرِف﴾ بالياء، وهي قراءة الجمهور، أي: الولي لا يتعدى أمر الله، والتعدي هو أن يقتل غير قاتل وليه من سائر القبيل، أو يقتل اثنين بواحد، وغير وذلك من وجوه التعدي، وهذا كله كانت العرب تفعله، فلذلك وقع التحذير منه. وقالت فرقة: المراد بقوله: " فلا يسرف " أي: القاتل الذي يتضمنه الكلام، والمعنى فلا يكن أحدٌ من المسرفين بأن يقتل نفسا؛ فإنه يحصل في ثقاف هذا الحكم.

وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي (فلا تسرف في القتل) بالتاء من فوق، قال الطبري: على معنى الخطاب للنبي عليه السلام والأئمة بعده، أي: فلا تقتلوا غير القاتل. قال ابن عطية: ويصح أن يراد به الولي، أي: فلا تسرف أيها الولي في قتل أحد يتحصل في هذا الحكم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ تعليل للنهى عن الإسراف في القتل، والضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ قيل: يعود إلى الولي، وقيل يعود إلى المقتول ظلما، وهو الذي رجحه ابن عطية

حيث يقول: " وهو عندي أرجح الأقوال؛ لأنه المظلوم، ولفظة النصر تقارن أبدا الظلم، كقوله عليه الصلاة والسلام: " ونصر المظلوم، وإجابة الداعي، وإبرار المقسم " [صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب نصر المظلوم] وكقوله: " انصر أخاك ظالما أو مظلوما " [صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب أعن أخاك ظالما أو مظلوما].

رابعا: مقاصد الآيات:

تهدف هذه الآيات إلى حماية مجموعة من المقاصد الشرعية، منها:

• حماية حق الطفل في الأسرة، وأن يعيش سليما مطمئنا بين أفراد أسرته، وتحت نفقتهم ورعايتهم حتى يبلغ رشده، ويشتد ساعده، ويقوى على مجابهة الحياة؛ ولهذا نهى القرآن الكريم عن تعريض الأبناء لأي اعتداء يمس حياتهم ويعرضها للخطر، ومن باب أولى قتلهم مهما كانت الأسباب.

•حماية حق الإنسان في الحياة والحفاظ على النفس، وقد اعتبرته الشريعة الإسلامية من الضروريات التي جاءت لحمايتها، وأي إخلال به يؤدي إلى اختلال نظام الحياة، فقد أكد الإسلام على حرمة النفس البشرية واعتبر قتلها قتلا للناس جميعا. قال تعالى: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ﴾ [المائدة: 34] وقال النبي ﷺ: " لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق" [سنن ابن ماجه، أبواب الديات، باب التغليظ في قتل مسلم ظلما] وقال ﷺ: " من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما " [صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم].

• حماية الحق في النسب الطاهر والشرف والكرامة والعرض من خلال النهي عن الزنا لما يترتب عليه من مفاسد تتعلق باختلاط الأنساب والطلاق وهدم الأسرة وإهمال الأطفال، وقد يؤدي الأمر إلى جرائم القتل بدافع الغيرة على الأعراض.

التقويم

1 – ما الذي كان يدعو أهل الجاهلية إلى قتل بناتهم، وكيف رد عليهم القرآن الكريم؟

2 – لماذا قال القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾ ولم يقل: ولا تزنوا؟

3 – قرأ حمزة والكسائي ﴿فَلَا يُسْرِف﴾ بتاء الخطاب، ما هو مرجع الضمير في هذه القراءة؟ وماذا نستفيد منها؟

الاستثمار

"وَمِنْ دَلَالَةِ الْإِشَارَةِ أَنَّ قَوْلَهُ: فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً إِشَارَةٌ إِلَى إِبْطَالِ تَوَلِّي وَلِيِّ الْمَقْتُولِ قَتْلَ الْقَاتِلِ دُونَ حُكْمٍ مِنَ السُّلْطَانِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مَظِنَّةٌ لِلْخَطَأِ فِي تَحْقِيقِ الْقَاتِلِ، وَذَرِيعَةٌ لِحُدُوثِ قَتْلٍ آخَرَ بِالتَّدَافُعِ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ وَأَهْلِ الْقَاتِلِ، وَيَجُرُّ إِلَى الْإِسْرَافِ فِي الْقَتْلِ، الَّذِي مَا حَدَثَ فِي زَمَانِ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا بِمِثْلِ هَذِهِ الذَّرِيعَةِ". [التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور 96/15].

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 – من له الحق في تطبيق العقوبة على القاتل؟

2 – لماذا منع الإسلام أن يقتص كل واحد لنفسه؟ وماذا يترتب على القصاص الشخصي؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 34 – 36 من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

1 – أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: أَشُدَّهُۥ – مَسْـُٔولًا – بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ – تَأْوِيلًا – وَلَا تَقْفُ.

2 – أبحث عن أهمية حفظ المال وحمايته وتنميته من خلال الآيات.

3 – أوضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ مبينا أقوال المفسرين والأصوليين في الرد على من احتج بها على رفض الاحتجاج بخبر الآحاد؟

الدرس 10

سورة الإسراء

﴿الآيات: 34 - 36﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف ما أمر الله به أو نهى عنه في الآيات.

2- أن أستنتج من الآيات حرمة مال اليتيم وخطورة استغلاله.

3- أن ألتزم بالأوامر والنواهي الشرعية طاعة لله تعالى طالبا للحلال مبتعدا عن الحرام.

تمهيد

بعد ما نهى الحق سبحانه عن إتلاف النفوس، أتبع ذلك بالنهي عن إتلاف الأموال؛ لأنها أعز الأشياء بعد النفوس، وخص منها أموال اليتامى؛ لأنهم أكثر الناس حاجة للحماية، ثم أمر سبحانه بالوفاء بالعهود وإيفاء المكاييل والموازين، ونهى الإنسان عن اتباع ما لا علم له به من قول أو عمل.

فكيف للأوصياء إدارة أموال اليتامى دون الوقوع في الحرام؟ وكيف للإنسان أن يتحرى العدل في المكاييل والموازين؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (34) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (35) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (36)﴾

[سورة الإسراء: 34 - 36]

الفهم

الشرح :

أَشُدَّهُۥ : قوته في العقل والتجربة والنظر لنفسه.

مَسْـُٔولًا : مطلوبا.

بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ : بالميزان السوي المعتدل.

تَأْوِيلًا : مآلا وعاقبة.

وَلَا تَقْفُ : ولا تقل ولا تتبع.

استخلاص المضامين:

1- عم نهى الله عز وجل في بداية الآيات؟

2- ما هي الأوامر الثلاثة التي أمر بها الله عز وجل؟

3- عم نهى الله عز وجل في نهاية الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: النهي عن أكل مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن:

بعد أن نهى الله تعالى عن إتلاف الأنفس نهى هنا عن إتلاف الأموال، وخص من ذلك أموال اليتيم فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، الخطاب للأوصياء الذين يخالطون مال اليتامى، وكذا لكل من تلبس بشيء من أموال اليتيم من غير الأوصياء. واليتيم الفرد من الأبناء، واليتم الانفراد، يقال: يتم الصبي ييتم إذا فقد أباه. قال ابن السكيت: اليتم في البشر من قبل الأب، وفي البهائم من قبل الأم. وعن الماوردي أن اليتم في البشر من قبل الأم أيضا. وجمعه أيتام كشريف وأشراف وشهيد وأشهاد. ويجمع على يتامى كأسير وأسارى.

وقوله سبحانه: ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: إلا بالحالة التي هي أحسن، فاسم الموصول صفة لموصوف محذوف، يقدر مناسبا للموصول الذي هو اسم للمؤنث، فيقدر بالحالة أو الخصلة. والباء للملابسة، أي: إلا ملابسين للخصلة أو الحالة التي هي أحسن حالات القرب، و﴿أَحْسَنُ﴾ اسم تفضيل على غير بابه، أي: الحسنة، وهي النافعة التي لا ضرر فيها لليتيم ولا لماله.

وقد اختلف في المراد بالحالة التي هي أحسن: قيل: إلا بالتصرف الذي ينميه ويكثره، وقيل: المراد هو أن تأكل معه إذا احتجت إليه.

وروى مجاهد عن ابن عباس أنه قال: إذا احتاج أكل بالمعروف، فإذا أيسر قضاه، فإن لم يوسر فلا شيء عليه. وقال مالك رحمه الله: يأخذ منه أجرة بقدر تعبه. فهذه كلها تدخل فيما هو أحسن.

وقوله سبحانه: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ غاية الإمساك عن مال اليتيم؛ لأن الولي إنما تكون ولايته على اليتيم إلى غاية النكاح؛ لقوله: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: 6] وما بعد هذه الغاية موقوف حتى يقوم فيه دليل شرعي أو يقتضي ذلك الاتفاق في النازلة.

والأشد جمع شد عند سيبويه، وقال أبو عبيدة: لا واحد له من لفظه. ومعناها قواه في العقل والتجربة والنظر لنفسه؛ وذلك لا يكون إلا مع البلوغ. و(الأشد) في مذهب مالك أمران: البلوغ بالاحتلام أو ما يقوم مقامه حسب الخلاف في ذلك، والرشد في المال.

واختلف هل من شروط ذلك الرشد في الدين على قولين، فابن القاسم لا يراعيه إذا كان ضابطا لماله، وراعاه غيره من بعض أصحاب مالك. ومذهب أبي حنيفة أن الأشد هو البلوغ فقط، فلا حجر عنده على بالغ إلا أن يعرف منه السفه.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: "لما أنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: 153] و ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء: 10]، الآية، انطلق من كان عنده يتيمٌ فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه، فجعل يفضل من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول

الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ [البقرة: 218]، فخلطوا طعامهم بطعامه وشرابهم بشرابه". [سنن أبي داود، كتاب الوصايا، باب مخالطة اليتيم في الطعام].

ثانيا: الأمر بالوفاء بالعهد والإيفاء في الكيل والوزن بالعدل:

بعد أن نهى الله سبحانه عن أمور ثلاثة وهي الزنا والقتل وأكل مال اليتيم أتبعها بالأمر بأمور ثلاثة:

الأمر الأول: هو قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾، قوله: ﴿بِٱلْعَهْدِ﴾ لفظ عام لكل عهد وعقد بين الإنسان وبين ربه، أو بينه وبين المخلوقين في طاعة. أي: أوفوا بكل العهود التي عاهدتم بها، سواء كانت مع الله أو مع الناس؛ لأنكم ستسألون عنها يوم القيامة. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ أي: مطلوبا ممن عهد إليه أو عوهد، هل وفى به أم لا؟ وهو تعليل للأمر بالوفاء بالعهد، وإعادة لفظ العهد في مقام إضماره للاهتمام به، وحذف متعلق مسؤولا لظهوره.

الأمر الثاني: هو قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾، فقد أمر الله تعالى في هذه الآية أهل التجارة والكيل والوزن أن يعطوا الحق في كيلهم ووزنهم. وروي عن ابن عباس أنه كان يقف في السوق ويقول: يامعشر الموالي، إنكم وليتم أمرين بهما هلك الناس قبلكم، هذا المكيال وهذا الميزان. قال ابن عطية: وتقتضي هذه الآية أن الكيل على البائع؛ لأن المشتري لا يقال له: أوف الكيل، هذا ظاهر اللفظ والسابق منه.

الأمر الثالث: هو قوله تعالى: ﴿وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾، القسطاس الميزان، والمراد به جنس الموازين المعدلة على أي صفة كانت، وقال مجاهد: القسطاس هو العدل بالرومية، وقيل: هو استعارة للعدل لا أنه آلة.

وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف، وباقي السبعة بضمها، وهما لغتان. وقرأت فرقة بالإبدال من السين الأولى صادا. قال ابن عطية: ولا يجوز أن يكون من القسط لاختلاف المادتين

لأن القسط مادته ق س ط، وذلك مادته: (ق س ط س).

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ جملة ذلك خير مستأنفة، والإشارة إلى المذكور وهو الكيل والوزن المستفاد من فعلي ﴿كِلْتُمْ﴾ ﴿وَزِنُوا﴾، و﴿خَيْرٌ﴾ اسم تفضيل، أي: وفاء الكيل وإقامة الوزن خير لكم من التطفيف. والمراد بـ ﴿تَأْوِيلًا﴾ في الآية المآل والعاقبة، قاله قتادة. ويحتمل أن يكون التأويل مصدر تأول أي: يتأول عليكم الخير في جميع أموركم إذا أحسنتم في الكيل والوزن. والواجب على المكلف هو تحري الحق في الكيل والوزن، فإن حصل للإنسان بعد تحريه شيء يسير من التطفيف الذي لم يقصده فإن إثمه موضوع، وذلك ما لا يمكن الانفكاك عنه في وسع.

ثالثا: نهي الناس عن اتباع ما لا يعلمون:

بعد الأمر بالوفاء بالعهد والإيفاء في الكيل والعدل في الوزن عاد القرآن الكريم للنهي عن اتباع ما لا يعلم فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ معناه: ولا تقل ولا تتبع. قال ابن عطية: لكنها لفظة تستعمل في القذف والتهمة، ومنه قول النبي صلى الله عليه سلم: "نحن بنو النضر لا نقفو أمنا ولا ننتفي من أبينا" ، ونقول: فلان قفوتي أي: موضع تهمتي، وتقول العرب: رب سامع عذرتي ولم يسمع قفوتي أي: ما رميت به، وهذا مثل للذي يفشي سره ويعتذر من ذنب لم يسمعه المعتذر إليه. وقد قال ابن عباس أيضا ومجاهد: ولا تقف معناه: ولا ترم. وأصل هذه اللفظة من اتباع الأثر، تقول: قفوت الأثر. ويشبه أن يكون هذا مأخوذا من القفا، ومنه قافية الشعر لأنها تقفو البيت.

فمعنى الآية، ولا تتبع لسانك من القول ما لا علم لك به. وذهب منذر بن سعيد البلوطي القرطبي إلى أن قفا وقاف مثل جبذ وجذب. فهذه الآية بالجملة تنهى عن قول الزور والقذف وما أشبه ذلك من الأقوال الكاذبة الردية.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ هذا تعليل للنهي السابق، وعبر عن السمع والبصر والفؤاد بـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ لأنها حواس لها إدراك، وجعلها في هذه الآية مسؤولة، وهي حالة من يعقل، فلذلك عبر عنها بـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾. وقد قال سيبويه رحمه الله

في قوله تعالى: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: 4]: إنه إنما قال: رأيتهم في نجوم؛ لأنه لما وصفها بالسجود وهو من فعل من يعقل، عبر عنها بكناية من يعقل.

والضمير في ﴿عَنْهُ﴾ يعود على ما ليس للإنسان به علم. ويكون المعنى أن الله تعالى يسأل سمع الإنسان وبصره وفؤاده عما قال مما لا علم له به، فيقع تكذيبه من جوارحه، وتلك غاية الخزي. ويحتمل أن يعود الضمير في ﴿عَنْهُ﴾ على ﴿كُلُّ﴾ التي هي للسمع والبصر والفؤاد، والمعنى: أن الله تعالى يسأل الإنسان عما حواه سمعه وبصره وفؤاده، فكأنه قال: كل هذا كان الإنسان عنه مسؤولا، أي: عما حصل لهؤلاء من الإدراكات، ووقع منها من الخطأ، فالتقدير: كان عن أعمالها مسؤولا، فالكلام على حذف مضاف.

ثالثا: مقاصد الآيات:

ترشد هذه الآيات إلى تحقيق جملة من المقاصد التربوية، منها:

• الحفاظ على حقوق اليتامى وعدم التجرؤ على أموالهم واستغلال ضعفهم بسبب صغرهم وفقدهم آباءهم، وهو مظهر من مظاهر التكافل والتضامن بين الناس.

• الحفاظ على حقوق الناس في المعاملات والعدل في المكاييل والموازين، وعدم التطفيف فيها، والوفاء بالعهود والالتزامات بصفة عامة، سواء تعلق الأمر بحقوق الله أو حقوق العباد.

• الوفاء بالحقوق وأداؤها إلى أصحابها كاملة غير منقوصة، واستحضار المراقبة الإلهية في ذلك، يسهم في تخليق الحياة العامة والخاصة والاستقرار والثقة في المعاملات بين الناس، والازدهار الاقتصادي والتجاري في البلاد.

• التثبت في الأخبار وتجنب كل أنواع التضليل والكذب والقذف وإلصاق التهم بالآخرين يعزز المودة والألفة بين الناس، ويجنبهم الوقوع في الأضرار والمهالك التي تبنى على أقوال كاذبة وشكايات كيدية.

التقويم

1 – ما الذي يجوز للولي أخذه من مال اليتيم؟

2 – ما معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾؟

3 – ما حكم الوفاء بالعهود؟ وهل يجبر الإنسان قضاء على الوفاء بالتزام قطعه على نفسه؟

4 – ما الذي يمكنك استنتاجه من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾؟

الاستثمار

يقول فخر الدين الرازي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ﴾: " وَحَاصِلُ الْقَوْلِ فِيهِ: أَنَّ مُقْتَضَى هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ كُلَّ عَقْدٍ وَعَهْدٍ جَرَى بَيْنَ إِنْسَانَيْنِ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِمَا الْوَفَاءُ بِمُقْتَضَى ذَلِكَ الْعَقْدِ وَالْعَهْدِ، إِلَّا إِذَا دَلَّ دَلِيلٌ مُنْفَصِلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجِبُ الْوَفَاءُ بِهِ. فَمُقْتَضَاهُ الْحُكْمُ بِصِحَّةِ كُلِّ بَيْعٍ وَقَعَ التَّرَاضِي بِهِ، وَبِصِحَّةِ كُلِّ شَرِكَةٍ وَقَعَ التَّرَاضِي بِهَا، وَيُؤَكِّدُ هَذَا النَّصَّ بِسَائِرِ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ وَالْعُقُودِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟﴾ [البقرة: 176] وَقَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: 8] وَقَوْلِهِ: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾ [البقرة: 274] وَقَوْلِهِ: ﴿لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء: 29] وَقَوْلِهِ: ﴿وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: 281]، وَقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: " لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا عَنْ طِيبَةٍ مِنْ نَفْسِهِ " [السنن الكبرى للبيهقي: كتاب الغصب، باب من غصب لوحا فأدخله في سفينة أو بنى عليه جدارا]، وَقَوْلِهِ: " إِذَا اخْتَلَفَ الْجِنْسَانِ فَبِيعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ يَدًا بِيَدٍ "، [صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب الصرف وبيع الذهب بالورق نقدا]، وَقَوْلِهِ: " مَنِ اشْتَرَى شَيْئًا لَمْ يَرَهُ فَهُوَ بِالْخِيَارِ إِذَا رَآهُ " [السنن الكبرى للبيهقي: كتاب البيوع، باب من قال يجوز بيع العين الغائبة].

فَجَمِيعُ هَذِهِ الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْبِيُوعَاتِ وَالْعُهُودِ وَالْعُقُودِ الصِّحَّةُ وَوُجُوبُ الِالْتِزَامِ. إِذَا ثَبَتَ هَذَا فَنَقُولُ: إِنْ وَجَدْنَا نَصّاً أَخَصَّ مِنْ هَذِهِ النُّصُوصِ يَدُلُّ عَلَى الْبُطْلَانِ وَالْفَسَادِ قَضَيْنَا بِهِ تَقْدِيمًا لِلْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ، وَإِلَّا قَضَيْنَا بِالصِّحَّةِ فِي الْكُلِّ، وَأَمَّا تَخْصِيصُ النَّصِّ بِالْقِيَاسِ فَقَدْ أَبْطَلْنَاهُ. وَبِهَذَا الطَّرِيقِ تَصِيرُ أَبْوَابُ الْمُعَامَلَاتِ عَلَى طُولِهَا وَإِطْنَابِهَا مَضْبُوطَةً مَعْلُومَةً بِهَذِهِ الْآيَةِ الْوَاحِدَةِ، وَيَكُونُ الْمُكَلَّفُ آمِنَ الْقَلْبِ مُطْمَئِنَّ النَّفْسِ فِي الْعَمَلِ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا دَلَّتْ هَذِهِ النُّصُوصُ عَلَى صِحَّتِهَا فَلَيْسَ بَعْدَ بَيَانِ اللهِ بَيَانٌ، وَتَصِيرُ الشَّرِيعَةُ مَضْبُوطَةً مَعْلُومَةً ". [مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي: 337/20]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 – كيف استدل النص على أن الأصل في العقود الصحة؟

2 – ما وجه ضبط كل أبواب المعاملات بآية واحدة؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: **37** – **40** من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

1 – أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: مَرَحاً – لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ – مَلُوماً – مَّدْحُوراً.

2 – أبحث في نظرة الإسلام لصفتي (الكبر) و(التواضع) وآثارهما على العلاقات الاجتماعية.

3 – أوضح معنى قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً﴾ مع بيان إعرابها بما فيها من قراءات.

الدرس
11

سورة الإسراء

﴿الآيات: 37 - 40﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف بعض آداب المشي ومخاطر الكبر.

2- أن أستنتج من الآيات تنزيه الله عز وجل عن الشريك والولد.

3- أن أتمثل خلق التواضع، وأتجنب كل سلوك يوحي بالتكبر والتعالي على الناس.

تمهيد

بعد أن نهى الله تعالى الناس عن اتباع ما لا يعلمون من الأقوال، نهى في هذه الآيات عن التكبر ومشية الخيلاء، وأمر أن يلتزم المسلم بقيم التواضع مع الله ومع الناس، ثم نبه على أن تلك الأوامر والنواهي هي وحي إلهي وحكم ربانية، وهي أسس سعادة الدارين، ثم ختمت الآيات بتنزيه الله عز وجل عن الشريك والولد.

فلماذا نهى الله عز وجل عن المرح الخيلاء؟ وما هو الجزاء الأخروي لمن يجعل مع الله إلها آخر؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا (37) كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها (38) ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا (39)

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿40﴾﴾ [سورة الإسراء: 37 - 40]

الفهم

الشرح :

مَرَحاً : مسرورا بدنياه مقبلا على راحته.

لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ : لن تقطع الأرض وتمسحها بمشيك.

مَلُوماً : الملوم الذي ينكر عليه ما فعله.

مَّدْحُوراً : المدحور المهان المبعد من رحمة الله.

استخلاص المضامين:

1- عماذا نهى الله عز وجل في بداية الآيات؟

2- ماذا نسب مشركو العرب لله عز وجل ؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: النهي عن الكبر ومشية خيلاء:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ والمراد الناس كلهم. وقرأ الجمهور ﴿مَرَحًا﴾ بفتح الميم والراء مصدر من مرح يمرح إذا صار مسرورا بدنياه مقبلا على راحته، فهذا هو المرح، فنهي الإنسان في هذه الآية أن يكون مشيه في الأرض على هذا الوجه. وقرئ " مرحا " بكسر الراء على بناء اسم الفاعل.

و ﴿مَرَحًا﴾ مصدر وقع حالا من ضمير ﴿تَمْشِ﴾. ومجيء المصدر حالا كمجيئه صفة يراد منه المبالغة في الاتصاف. ويؤول باسم الفاعل، أي: لا تمش مارحا، أي: مشية المارح، وهي المشية الدالة على كبرياء الماشي بتمايل وتبختر. ويجوز أن يكون مرحا مفعولا مطلقا لفعل ﴿تَمْشِ﴾ مبينا للنوع، أي: مشية ذي مرح، وإسناد المرح إلى المشي مجاز عقلي.

ثم أكد تعالى النهي عن الخيلاء والتكبر فقال: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ هذا تهكم بالمختال وتعليل للنهي السابق أي: إنك لن تقطع الأرض وتمسحها بمشيك، ولن تبلغ أطوال الجبال فتنالها طولا، فإذا كنت كذلك فقصرك نفسك على ما يوجبه الحق من المشي والتصرف أولى وأحق.

قال ابن عطية: وإقبال الناس على الصيد ونحوه تنزها دون حاجة إلى ذلك داخل في هذه الآية، وأما الرجل يستريح في اليوم النادر أو الساعة من يومه يجم بها نفسه في التفرج والراحة ليستعين بذلك على شغل من البر كقراءة علم أو صلاة، فليس ذلك بداخل في هذه الآية.

ثم قال تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ قرأ الكوفيون وابن عامر (سيئه) بإضافة سيىء إلى الضمير، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (سيئة).

أما قراءة (سيئه) بالإضافة فهو اسم كان و"مكروها" خبرها، وقد تم توجيه معناها على أن الله تعالى ذكر قبل هذا أشياء، أمر ببعضها، ونهى عن بعضها، فيكون المعنى أن ما كان من تلك الخصال المذكورة سابقا من قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ إلى هذه الآية سيئة فهو مكروه عند الله، إذ لو حكمنا على كل ما تقدم ذكره بكونه سيئة لوجب أن يقال: (مكروهة) بالتأنيث، وليس الأمر كذلك؛ لأنه تعالى قال: ﴿مَكْرُوهًا﴾. والقراءة بصيغة الإضافة تجعل المعنى: أن سيئ تلك الأقسام يكون مكروها، فيستقيم الكلام.

وأما قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو: (سيئة)، فهي خبر كان، واسمها ضمير مستتر. وقد تم توجيه معناها على وجوه:

الأول: أن الأوامر والنواهي السابقة تمت عند قوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ، ثم ابتدأ وقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ . ثم قال: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئَةً﴾

فالمراد هذه الأشياء الأخيرة التي نهى الله عنها.

والثاني: أن المراد بقوله: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ أي: كل ما نهى الله عنه فيما تقدم.

والمراد بالمكروه هنا الحرام، وليس المكروه المصطلح عليه عند الفقهاء الذي هو دون الحرام. وقد ذكروا في إعراب ﴿مَكْرُوهًا﴾ وجوها:

الأول: خبر ثان لـــ ﴿كَانَ﴾، حمله على لفظ كل. والتقدير: كل ذلك كان سيئة مكروها.

الثاني: أنه بدل من ﴿سَيِّئَةً﴾ أو نعت لها؛ لأنها لما كان تأنيثها غير حقيقي جاز أن توصف بمذكر.

الثالث: فيه تقديم وتأخير، والتقدير: كل ذلك كان مكروها وسيئة عند ربك.

الرابع: أنه حال من الذكر الذي في قوله: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾، ويكون قوله: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ في موضع الصفة لـــ ﴿سَيِّئَةً﴾.

وبالجملة فإن المعنى: كل ذلك المذكور الذي نهى الله عنه كان عمله قبيحا ومحرما عند الله تعالى.

ثم ختم سبحانه ببيان أن هذه الأحكام وحي وحكمة من الله، فقال: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ الإشارة بذلك إلى هذه الآداب والأحكام التي تضمنتها هذه الآيات المتقدمة أي: هذه من الأفعال المحكمة التي تقتضيها حكمة الله في عباده وخلقه لهم محاسن الأخلاق، والحكمة قوانين المعاني المحكمة والأفعال الفاضلة.

ثانيا: توحيد الله عز وجل وتنزيهه عما لا يليق به:

كما بدأ الله تعالى هذه الوصايا بالدعوة إلى التوحيد، ختمها بالدعوة إلى التوحيد فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ﴾ معطوف على ما تقدم من النواهي، والخطاب للنبي ﷺ، والمراد كل من سمع الآية من البشر.

وبعد أن نبه سبحانه إلى خطورة الشرك بالله وعاقبته، أتبع ذلك بتقريع من أثبتوا له ولدا، فقال: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ الاستفهام

معناه الإنكار والتوبيخ، والخطاب لمشركي العرب الذين كانوا يقولون: الملائكة بنات الله.

والمقصود من الآية الكريمة نفي ما زعموه من أن الملائكة بنات الله بأبلغ وجه؛ لأن الله عز وجل منزه عن الشريك والولد والوالد والشبيه. قال تعالى: ﴿لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: 5].

ثالثا: مقاصد الآيات:

ترشد هذه الآيات إلى تحقيق جملة من المقاصد التربوية، منها:

• أهمية التواضع مع الناس وعدم التكبر عليهم وتخلية النفوس من كل الأمراض والأخلاق السيئة، وعلى رأسها الشرك والرياء، والعجب، والكبر. وأن سلامة القلوب من هذه الأمراض تنعكس على السلوك الخارجي للإنسان لأنه يتحرر من الأنانية والحقد والرياء والعجب بالنفس الذي يطغى على النفس فيستعبدها.

• أن الأخلاق السيئة تسهم في انفكاك المجتمع وإضعاف الثقة بين أفراده، وأن الأخلاق الفاضلة والتواضع خلق كريم يسهم في إشاعة المودة والتآلف بين مكونات المجتمع ويساعد على بناء الثقة التي ينبني عليها التعاون والتآزر بينهم.

• أن شرع الله كله وحي وحكمة، فمن تمسك به فقد اهتدى إلى الطريق الحق، ومن زاغ عنه وانحرف فقد ضل السبيل.

• الدعوة إلى توحيد الله عز وجل وعدم الإشراك به، وتنزيهه عن كل ما لا يليق به من الصفات، ومنها أن يكون له ولد أو أن الملائكة بنات الله. وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة ترد على هذه المعتقدات الفاسدة التي كان يعتقدها المشركون.

التقويم

1 – لماذا نهى الله عز وجل عن المشي في الأرض مرحا؟

2 – ما معنى قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ على القراءتين؟

3 – لماذا نسب المشركون لله عز وجل البنات؟ وكيف رد الله عليهم؟

الاستثمار

" وكَرَّرَ تعَالَى النَّهْيَ عَنِ الشِّرْكِ، فَفِي النَّهْيِ الْأَوَّلِ ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾، وَفِي الثَّانِي ﴿فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾، وَالْفَرْقُ بَيْنَ مَذْمُوم وَمَلُوم أَنَّ كَوْنَهُ مَذْمُومًا أَنْ يَذْكُرَ أَنَّ الْفِعْلَ الَّذِي أَقْدَمَ عَلَيْهِ قَبِيحٌ مُنْكَرٌ، وَكَوْنَهُ مَلُومًا أَنْ يقال له بعد الْفِعْلِ وَذَمِّهِ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَمَا حَمَلَكَ عَلَيْهِ؟ وَمَا اسْتَفَدْتَ مِنْهُ إِلَّا إِلْحَاقَ الضَّرَرِ بِنَفْسِكَ، فَأَوَّلُ الْأَمْرِ الذَّمُّ وَآخِرُهُ اللَّوْمُ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ مَخْذُولٍ وَمَدْحُورٍ أَنَّ الْمَخْذُولَ هُوَ الْمَتْرُوكُ إِعَانَتُهُ وَنَصْرُهُ وَالْمُفَوَّضُ إِلَى نَفْسِهِ، وَالْمَدْحُورُ الْمَطْرُودُ الْمُبْعَدُ عَلَى سَبِيلِ الْإِهَانَةِ لَهُ وَالِاسْتِخْفَافِ بِهِ، فَأَوَّلُ الْأَمْرِ الْخِذْلَانُ وَآخِرُهُ الطَّرْدُ مُهَانًا. وَكَأَنَّ وَصْفَ الذَّمِّ وَالْخِذْلَانِ يَكُونُ فِي الدُّنْيَا وَوَصْفَ اللَّوْمِ وَالدُّحُورِ يَكُونُ فِي الْآخِرَةِ، وَلِذَلِكَ جَاءَ ﴿فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ﴾ ". [البحر المحيط لأبي حيان: 51/7]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 – لماذا تكرر لفظ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ..﴾ في بداية هذه الوصايا ونهايتها؟

2 – ما الفرق بين الجزاءين الواردين في الآيتين؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: **41** – **44** من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

1 – أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: صَرَّفْنَا – لِيَذَّكَّرُواْ – نُفُوراً.

2 – أبحث في أقوال المفسرين في كيفية تسبيح الكائنات بحمد الله.

3 – أوضح دلالة قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِي ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ على استحالة وجود الشريك مستعينا بقواعد القياس المنطقي

الدرس 12

سورة الإسراء

﴿الآيات: 41 - 44﴾

أهداف الدرس

1- أن أتمثل أن القرآن الكريم فيه تذكير لأولي الألباب.

2- أن أستنتج ما تشير إليه الآيات من الدلائل العقلية على وحدانية الله.

3- أن أستحضر أن الكون كله يسبح بحمد الله تعالى.

تمهيد

بعد أن نبه سبحانه على فظاعة فعل من جعل لله شريكا ونسب إليه الولد، أتبع ذلك ببيان أنه قد ضرب في القرآن الأمثال للناس ليتدبروا ويتأملوا فيها، إلا أن ذلك ما زادهم إلا نفورا عن الحق، محتجا عليهم بأنه لو كان مع الله آلهة أخرى كما يزعمون لنازعته في ملكه كما هي عادة الشركاء، وكيف يكون ذلك وكل ما في السموات والأرض يسبح بحمد الله، بدلالة أحوالها على توحيده، وتقديسه وكمال قدرته، ولكنهم لجهلهم وغفلتهم لا يدركون تلك الدلائل الظاهرة.

فكيف يكون القرآن مذكرا وهاديا للناس؟ وما هي دلائل وحدانية الله في هذه الآيات؟ آخر؟

الآيـات

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (41) قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (42) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (43) يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ

﴿وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿44﴾﴾ [سورة الإسراء: 41 - 44]

الفهم

الشرح:

صَرَّفْنَا : صرفنا وبينا فيه الحكم والمواعظ.

لِيَذَّكَّرُوا: ليتعظوا ويتدبروا بعقولهم.

نُفُورًا : النفور شدة الإعراض.

استخلاص المضامين:

1- ما الغاية من تنزيل القرآن الكريم بأحكامه وحكمه وأمثاله؟

2- كيف رد الله عمن يجعل له شريكا ويعتبر الملائكة بنات الله؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: تنزيل القرآن الكريم للتذكر والاعتبار:

لما ذكر الله عز وجل فظاعة قول المشركين بأن الملائكة بنات الله، أعقب ذلك بأن في القرآن هديا كافيا، ولكنهم لا يزدادون إلا نفورا من تدبره. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾. قرأ الجمهور ﴿صَرَّفْنَا﴾ بتشديد الراء على معنى صرفنا فيه الحكم والمواعظ، وقرأ الحسن (صرفنا) بتخفيف الراء على معنى صرفنا فيه الناس إلى الهدى بالدعاء إلى الله. وقال بعض من شدد الراء: إن قوله: ﴿فِي﴾ زائد، والتقدير ولقد صرفنا هذا القرآن، وهذا ضعيف.

وقوله سبحانه: ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾، وهي قراءة الجمهور، أصله " يتذكروا " فأدغمت التاء في الذال لتقارب مخرجيهما، وقرأ حمزة والكسائي (ليذكروا) بسكون الذال وضم الكاف.

وضمير ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ عائد إلى معلوم من المقام دل عليه قوله: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ﴾ [الإسراء: 40] أي: ليذكر الذين خوطبوا بالتوبيخ في قوله: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم﴾ [الإسراء: 40]، فهو التفات من الخطاب إلى الغيبة، أو من خطاب المشركين إلى خطاب المؤمنين.

وجملة ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ في موضع الحال، وهو حال يقصد منه التعجيب من حال ضلالتهم. والنفور عبارة عن شدة الإعراض تشبيها بنفور الدابة، وقد استعير هنا لإعراضهم تنزيلا لهم منزلة الدواب والأنعام.

ثانيا: تنزيه الله عما ينسب إليه المشركون من الشريك والولد:

قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ عاد القرآن الكريم إلى إبطال تعدد الآلهة زيادة في استئصال عقائد المشركين. والمخاطب بالأمر بالقول هو النبي ﷺ لدمغهم بالحجة المقنعة بفساد قولهم. وللاهتمام بها افتتحت بـ ﴿قُل﴾ تخصيصا لهذا بالتبليغ وإن كان جميع القرآن مأمورا بتبليغه. وجملة ﴿كَمَا يَقُولُونَ﴾ معترضة للتنبيه على أن تعدد الآلهة لا تحقق له، وإنما هو مجرد قول مزعوم عار عن المطابقة لما في نفس الأمر. [التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور: 110/15]

وقد اختلف الناس في معنى قوله: ﴿إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾:

فقال بعض المفسرين: إن معناه لو كان معه آلهة كما تقولون لطلب هؤلاء الآلهة الزلفى والقربة إلى الله تعالى بطاعته، ولطلبت لأنفسها المراتب العالية، والدرجات الشريفة من الأحوال الرفيعة، فيكون السبيل على هذا التأويل بمعناه في قوله: ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [المزمل: 17]، فلما لم تقدر أن تتخذ لأنفسها سبيلا إلى الله فكيف يعقل أن تقربكم إلى الله.

وقال آخرون: إن معنى الكلام: لو كان معه آلهة كما تقولون لابتغوا إليه سبيلا لكي ينازعوه في ملكه ويقاسموه إياه، كما هي عادة الشركاء في السعي إلى إفساد ملك شريكهم ومضاهاته في قدرته.

وعلى هذا التأويل تكون الآية بيانا للتمانع، وجارية نظير قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: 22].

ومع وجاهة الرأيين، إلا أن الرأي الثاني أظهر؛ لأن في الآية فرض المحال، وهو وجود الآلهة مع الله تعالى، وافتراض وجودها المحال لا يظهر منه أنها تتقرب إليه سبحانه، بل الذي يظهر منه أنها تنازعه لو كانت موجودة. وهذا الرأي هو الذي يتناسب مع قوله تعالى بعد ذلك: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾.

ولما أقام الله عز وجل الدليل القاطع على أن القول بإثبات الآلهة قول باطل، أردفه بما يدل على تنزيهه عن هذا القول الباطل فقال تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ فقوله: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ مصدر لفعل محذوف، ولذلك عطف الفعل عليه في قوله: ﴿وَتَعَالَىٰ﴾. والتسبيح عبارة عن تنزيه الله تعالى عما لا يليق به.

وقوله: ﴿وَتَعَالَىٰ﴾ التعالي تفاعل إما في الشاهد والأجرام فهو من اثنين؛ لأن الإنسان إذا صعد في منزلة أو في جبل فكأن ذلك يعاليه، وهو يعالي ويرتقي. وإما في ذكر الله تعالى فالتعالي هو بالقدر لا بالإضافة إلى شيء آخر، فلا يمكن تفسيره بالتعالي بالمكان والجهة.

وقوله: ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾ قرأ حمزة والكسائي (تقولون) بتاء خطاب، وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾ بالياء.

وقوله تعالى: ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ علوا اسم مصدر على غير الفعل، فهو كقوله: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: 17] وهذا كثير في لسان العرب.

ثم قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ أي: ينزهه عن هذه المقالة التي لكم والاشتراك الذي أنتم بسبيله ﴿السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ﴾، ثم أعاد على السماوات والأرض ضمير من يعقل لما أسند إليها فعل العاقل وهو التسبيح. وقوله: ﴿وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ يريد الملائكة والإنس والجن. ثم عم بعد ذلك الأشياء كلها في قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ أي: ينزه الله ويحمده ويمجده.

واختلف أهل العلم في كيفية التسبيح: فقيل: المراد بالتسبيح معناه المجازي، أي: إن كل شيء تبدو فيه صنعة الصانع الدالة عليه فتدعو رؤية ذلك إلى التسبيح من المعتبر، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ [ص: 17]. وقيل: ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ لفظ عام مراد به الخصوص في كل حي ونام، وليس ذلك في الجمادات البحتة. ومن هذا قول عكرمة: الشجرة تسبح والأسطوانة لا تسبح. وقال يزيد الرقاشي للحسن وهما في طعام وقد قدم الخوان: أيسبح هذا الخوان (أي المائدة من الخشب) يا أبا سعيد؟ فقال: قد كان يسبح مرة. يريد أن الشجرة في زمان نموها واغتذائها تسبح، فمذ صارت خوانا مدهونا أو نحوه صارت جمادا.

وقيل: هذا التسبيح حقيقة، وكل شيء على العموم يسبح تسبيحا لا يسمعه البشر ولا يفقهه. ولو كان التسبيح ما قاله الآخرون من أنه أثر الصنعة لكان أمرا مفقوها، والآية تنطق بأن هذا التسبيح لا يفقه. وأجاب ابن عطية عن هذا الاعتراض بأن يراد بقوله: ﴿لَّا تَفْقَهُونَ﴾ الكفر والغفلة، أي: إنهم يعرضون عن الاعتبار فلا يفقهون حكمة الله تعالى في الأشياء.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ فيه تنبيه على إملائه لهم وصفحه عنهم في الدنيا وإمهاله لهم مع شنيع هذه المقالة، أي: تقولون قولا ينزهه عنه كل شيء من المخلوقات، إنه كان حليما غفورا فلذلك أمهلكم.

ثالثا: مقاصد الآيات:

تهدف هذه الآيات إلى تحقيق جملة من المقاصد التربوية منها:

- الأمر بتدبر القرآن الكريم والاعتبار به وبما جاء فيه من أحكام وحكم ومواعظ، لكن المشركين لا يتعظون به ولا يزيدهم القران إلا نفورا؛ لأن قلوبهم انحجبت بالشرك والمعاصي والبعد عن الله.

- الإيمان بوحدانية الله تعالى الثابتة بالأدلة والبراهين العقلية.

- وحدانية الله تقتضي تسبيحه وتنزيهه عن كل ما لا يليق به جل وعلا، هذا التسبيح الذي تمارسه كل المخلوقات بلسانها أو بحالها.

• هذا التسبيح والتنزيه يقتضي من المكلف عبادة الله والخضوع والانقياد لشرعه باختياره، وهي غاية خلق الإنسان، يقول الشاطبي: " المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه، حتى يكون عبدا لله اختيارا، كما هو عبد لله اضطرارا " [الموافقات للإمام الشاطبي: 2/289].

التقويـم

1 - أوضح غاية تنزيل القرآن من خلال الآية الأولى.

2 - ما معنى: ﴿لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا﴾ ؟

3 - ما هي أقوال المفسرين في المراد بالتسبيح في الآية؟

الاستثمار

قال ابن عطية رحمه الله: " وَنَقتَضِبُ شَيْئاً مِنَ الدَّليلِ عَلَى أَنَّهُ لاَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَهٌ غَيْرُهُ عَلَى مَا قَالَ أَبُو المَعَالِي وَغَيْرُهُ: أَنَّا لَوْ فَرَضْنَاهُ، لفَرَضْنَا أَنْ يُرِيدَ أَحَدُهُمَا تَسْكِينَ جِسْمٍ والآخرُ تَحريكَهُ، وَمُسْتَحِيلٌ أن تَنفُذَ الإِرَادَتَانِ، وَمستَحيلٌ ألاّ تَنفذَا جَميعاً، فَيَكُونُ الجِسْمُ لا مُتَحَرِّكاً، وَلاَ سَاكِناً، فَإِنْ صَحّتْ إِرَادَةُ أَحدِهِمَا دُونَ الآخَرِ، فَالَّذي لَم تَتمَّ إِرَادَتُهُ لَيْسَ بِإِلَهٍ. فَإِنْ قِيلَ: نَفرِضُهُمَا لاَ يَختَلِفَانِ، قُلْنَا: اخْتِلافُهُمَا جَائزٌ غَيْرُ مُمْتَنِعٍ عَقْلاً، وَالجَائزُ فِي حُكْمِ الوَاقِعِ. وَدَليلٌ آخَرُ: أنّه لَوْ كَانَ الاثنَانِ، لَم يَمتَنِعْ أَنْ يَكُونُوا ثَلاَثَةً، وَكَذَلِكَ وَيَتَسَلْسَلُ إِلَى مَا لاَ نهايَةَ لَه. وَدَليلٌ آخَرُ: أَنَّ الجُزْءَ الَّذي لاَ يَتَجَزَّأُ من المُخْتَرَعَاتِ لاَ تَتَعَلَّقُ بِهِ إِلاَ قُدْرَةٌ وَاحِدَةٌ لاَ يَصِحُّ فِيهَا اشْتِرَاكٌ، والآخَرُ كَذَلِكَ دَأباً، فَكُلُّ جُزْءٍ إِنَّمَا يَختَرِعُهُ وَاحِدٌ. وَهَذِهِ نُبْذَةٌ شَرحُهَا بِحَسَبِ التَّقَصِّي يَطُولُ". [المحرر الوجيز لابن عطية: 3/459].

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 - ما العلاقة بين مضمون النص والآيات موضوع الدرس؟

2 - أوضح الأدلة الثلاثة على وحدانية الله الواردة في النص مستعينا بالقواعد المنطقية.

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: **45 – 48** من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

1 – أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: **حِجَاباً – مَّسْتُوراً – أَكِنَّةً – وَقْراً – مَّسْحُوراً – نَفُوراً**.

2 – أبحث عن أقوال المفسرين في معنى قوله تعالى: ﴿**جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً**﴾.

3 – أوضح معنى قوله تعالى: ﴿**إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَّسْحُوراً**﴾ مستعينا بمكتسباتي النحوية والبلاغية.

الدرس 13	سورة الإسراء
	﴿الآيات: 45 - 48﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف ضلال المشركين وختم قلوبهم عن الانتفاع بالقرآن الكريم.

2- أن أستنتج كيف كان المشركون يستهزئون بكتاب الله ويفترون على رسوله.

3- أن أتمثل تعاليم القرآن الكريم عقيدة وعبادة وسلوكا.

تمهيد

بعد ما بين الله عز وجل ما جاء به القرآن من أصول العقيدة وجوامع الأعمال وما تخلل ذلك من المواعظ والعبر، نبه هنا إلى حفظ الله تعالى لنبيه، وإعراض المشركين عن القرآن، وعدم انتفاعهم بهديه ومواعظه، ونفورهم منه واستهزائهم به؛ حيث ضربوا الأمثال للنبي ﷺ، وقولوا فيه تارة: إنه ساحر، وأخرى: إنه مجنون، وحينا: إنه شاعر؛ لأن الله طبع على قلوبهم وعلى سمعهم وجعل على أبصارهم غشاوة.

فكيف كان موقف المشركين من القرآن الكريم؟ ولماذا لم يؤمنوا به ويهتدوا بهديه؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا (45) وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (46) نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ

﴿بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ٤٧ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ٤٨﴾

[سورة الإسراء: 45 – 48]

الفهم

الشرح:

حِجَابٗا : حاجبا.

مَّسۡتُورٗا : مستورا عن الأبصار فلا تراه، وقيل: بمعنى ساتر.

أَكِنَّةً : جمع كنان، وهو ما غطى الشيء.

وَقۡرٗا : الوقر: الصمم والثقل في الآذان المانع من السماع.

مَّسۡحُورًا : مخبول العقل لما أصابه من السحر.

فَضَلُّواْ : جاروا عن قصد السبيل.

استخلاص المضامين:

1- كيف حفظ الله عز وجل نبيه من أذى المشركين؟

2- لماذا لا ينتفع المشركون من القرآن الكريم فيؤمنوا به؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: حفظه تعالى لنبيه من أذى المشركين بحجاب مستور:

لما تقدم الكلام في تقرير الإلهية، جاء بعده تقرير النبوة، وذكر بعض أحوال المنكرين لها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا﴾ معنى

﴿قَرَأْتَ﴾ شرعت وتلبست بقراءة القرآن، وليس معناها الفراغ من القراءة. وليس المراد بالقرآن جميعه، بل المراد كل ما يصدق عليه الاسم قليلا كان أو كثيرا، فإنك تقول لمن يقرأ شيئا من القرآن: هذا يقرأ القرآن.

وهذه الآية تحتمل معنيين:

أحدهما: أن الله تعالى أخبر نبيه أنه يحميه من مشركي مكة الذي كانوا يؤذونه في وقت قراءته القرآن وصلاته في المسجد، ويريدون مد اليد إليه، ويحجبه عنهم. ويعزز هذا المعنى ما ورد في سبب نزول الآية أنها نزلت في قوم كانوا يؤذون رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن على الناس. وروي أنه ﷺ كان كلما قرأ القرآن قام عن يمينه رجلان، وعن يساره آخران من ولد قصي يصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار.

ثانيهما: أنه أعلمه أنه يجعل بين الكفرة وبين فهم ما يقرؤه محمد ﷺ من القرآن حجابا فلا يفقهونه ولا ينتفعون به. فيكون معنى الحجاب الطبع والختم الذي خلقه الله في قلوبهم، الذي يمنعهم من أن يدركوا لطائف القرآن ومحاسنه وفوائده. والآية على هذا التأويل موافقة لمعنى التي بعدها. وعلى التأويل الأول يكون معنى الآيتين مختلفا.

وقوله: ﴿مَّسْتُورًا﴾ أظهر ما فيه أن يكون نعتا للحجاب، أي: مستورا عن أعين الخلق لا يدركه أحد برؤية كسائر الحجب. وهذا من قدرة الله وكفايته وإضلاله بحسب التأويلين المذكورين. وقيل: التقدير مستورا به على حذف العائد. وقال الأخفش: ﴿مَّسْتُورًا﴾ بمعنى ساتر كمشؤوم وميمون، فإنهما بمعنى شائم ويامن. قال القاضي أبو محمد: وهذا لغير داعية إليه تكلف، وليس مثاله بمسلم. وقيل: هو على جهة المبالغة كما قالوا: شعر شاعر. وهذا معترض بأن المبالغة أبدا إنما تكون باسم الفاعل ومن اللفظ الأول، فلو قال حجابا حاجبا لكان التنظير صحيحا.

ثانيا: انطباع قلوب المشركين فلا ينتفعون بالقرآن:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ الأكنة جمع كنان مثل أعنة وعنان، وهو ما غطى الشيء وستره، ومنه كنانة النبل. والوقر: الثقل في الأذن

المانع من السمع. وهذه كلها استعارات للإضلال الذي حفهم الله به، فعبر عن كثرة ذلك وعظمه بأنهم بمثابة من غطي قلبه وصمت أذنه. أي: أن الله تعالى جعل في قلوبهم ما يشغلهم عن فهم القرآن، وفى آذانهم ما يمنع من سماع صوته، فمنعوا فقهه والوقوف على كنهه، فنبت قلوبهم عن فهمه، ومجته أسماعهم، فهم لامتناعهم عن قبول دلائله صاروا كأنه حصل بينهم وبين تلك الدلائل حجاب ساتر.

وقوله ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ المصدر المؤول من أن والفعل منصوب على المفعول أي: (كراهة أن)، أو (منع أن) ، والضمير في يفقهوه عائد على القرآن.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾، أي: إذا جاءت مواضع التوحيد في القرآن أثناء قراءتك فر مشركو مكة من سماع ذلك إنكارا له واستبشاعا؛ إذ فيه رفض آلهتهم وعدم الاعتراف بها. فيكون تولي المشركين على أدبارهم حينئذ من أجل الغضب من السكوت عن آلهتهم وعدم الاكتراث بها؛ لأنهم يدركون أنه ما سكت عن ذكر آلهتهم إلا لعدم الاعتراف بها. وقال بعض العلماء: إن ملأ من قريش دخلوا على أبي طالب يزورونه، فدخل عليهم رسول الله ﷺ فقرأ ومر بالتوحيد، ثم قال: " يامعشر قريش قولوا: لا إله إلا الله تملكون بها العرب، وتدين لكم العجم "، فولوا ونفروا، فنزلت هذه الآية.

وقوله: ﴿نُفُورًا﴾ يصح أن يكون مصدرا في موضع الحال، ويصح أن يكون جمع نافر كشاهد وشهود؛ لأن فعولا من أبنية فاعل في الصفات، ونصبه على الحال، أي: نافرين.

وحكى الطبري عن فرقة أنها قالت: إنما عنى بقوله: ﴿وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ الشياطين، وأنهم يفرون من قراءة القرآن، يريد أن المعنى يدل عليهم وإن لم يجر لهم ذكر في اللفظ، وهذا نظير قول النبي ﷺ: "إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان له حصاص".

ثم قال تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ أي: نحن أعلم بالوجه الذي يستمعون به وهو الاستخفاف والاستهزاء والسخرية والتكذيب حين استماعهم للقرآن. وهذا كما تقول: فلان يستمع بحرص وإقبال، أو

بإعراض وتغافل واستخفاف. فالضمير في ﴿بِهِۦٓ﴾ عائد على ﴿بِمَا﴾، وهي بمعنى الذي، والمراد به ما ذكرناه من الاستخفاف والإعراض، فكأنه قال: نحن أعلم بالاستخفاف والاستهزاء الذي يستمعون به، أي: هو ملازمهم، ففضح الله بهذه الآية سرهم.

والعامل في ﴿إِذْ﴾ الأولى وفي المعطوفة عليها يستمعون الأول.

وقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ وصف لهم بالمصدر، كما قالوا: قوم رضا وعدل، وقيل: المراد بقوله: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ اجتماعهم في دار الندوة ثم انتشرت عنهم.

وقوله: ﴿مَّسْحُوراً﴾ الظاهر فيه أن يكون من السحر، فشبهوا الخبال الذي عنده -بزعمهم- بما يكون من المسحور الذي قد خبل السحر عقله وأفسد كلامه، وتكون الآية على هذا شبيهة بقول بعضهم: ﴿بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ [المؤمنون: 25] ونحو هذا.

وقال أبو عبيدة: ﴿مَّسْحُوراً﴾ معناه ذا سحر، وهي الرئة، ومنه قول عائشة رضي الله عنها: توفي رسول الله ﷺ بين سحري ونحري. ومنه قولهم للجبان: انتفخ سحره؛ لأن الفازع تنتفخ رئته، فكأن مقصد المشركين بهذا التنبيه على أنه بشر ذو رئة.

والآية التي بعد هذا تقوي أن اللفظة التي في الآية من السحر، بكسر السين؛ لأن حمله على ذلك هو الذي يتناسب مع ضرب المثل له بذلك، وأما على أنها من السحر الذي هو الرئة وأن تكون الإشارة إلى أنه بشر فلم يضرب له في ذلك مثل، بل هي صفة حقيقة له.

ثم قال تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ ضرب المثل له هو قولهم: مسحور وساحر ومجنون ومتكهن؛ لأنه لم يكن عندهم متيقنا بأحد هذه الأوصاف، وإنما كانت منهم على جهة التشبيه لما رأى الوليد بن المغيرة أن أقرب هذه الأمور هو أنه ساحر، ثم حكم الله عليهم بالضلال.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: لا يستطيعون سبيلا إلى الهدى والنظر المؤدي إلى الإيمان، فتجري الآية مجرى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ [الإسراء: 46] ونحو هذا.

وثانيهما: لا يستطيعون سبيلا إلى إفساد أمرك وإطفاء نور الله فيك بضربهم الأمثال لك واتباعهم كل حيلة في جهتك. وحكى الطبري أن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة وأصحابه.

ثالثا: مقاصد الآيات:

ترشد هذه الآيات إلى تحقيق جملة من المقاصد التربوية، منها:

- جود الله ونعمه الكثيرة على المومنين، ومن أكبر هذه النعم أن أرسل إليهم هذا الرسول الكريم، وأنزل عليهم هذا الكتاب المبين، المليء بالمواعظ والحكم والإحكام، لإخراج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.
- حفظ الله تعالى لنبيه من كل المكائد والدسائس التي قام بها المشركون، وحجبه عنهم بعنايته ورعايته حتى أدى رسالته وبلغ دينه.
- منع المشركين من فقه القرآن والانتفاع به؛ لأنهم يستمعون إليه بسخرية واستهزاء لا بقصد الإيمان والاهتداء.

التقويم

1 – ما معنى الحجاب المستور في الآيات؟

2 – لماذا يولي المشركون على أدبارهم نفورا ؟

3 – كيف يستمع المشركون للقرآن الكريم؟

4 – لماذا ضل المشركون السبيل؟

الاستثمار

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: 179]. قال أبو حيان في معرض تفسيره لهذه الآية: " لَمَّا كَانُوا لَا يَتَدَبَّرُونَ شَيْئًا مِنَ الْآيَاتِ، وَلَا يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا نَظَرَ اعْتِبَارٍ، وَلَا يَسْمَعُونَهَا سَمَاعَ تَفَكُّرٍ، جُعِلُوا كَأَنَّهُمْ فَقَدُوا الْفِقْهَ بِالْقُلُوبِ وَالْإِبْصَارَ بِالْعُيُونِ وَالسَّمَاعَ بِالْآذَانِ. وَلَيْسَ الْمُرَادُ نَفْيَ هَذِهِ الْإِدْرَاكَاتِ عَنْ هَذِهِ الْحَوَاسِّ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ نَفْيُ الِانْتِفَاعِ بِهَا فِيمَا طُلِبَ مِنْهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ ". [البحر المحيط لأبي حيان: 228/5]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 – أوضح المعاني المجازية الواردة في الآية مستعينا بمكتسباتي في علم البلاغة؟

2 – كيف يتخلص الإنسان من هذه الموانع فينتفع بالقرآن، ويتمتع بحلاوة الإيمان؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 49– 55 من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

1 – أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: وَرُفَٰتًا – جَدِيدًا – فَطَرَكُمْ – يَنزَغُ.

2 – أبحث في قول منكري البعث وكيف رد الله عليهم من خلال الآيات؟

3 – أوضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ مع إعراب الآية وبيان ما فيها من نكت بلاغية.

الدرس 14

سورة الإسراء

﴿الآيات: 49 – 55﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف دلائل قدرة الله على البعث وإبطال شبهات المنكرين له.

2- أن أستنتج من الآيات بعض آداب الخطاب، وحسن معاملة الناس.

3- أن أرسخ إيماني بالبعث والنشور، فأتزود بالأعمال الصالحة للحياة الأخروية.

تمهيد

بعد أن تحدث الحق سبحانه في الإلهيات والنبوات، تحدث في هذه الآيات عن بعض القضايا السمعية، فبين سبحانه بعض شبهات المنكرين للمعاد، وأبطلها بالبراهين العقلية الدامغة الدالة على وقوعه، موجها عباده المؤمنين بأن يحاجوا غيرهم ويجادلوهم باللين، ولا يغلظوا لهم في القول، فإن الكلمة الطيبة تجذب النفوس، وتميل بها إلى الاقتناع.

فكيف أبطل القرآن الكريم شبهات المنكرين للبعث؟ وما هي الآداب الإسلامية في مخاطبة الناس عموما والمخالفين في الدين على وجه الخصوص؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا (49) ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا (50) أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن

يَكُونَ قَرِيباً ﴿51﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمُۥ إِلَّا
قَلِيلاً ﴿52﴾ وَقُل لِّعِبَادِيَ يَقُولُواْ اُ۬لَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ اَ۬لشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمُۥ إِنَّ
اَ۬لشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلِانسَٰنِ عَدُوّاً مُّبِيناً ﴿53﴾ رَّبُّكُمُۥ أَعْلَمُ بِكُمُۥ إِنْ يَّشَأْ يَرْحَمْكُمُۥ
أَوِ اِن يَّشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴿54﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي اِ۬لسَّمَٰوَٰتِ
وَالَارْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ اَ۬لنَّبِيٓـِٔينَ عَلَيٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُوراً ﴿55﴾

[سورة الإسراء: 49 – 55]

الفهم

الشرح :

وَرُفَٰتاً : ما تكسر وبلي من كل شيء كالفتات.

جَدِيداً : صفة لما قرب حدوثه من الأشياء.

فَطَرَكُمُۥ : أوجدكم.

يَنزَغُ : النزغ حركة الشيطان بسرعة ليوجب فسادا.

استخلاص المضامين:

1– ما موقف المشركين من البعث؟ وما هو الرد القرآني عليهم؟

2– بم أمر الله المومنين في تعاملهم مع الناس؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: شبهات المنكرين للبعث وإبطال الله لها بالأدلة الدامغة:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا﴾ هذه الآية في إنكار كفار قريش للبعث، وهذا منهم تعجب وإنكار واستبعاد للإحياء بعد الموت.

والرفات ما مر عليه الزمن حتى بلغ به غاية البلى وقربه من حالة التراب، يقال: رفت رفاتا كحطام وفتات. وقال ابن عباس: رفاتا غبارا. وقال مجاهد: ترابا. و﴿جَدِيدًا﴾ صفة لما قرب حدوثه من الأشياء، يوصف به المذكر والمؤنث.

وتدل هذه الآية على إنكارهم للبعث والحساب واستبعادهم لوقوعه؛ لأنهم يستبعدون أن تعود الحياة إلى العظام البالية، فيخلق منها خلق جديد.

وقد أمر الله نبيه بالرد على هؤلاء المنكر ين للبعث بقوله: ﴿قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا﴾ أي: قل لهم يا محمد: لا تكونوا فقط عظاما ورفاتا، بل كونوا حجارة أو حديدا إن استطعتم أن تكونوا هذه الأشياء الصعبة الممتنعة التأتي، فلا بد من بعثكم؛ لأن الله قادر على إحيائكم من جديد.

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ﴾ قيل: المراد بالخلق الذي يكبر في الصدور: السماوات والأرض والجبال. وقيل: المراد به الموت. وقيل: أي شيء يعظم عند الناس مما هو أكبر من الحجارة والحديد. بمعنى أن الله عز وجل سيبعثكم لا محالة مهما افترضتم أنفسكم من الأشياء التي لا تقبل الحياة. وهذا هو الذي رجحه الطبري، وهذا هو الأصح؛ لأنه بدأ بشيء صلب وهو الحجارة، ثم ذكر على سبيل الترقي الأصلب منه وهو الحديد، ثم أحال على ما يفترضون في فكرهم ويخطر ببالهم من الأشياء التي هي أشد من الحديد، فلا وجه لتخصيص شيء دون شيء. أي: افرضوا ذواتكم شيئا من هذه فإنه لا بد لكم من البعث على أي حال كنتم. [البحر المحيط، لأبي حيان: 63/7]

وقوله تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ﴾ أي: أنهم يقولون على سبيل الإنكار: من يعيدنا إذا كنا حجارة أو حديدا أو خلقا آخر شديدا؟ ﴿فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ﴾ احتج عليهم عز وجل بالخلق الأول على

إمكانية الخلق الثاني. قال ابن كثير: أي: الذي خلقكم ولم تكونوا شيئا مذكورا، ثم صرتم بشرا تنتشرون؛ قادر على إعادتكم ولو صرتم إلى أي حال﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾

[الروم: 27] . [تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: 5 /85].

ثم قال تعالى: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ أي: فسيحركونها: يرفعونها ويخفضونها على جهة التكذيب والاستهزاء. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ أي: متى البعث؟ وهذا أيضا قالوه استهزاء. ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ قال الطبري وابن سلام: ﴿عَسَىٰٓ﴾ من الله تفيد الوجوب، بمعنى أن البعث قريب. قال ابن عطية: وهذه إنما هي من النبي عليه السلام، ولكنها بأمر الله، فيقربها ذلك من الوجوب. وكذلك قال عليه السلام "بعثت أنا والساعة كهاتين"، وفي ضمن اللفظ توعد لهم.

ثم قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ قوله: ﴿يَوْمَ﴾ بدل من الضمير المستتر في ﴿يَكُونَ﴾ من قوله: ﴿أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾. وفتحته فتحة بناء لأنه أضيف إلى الجملة الفعلية، ويجوز أن يكون ظرفا لـــ ﴿يَكُونَ﴾ أي: يكون يوم يدعوكم، وفتحته فتحة نصب على الظرفية.

وقوله: ﴿يَدْعُوكُمْ﴾ معناه: يدعوكم من قبوركم بالنفخ في الصور لقيام الساعة.

وقوله سبحانه: ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ أي: بالقيام والعودة والنهوض نحو الدعوة، وقوله: ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ حكى الطبري عن ابن عباس أنه قال: معناه: بأمره. وكذلك قال ابن جريج. وقال قتادة: معناه: بطاعته ومعرفته. وهذا كله تفسير لا يعطيه اللفظ، ولا شك أن جميع ذلك بأمر الله تعالى، وإنما معنى ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾: إما أن جميع العالمين يقومون وهم يحمدون الله لما يظهر لهم من قدرته، وإما أن قوله: ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ هو كما تقول لرجل خصمته وحاورته في علم: قد أخطأت بحمد الله، فكأن النبي ﷺ يقول لهم في هذه الآيات: عسى أن الساعة قريبة، يوم تدعون فتقومون بخلاف ما تعتقدون الآن، وذلك بحمد الله على صدق خبري. وقد نحا هذا المنحى ابن جرير الطبري.

وقوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: أنه أخبر أنهم لما رجعوا إلى حالة الحياة وتصرف الأجساد، وقع لهم ظن أنهم لم ينفصلوا عن حال الدنيا إلا قليلا لمغيب علم مقدار الزمن عنهم؛ إذ من في الآخرة لا يقدر زمن الدنيا؛ إذ هم لا محالة أشد مفارقة لها من النائمين. وعلى هذا التأويل عول الطبري، واحتج بقوله تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (113) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [المؤمنون: 113 114].

ثانيهما: أن يكون الظن بمعنى اليقين، فكأنه قال لهم: يوم تدعون فتستجيبون بحمد الله، وتتيقنون أنكم إنما لبثتم قليلا، من حيث هو منقض منحصر. وهذا كما يقال في الدنيا بأسرها: متاع قليل، فكأنه قلة قدر. على أن الظن بمعنى اليقين ضعيف هنا؛ لأنه في شيء قد وقع، وإنما يجيء الظن بمعنى اليقين فيما لم يخرج بعد إلى الكون والوجود.

وفي الكلام تقوية للبعث، كأنه يقول: أنت أيها المكذب بالحشر، الذي تعتقد أنك لا تبعث أبدا، لا بد أن تدعى للبعث، فتقوم وترى أنك إنما لبثت قليلا منقضيا منصرما. وحكى الطبري عن قتادة أنهم لما رأوا هول يوم القيامة احتقروا الدنيا فظنوا أنهم لبثوا فيها قليلا.

ثانيا: أمر الله المؤمنين بحسن الآداب، وإلانة القول:

بعد حكاية أقوال المشركين وضلالهم العقدي، أمر المؤمنين بأن يقولوا قولا حسنا يعرب عن صفاء عقيدتهم وحسن سريرتهم، قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. اختلف النحويون في قوله: ﴿يَقُولُوا﴾، فمذهب سيبويه أنه جواب شرط مقدر تقديره: وقل لعبادي إنك إن تقل لهم يقولوا. وهذا على أصله في أن الأمر لا يجاب، وإنما يجاب معه شرط مقدر. ومذهب الأخفش: أن الأمر يجاب، وأن قوله هاهنا: ﴿يَقُولُوا﴾ إنما هو جواب قل.

واختلف الناس في ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، فقالت فرقة: هي لا إله إلا الله. ويلزم على هذا أن يكون قوله: ﴿لِّعِبَادِي﴾ يريد به جميع الخلق؛ لأن جميعهم مدعو إلى لا إله إلا الله. ويجيء قوله بعد ذلك ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ غير مناسب للمعنى إلا على جعل "بينهم" بمعنى خلالهم وأثناءهم، ويجعل النزغ بمعنى الوسوسة والإضلال. وقال الجمهور: ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ هي المحاورة الحسنى بحسب المعنى، قال الحسن: يقول: يغفر الله لك، يرحمك الله.

وقوله ﴿لِّعِبَادِى﴾ خاص بالمؤمنين، فكأن الآية بمعنى قوله عليه السلام: "وكونوا عباد الله إخوانا" [صحيح البخاري، كتاب الآداب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر].

ثم اختلفوا، فقالت فرقة: أمر الله المؤمنين فيما بينهم بحسن الآداب وخفض الجناح وإلانة القول واطراح نزغات الشيطان. وقالت فرقة: إنما أمر الله في هذه الآية المؤمنين بإلانة القول للمشركين بمكة. ونظير هذه الآية قوله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: 125] وقوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: 46].

ثم علل الأمر بقول التي هي أحسن بقوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ ، والمقصود من هذا التعليل أن لا يستخفوا بفاسد الأقوال فإنها تثير مفاسد من عمل الشيطان، الذي قد يلقي بينهم الفساد، ويغري بعضهم على بعض؛ فتقع بينهم العداوة والبغضاء؛ إذ النزغ: حركة الشيطان بسرعة ليوجب فسادا. فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان ينزغ في يده فيقع في حفرة من النار" [صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم].

ثم بين سبب نزغ الشيطان للإنسان بقوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ أي: إن بين الشيطان والإنسان عداوة قديمة مستحكمة كما قال تعالى حكاية عن الشيطان: ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ [الأعراف: 16] وقال: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر: 16]

ثم ختم الله تعالى هذه الآية بما فيه تقرير وتعليل لما سبق بقوله: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾، هذه الآية تقوي أن التي قبلها هي ما بين العباد المؤمنين وكفار مكة، وذلك أن هذه المخاطبة في قوله: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ هي لكفار مكة بدليل قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾، فكأن الله عز وجل أمر المؤمنين أن لا يخاشنوا الكفار في الدين، ثم قال للكفار: إنه أعلم بهم، ورجاهم وخوفهم. ومعنى ﴿يَرْحَمْكُمْ﴾ أي: بالتوبة عليكم من الكفر، قاله ابن جريج وغيره. ثم قال للنبي ﷺ: فإنما عليك البلاغ، ولست بوكيل

على إيمانهم ولا بد، فتتناسب الآيات بهذا التأويل.

ثم قال تبارك وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قوله: ﴿بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ﴾ الباء متعلقة بفعل تقديره: علم بمن في السماوات، ذهب إلى هذا أبو علي الفارسي؛ لأنه لو علقها بـ ﴿أَعْلَمُ﴾ لاقتضى أنه ليس بأعلم بغير ذلك. قال ابن عطية: وهذا لا يلزم، ويصح تعلقها بـ ﴿أَعْلَمُ﴾، ولا يلتفت لدليل الخطاب.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ أي: هو الذي فضل بعض الأنبياء على بعض بحسب علمه فيهم. وهذه إشارة إلى محمد ﷺ وإلى استبعاد قريش أن يكون الرسول بشرا. والمعنى: لا تنكروا أمر محمد عليه السلام وإن أوتي قرآنا، فقد فضل النبيون قبله وأوتي داود زبورا، فالله أعلم حيث يجعل رسالاته.

وتفضيل بعض الرسل هو إما بهذا الإخبار المجمل دون أن يسمى المفضول، وعلى هذا يتجه لنا أن نقول: محمد ﷺ أفضل البشر. وقد نهى عليه الصلاة السلام عن تعيين أحد منهم في قصة موسى ويونس. وإما أن يكون التفضيل مقسما فيهم: أعطي موسى التكليم، ومحمد ﷺ الخمس، وعيسى الإحياء، فكلهم مفضول على وجه فاضل على الإطلاق.

وقرأ الجمهور: ﴿زَبُورًا﴾ بفتح الزاي، وهو فعولٌ بمعنى مفعول، وهو قليل لم يجئ إلا في قدوع وركوب وحلوب، وقرأ حمزة ويحيى والأعمش (زبورا) بضم الزاي، وله وجهان:

أحدهما: أن يكون جمع زبور بحذف الزائد، كما قالوا في جمع ظريف، ظروف.

وثانيهما: أن يكون جمع زبر مثل قشر وقشور، بمعنى المزبور، كأن ما جاء به داود جزئ أجزاء كل جزء منها زبر، سمي بمصدر زبر يزبر، ثم جمع تلك الأجزاء على زبور، فكأنه قال: آتينا داود كتبا. ويحتمل أن يكون جمع زبر الذي هو العقل وسداد النظر؛ لأن داود أوتي من المواعظ والوصايا كثيرا، ومن هذا قول النبي ﷺ في آخر كتاب مسلم: "وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له" [صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار]، قال قتادة: زبور داود مواعظ وحكم ودعاء ليس فيه حلال ولا حرام.

ثالثا: مقاصد الآيات:

ترشد هذه الآيات إلى تحقيق جملة من المقاصد التربوية، منها:

- التأكيد على وقوع البعث وإحياء الناس بعد الموت بالأدلة والبراهين، وتفنيد شبهات المنكرين للبعث الذين يستبعدون إحياء من أصبح عظاما ورفاتا؛ لأن عقولهم لا تقبل ذلك قياسا على قدرة المخلوقين المحدودة.
- إثبات البعث ليس مقصودا في ذاته، وإنما لما يترتب على الاعتقاد به من تقويم السلوك وإصلاح الجوارح وتقديم فعل الخير والطاعات لذلك اليوم العظيم .
- الأمر بالتأدب في الكلام مع الناس وخفض الجناح وإلانة القول لهم سواء في معاملة بعضهم بعضا أو في مجادلتهم للمشركين.
- من التوجيهات القرآنية في معاملة المخالف في الدين ألا تطعن في دينه أو تسب معبوده أو تقطع له بمصيره في الآخرة، بل تقول: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾، ولا شك أن هذا الأسلوب في الخطاب أسلوب حكيم يسهم في التقارب والإصغاء، ويعزز الثقة ويساعد على الدعوة إلى الله ونشر دينه.

التقويم

1 - أستخرج الشبهة التي استند إليها المشركون لإنكار البعث.

2 - أستخلص من الآيات دلائل وقوع البعث والنشور.

3 - ما معنى الدعاء والاستجابة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾؟

الاستثمار

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾

[آل عمران: 159].

وقال تعالى لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: 43].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

[الأنعام: 109].

وقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125]

أتأمل الآيات وأجيب عن الآتي:

1 – ما علاقة الآيات بموضوع الدرس؟

2 – ما هي آثار التأدب في الخطاب بين المسلمين، وبينهم وبين غيرهم؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: **56 – 60** من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

1 – أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: يَبْتَغُونَ – ٱلْوَسِيلَةَ – مَحْذُورًا – فِى ٱلْكِتَٰبِ.

2 – أبحث عن الحكمة من عدم تخصيص الله تعالى قريشا بآية من آياته مثل الأمم السابقة.

3 – أوضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ مستعينا بمكتسباتي المعرفية؟

الدرس 15

سورة الإسراء

﴿الآيات: 56 – 60﴾

أهداف الدرس

1– أن أتعرف المقصود بالمعبودات التي نهى الله سبحانه عن عبادتها.

2– أن أستنتج الحكمة من عدم تخصيص الله تعالى قريشا بآية من آياته.

3– أن أتمثل مبادئ التوحيد التي ترشد إليها الآيات.

تمهيـــد

بين الله سبحانه في هذه الآيات ما كان يعبد المشركون من دون الله، ثم قرر أن انتشار الظلم سبب إهلاك الأمم، وأن الذي يمنع من تخصيص قريش بالمعجزات، هو تكذيب من سبقهم من الأمم بمثيلاتها، ثم طمأن رسوله ﷺ بأنه عاصمه من قومه وأنه سينصره ويؤيده، مبينا له بأنه جعل أمر الإسراء وشجرة الزقوم فتنة للناس واختبارا لهم.

فمن هم الذين نهى الله تعالى عن عبادتهم؟ وما الحكمة من عدم تخصيص قريش بآية معجزة مثل الأمم السابقة؟

الآيــات

قال الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (56) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (57) وَإِن مِّن قَرْيَةٍ

إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذالك
في الكتاب مسطورا (58) وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون
وءاتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا (59)
وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرءيا التي أريناك إلا فتنة للناس
والشجرة الملعونة في القرءان ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا (60)

[سورة الإسراء: 56 – 60]

الفهم

الشرح :

- **يبتغون** : يطلبون.
- **الوسيلة** : القربة، وسبب الوصول إلى البغية.
- **محذورا** : واجب الاتقاء والحذر.
- **في الكتاب** : في سابق القضاء، وما خطه القلم في اللوح المحفوظ.

استخلاص المضامين:

1- عماذا نهى الله تعالى في هذه الآيات؟

2- ما الحكمة التي تضمنتها الآيات؟

3- بماذا طمأن الله تعالى نبيه ﷺ في الآيات؟

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: النهي عن عبادة غير الله تعالى:

تواصل الآيات بيان باطل ما يعبده المشركون من دون الله، قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ والذين أمر رسول الله ﷺ أن يخاطبهم في هذه الآية ليسوا عبدة الأصنام، وإنما هم عبدة من يعقل. قال ابن مسعود: نزلت في عبدة الشياطين، وهم خزاعة أسلمت الشياطين وبقوا يعبدونهم. وقال ابن عباس: في عزير والمسيح وأمه. وعنه أيضا وعن ابن مسعود وابن زيد والحسن: في عبدة الملائكة، وعن ابن عباس: في عبدة الشمس والقمر والكواكب وعزير والمسيح وأمه.

وفي قوله تعالى: ﴿زَعَمْتُم﴾ " ضمير محذوف عائد على الذين، وهو المفعول الأول، والمفعول الثاني محذوف تقديره: زعمتموهم آلهة من دون الله " [البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان: 7/ 70].

ومعنى الآية: قل لهؤلاء المشركين: ادعوا عند الشدائد والضر هؤلاء المعبودين، فإنهم لا يملكون كشفه ولا تحويله عنكم. ثم أخبرهم على قراءة ابن مسعود وقتادة " تدعون " بالتاء، أو أخبر النبي عليه السلام على قراءة الجمهور ﴿يَدْعُونَ﴾ بالياء؛ أن هؤلاء المعبودين يطلبون التقرب إلى الله والتزلف إليه، وأن هذه حقيقة حالهم.

وقوله سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ يراد به المعبودون، وهو مبتدأ خبره ﴿يَبْتَغُونَ﴾، والضمير في ﴿يَدْعُونَ﴾ للكفار. وفي ﴿يَبْتَغُونَ﴾ للمعبودين. و﴿الْوَسِيلَةَ﴾ هي القربة، وسبب الوصول إلى البغية، وتوسل الرجل: إذا طلب الدنو والنيل لأمر ما، وقال عنترة: " إن الرجال لهم إليك وسيلة"، ومنه قول النبي ﷺ : " من سأل الله لي الوسيلة " الحديث.

و﴿أَيُّهُمْ﴾ مبتدأ. و﴿أَقْرَبُ﴾ خبر. و" أي " استفهامية، والتقدير: ينظرون ويتأكدون أيهم أقرب، فيتوسلون به. وقال ابن فورك وغيره: إن الكلام من قوله سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ﴾

راجع إلى النبيئين المتقدم ذكرهم، فـ ﴿يَدْعُونَ﴾ على هذا من الدعاء، أي: يدعون الناس إلى دين الله. والضمير المرفوع في ﴿يَدْعُونَ﴾ وفي ﴿يَبْتَغُونَ﴾ عائد عليهم أيضا.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ ﴿مِّن﴾ لبيان الجنس، والضمير في ﴿مُهْلِكُوهَا﴾ يعود على القرية، وفي ضمن ذلك الأهل. وقوله: ﴿مُعَذِّبُوهَا﴾ هو على حذف مضاف، فإنه لا يعذب إلا الأهل. وقوله: ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ يريد: في سابق القضاء، وما خطه القلم في اللوح المحفوظ. و﴿مَسْطُورًا﴾ أي: مكتوبا.

ومعنى الآية: أنه ليس مدينة من المدن إلا هي هالكة قبل يوم القيامة بالموت والفناء، تؤخذ جزءا جزءا، أو هي معذبة مأخوذة مرة واحدة، فهذا عموم في كل مدينة. وقيل: المراد الخصوص، أي: وإن من قرية ظالمة. والمعلوم أن كل قرية تهلك، إما من جهة القحوط والخسف غرقا، وإما من الفتن، أو منهما. وصور ذلك كثيرة لا يعلمها إلا الله عز وجل، فأما ما هلك بالفتنة، فعن ظلم ولا بد، إما في كفر أو معاص، أو تقصير في دفاع وحزامة، وأما القحط فيصيب الله به من يشاء، وكذلك الخسف.

ثانيا: الحكمة من عدم تخصيص الله تعالى قريشا بآية من آياته:

بين الله تعالى حكمة عدم تخصيص قريش بمعجزة من معجزاته، فقال سبحانه: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ﴾، ﴿أَن﴾ الأولى في موضع نصب، و﴿أَن﴾ الثانية في موضع رفع، والتقدير: وما منعنا الإرسال إلا التكذيب. وفي الكلام حذف، والمعنى: وما منعنا أن نرسل بالآيات التي اقترحوها إلا أن يكذبوا بها فيهلكوا كما فعل بمن كان قبلهم. وسمى الله تعالى سبق قضائه بتكذيب من كذب وتعذيبه منعا على ظاهر ما تفهم العرب.

وسبب نزول هذه الآية: أن قريشا اقترحوا على رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبا، واقترح بعضهم أن يزيل عنهم الجبال حتى يزرعوا الأرض؛ فأوحى الله إلى محمد عليه الصلاة والسلام: إن شئت أن أفعل ذلك لهم، فإن تأخروا عن الإيمان عاجلتهم العقوبة، وإن شئت استأنيت بهم، عسى أن أجتبي منهم مؤمنين؛ فقال رسول الله ﷺ: "بل تستأني بهم يارب". وقد أخر الله

تعالى العذاب عن مشركي قريش لعلمه أن فيهم من يؤمن وفيهم من يولد مؤمنا.

ولما علم الله تعالى أن المشركين سيقولون: لو جاءتنا آية مما اقترحناه كنا سنؤمن؛ احتج الله تعالى عليهم وذكرهم بأمر ثمود، فقال: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾، قوله: ﴿مُبْصِرَةً﴾ على جهة النسب أي: معها إبصار، كما قال: ﴿ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: 12] أي: معها إبصار ممن ينظر، وهذا عبارة عن بيان أمرها ووضوح إعجازها. وقرأ قوم "مبصرة" بضم الميم وفتح الصاد، حكاه الزجاج، ومعناه متبينة، وقرأ قتادة " مبصرة " بفتح الميم والصاد، وهي مفعلة من البصر، ومثله قول عنترة:

نبئت عمرا غير شاكر نعمتي * * والكفر مخبثةٌ لنفس المنعم

وقوله: ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ أي: وضعوا الفعل في غير موضعه، عندما عقروها. وقيل: بالكفر في أمرها. والمعنى: أن الله تعالى أعطى ثمودا الناقة آية من آياته البينة فكفروا بها وعقروها، فلا تأمنون أن تظلموا بالآية التي اقترحتموها، كما ظلمت ثمود بالناقة.

ثم أخبر الله تعالى أنه إنما يرسل بالآيات غير المقترحة تخويفا للعباد، فقال سبحانه: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ وهي آيات معها إمهال لا معاجلة، فمن ذلك الكسوف والرعد والزلزلة والموت الذريع وغير ذلك. وروي أن الكوفة رجفت في مدة عبد الله بن مسعود. فقال: أيها الناس: إن ربكم يستعتبكم فأعتبوه. ومن هذا قول النبي ﷺ في الكسوف: "فافزعوا إلى الصلاة" الحديث. وآيات الله المعتبر بها ثلاثة أقسام: قسم عام في كل شيء؛ إذ حيثما وضعت نظرك وجدت آية، وهنا فكرة العلماء. وقسم معتاد غبا كالرعد والكسوف ونحوه، وهنا فكرة الجهلة فقط. وقسم خارق للعادة وقد انقضى بانقضاء النبوءة، وإنما يعتبر به توهما لما سلف منه.

ثالثا: عصمة الله تعالى نبيه ﷺ من المشركين:

قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ أي: واذكر يامحمد حين أخبرناك أن الله أحاط بالناس في منعك وحفظك وعصمتك، فلتبلغ رسالة ربك ولا تتهيب أحدا من المخلوقين. فالآية إخبار له بأنه محفوظ من الكفرة، آمن أن يقتل أو ينال بمكروه عظيم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾، اختلف الناس في الرؤيا، فقال الجمهور: هي رؤيا عين ويقظة، وهي ما رأى رسول الله ﷺ في ليلة الإسراء. قالوا: فلما أخبر رسول الله ﷺ صبيحة الإسراء بما رأى في تلك الليلة من العجائب، قال الكفار: إن هذا لعجيب تحث الحداة إلى بيت المقدس شهرين إقبالا وإدبارا، ويقول محمد: إنه جاءه من ليلة وانصرف منه. فافتتن بهذا التلبيس قوم من ضعفة المسلمين فارتدوا، وشق ذلك على رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآيات.

فعلى هذا يحسن أن يكون معنى قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ أي: في إضلالهم وهدايتهم، وأن كل واحد ميسر لما خلق له، أي: فلا تهتم أنت بكفر من كفر ولا تحزن عليهم، فقد قيل لك: إن الله محيط بهم مالك لأمرهم، وقد جعل رؤياك هذه فتنة ليكفر من سبق عليه الكفر. وقال ابن عباس: الرؤيا التي في هذه الآية هي رؤيا رسول الله ﷺ أنه يدخل مكة، فعجل في سنة الحديبية فرد عنها، فافتتن المسلمون بذلك، فنزلت الآيات.

وقوله تعالى: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ الشجرة هنا في قول الجمهور هي شجرة الزقوم، ووصفت بالملعونة وأريد بذلك الملعون آكلها؛ لأنها لم يجر لها في القرآن ذكر إلا في هذا الموضع. قال ابن عطية: ويصح أن يريد الملعونة هنا، فأكد الأمر بقوله: ﴿فِي الْقُرْآنِ﴾. وقالت فرقة: الملعونة المبعدة المكروهة؛ لأن الله تعالى لعنها بلفظ اللعنة المتعارف، وما ينبت في أصل الجحيم فهو في نهاية البعد من رحمة الله. ﴿وَالشَّجَرَةَ﴾ معطوفة على ﴿الرُّءْيَا﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ أي: ونخوف هؤلاء الكفار، أي: كفار مكة، بمخاوف الدنيا والآخرة، ونتوعدهم بالعقوبات، ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ أي: فما يزيدهم التخويف إلا تماديا فيما هم فيه من الكفر والضلال.

ثالثا: مقاصد الآيات:

تهدف هذه الآيات إلى تحقيق جملة من المقاصد التربوية، منها:

- الدعوة إلى توحيد الله تعالى الذي يستحق وحده العبادة، والرد على المشركين الذين يعبدون من لا يملك لهم نفعا ولا ضرا.

• بيان فضل الله تعالى وإنعامه على المسلمين بإمهالهم وتأجيل عقابهم للتوبة والاستقامة، كما أنعم على نبيه بعصمته من قومه؛ ليمكنه من تبليغ الرسالة التي كلف بها من عز وجل.

التقويم

1 – أستنتج مظاهر الضعف والقصور فيما يعبده الناس من دون الله.

2 – أبين أثر الاختلاف في عودة الضمير على معنى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾؟

3 – لماذا لم يقم الله الحجة على مشركي قريش بآية من الآيات التي اقترحوها؟

الاستثمار

قال الألوسي رحمه الله، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ﴾: " وَذَكَرَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ أَنَّ تَكْذِيبَ الْأَوَّلِينَ الْمُسْتَتْبِعَ لِلاسْتِئْصَالِ وَالْمُسْتَلْزِمَ لِتَكْذِيبِ الْآخرِينَ الْمُفْضِيَ لِحُلُولِ الْوَبَالِ مُنَافٍ لِإِرْسَالِ الْآيَاتِ الْمُقْتَرَحَةِ لِتَعَيُّنِ التَّكْذِيبِ الْمُسْتَدْعِي لِمَا يُنَافِي الْحِكْمَةَ فِي تَأْخِيرِ عُقُوبَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ؛ فَعَبَّرَ عَنْ تِلْكَ الْمُنَافَاةِ بِالْمَنْعِ عَلَى نَهْجِ الاسْتِعَارَةِ إِيذَانًا بِتَعَاضُدِ مَبَادِئِ الْإِرْسَالِ، لَا كَمَا زَعَمُوا مِنْ عَدَمِ إِرَادَتِهِ تَعَالَى لِتَأْيِيدِ رَسُولِهِ ﷺ بِالْمُعْجِزَاتِ، وَهُوَ السِّرُّ فِي إِيثَارِ الْإِرْسَالِ عَلَى الْإِيتَاءِ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِشْعَارِ بِتَدَاعِي الْآيَاتِ إِلَى النُّزُولِ لَوْلَا أَنْ تُمْسِكَهَا يَدُ التَّقْدِيرِ. وَإِسْنَادُ الْمَنْعِ إِلَى تَكْذِيبِ الْأَوَّلِينَ لَا إِلَى عِلْمِهِ تَعَالَى بِمَا سَيَكُونُ مِنَ الْمُقْتَرِحِينَ الْآخرِينَ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [الأنفال: 23] لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِإِبْرَازِ الْأُنْمُوذَجِ، وَلِلْإِيذَانِ بِأَنَّ مَدَارَ عَدَمِ الْإِجَابَةِ إِلَى إِيتَاءِ مُقْتَرَحِهِمْ لَيْسَ إِلَّا صَنِيعَهُمْ ". [روح المعاني، للألوسي: 99/8 (بتصرف)]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

– أبين من خلال النص سبب تعبير الآيات بـ " المنع " و" الإرسال ".

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 61– 65 من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

1 – أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: كَرَّمْتَ – غُرُوراً – جَزَآءً مَّوْفُوراً – وَاسْتَفْزِزْ – وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم – لَأَحْتَنِكَنَّ.

2 – ما هي مظاهر تكريم الله تعالى للإنسان في الآيات؟

3 – أبحث عن الأسلوب البلاغي في قوله تعالى: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ وأبين أثره في المعنى.

الدرس 16

سورة الإسراء

﴿الآيات: 61 - 65﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف صور تكريم الله تعالى الإنسان.

2- أن أستنتج أسباب طرد الله سبحانه إبليس من رحمته.

3- أن أستعيد بالله من وساوس الشيطان لأحظى بجوار الرحمن.

تمهيد

لما ذكر الله تعالى محنة رسوله ﷺ مع قومه وأهل زمانه حين حدثهم بالإسراء وشجرة الزقوم فكذبوه واستهزؤوا به؛ بين أن حال الأنبياء مع أهل زمانهم كان كذلك، ومنهم آدم عليه السلام الذي كان في محنة شديدة من إبليس بسبب كبره وحسده اللذين منعاه من طاعة مولاه والانقياد له حين أمره بالسجود لآدم.

فكيف كرم الله تعالى الإنسان؟ ولماذا طرد إبليس من رحمته؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿61﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿62﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ

جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿63﴾ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿64﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿65﴾

[سورة الإسراء: 61 – 65]

الفهم

الشرح:

كَرَّمْتَ : من الإكرام، وهو اسم جامع لكل ما يحمد.

لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ : لأستولين على أولاده ونسله استيلاء قويا بالإغواء.

جَزَآءً مَّوْفُورًا : وافرا كاملا.

وَاسْتَفْزِزْ : استخف واخدع.

وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم : صح فيهم.

غُرُورًا : الغرور: إظهار الشيء المكروه في صورة المحبوب الحسن.

استخلاص المضامين:

1- من كرم الله تعالى في الآيات؟ ومن طرد من رحمته؟

2- كيف واجه إبليس خبر طرده من رحمة الله؟

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: تكريم اللّه تعالى الإنسان وطرده إبليس من رحمته:

بعد أن ذكر الله تعالى طغيان المشركين وعبادتهم من لا يملك لهم نفعا ولا ضرا، بين في هذه الآيات أن سبب هذا الطغيان هو وساوس الشيطان، فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾، ﴿إِذْ﴾ منصوبة بفعل مضمر. واختلف في قوله: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ فقيل: هو استثناء منقطع؛ لأن إبليس لم يكن من الملائكة. وقيل: هو متصل؛ لأن إبليس من الملائكة. وقوله: ﴿ءَأَسْجُدُ﴾ استفهام إنكار وتعجب. وقوله: ﴿طِينًا﴾ يصح أن يكون تمييزا، ويصح أن يكون حالا والعامل فيه " خَلَقْتَ ". والمعنى: واذكر إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم.

وقاس إبليس في هذه النازلة فأخطأ، وذلك أنه رأى الفضيلة لنفسه من حيث رأى النار أفضل من الطين، وجهل أن الفضائل في الأشياء إنما تكون بما خصها الله تعالى به، ولا ينظر إلى أصولها. وكفر إبليس بجهله صفة العدل من الله تعالى حين لحقته الأنفة والكبر، وكان أصل ذلك الحسد؛ ولذلك قيل: إن أول ما عصي الله به الحسد. وظهر ذلك من إبليس من قوله: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾. ومعنى ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾: أتأملت ونحوه، كأن المخاطب بها ينبه المخاطب ليستجمع لما ينصه عليه بعد، والكاف في قوله: ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ هي كاف خطاب ومبالغة في التنبيه، و﴿هَٰذَا﴾ نصب ب ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ و﴿ٱلَّذِى﴾ نعته، و ﴿كَرَّمْتَ﴾ من الإكرام، وهو اسم جامع لكل ما يحمد.

ثانيا: طغيان إبليس وتوعده ذرية آدم عليه السلام:

وقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾، قوله: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ معناه: لأميلن ولأجرن، وهو مأخوذ من تحنيك الدابة وهو أن يشد على حنكها بحبل أو غيره فتنقاد. قال الطبري: معناه: لأستأصلن. وعبر ابن عباس في ذلك بـــ " لأستولين ". وقال ابن زيد:

لأضلن. وهذا تبديل للفظ لا تفسير.

وحكم إبليس بهذا الحكم على ذرية آدم من حيث رأى الخلقة مجوفة مختلفة الأجزاء وما اقترن بها من الشهوات والعوارض كالغضب ونحوه، ثم استثنى القليل لعلمه أنه لا بد أن يكون في ذريته من يتمكن في طاعة الله.

ولما سأل إبليس لعنه الله النظرة قال الله له: ﴿قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا﴾، قوله: ﴿ٱذۡهَبۡ﴾. وما بعده من الأوامر هو صيغة افعل سيقت للتهديد، كقوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلت: 39]. و﴿تَبِعَكَ﴾ معناه: في طريق الكفر الذي تدعو إليه، فالآية في الكفار وفي من ينفذ عليه الوعيد من العصاة. وقوله: ﴿جَزَآءٗ﴾ مصدر في موضع الحال. و﴿مَّوۡفُورٗا﴾ مكملا.

وقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم﴾ استفزز معناه: استخف واخدع حتى يقع في إرادتك، تقول: استفزني فلان في كذا إذا خدعك حتى تقع في أمر أراده. وقوله: ﴿بِصَوۡتِكَ﴾ المراد بالصوت هنا: هو الغناء والمزامير والملاهي؛ لأنها أصوات كلها مختصة بالمعاصي، فهي مضافة إلى الشيطان، قاله مجاهد. وقيل: معناه بدعائك إياهم إلى طاعتك، قال ابن عباس: صوت الشيطان كل داع إلى معصية الله. والصواب: أن يكون الصوت يعم جميع ذلك. وقوله تعالى: ﴿وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم﴾ قوله: ﴿وَأَجۡلِبۡ﴾ أي: هول، والجلبة: الصوت الكثير المختلط الهائل. وقوله: ﴿بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ قيل: هذا مجاز واستعارة تمثيلية، شبه حال الشيطان في تسلطه على الغاوين بالفارس الذي يصيح بجنده للهجوم على الأعداء؛ للغلبة عليهم. والمعنى: اسع سعيك وابلغ جهدك. وقيل معناه: أن له من الجن خيلا ورجلا، قاله قتادة. وقيل: المراد: فرسان الناس ورجالتهم المتصرفون في الباطل، فإنهم كلهم أعوان لإبليس على غيرهم، قاله مجاهد.

وقوله سبحانه: ﴿وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ﴾ عام لكل معصية يصنعها الناس بالمال، فإن ذلك المصرف في المعصية، هو خط إبليس. فمن ذلك البحائر وشبهها، ومن ذلك مهر البغي، وثمن الخمر، وحلوان الكاهن، والربا، وغير ذلك مما يوجد في الناس أبدا. وقوله: ﴿وَٱلۡأَوۡلَٰدِ﴾ عام لكل ما يصنع في أمر الذرية من المعاصي، فمن ذلك الإيلاد بالزنا، ومن ذلك تسميتهم عبد

شمس، وعبد الجدي، وأبا الكويفر، وكل اسم مكروه. ومن ذلك الوأد الذي كانت العرب تفعله. ومن ذلك صنيعهم في أديان الأخرى، وغير هذا. ﴿وَعِدْهُمْ﴾ حذف المفعول للتعميم في الموعود به، أي: منهم بما لا يتم لهم، وبأنهم غير مبعوثين، فهذه مشاركة في النفوس. ثم أخبر الله تعالى أن ما يعدهم الشيطان إلا غرورا منه، فقال: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

ثم بين الله تعالى أنه لا سلطان للشيطان على عباد الله الصالحين، فقال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ هذا خطاب من الله تعالى لإبليس، وهي جملة مستأنفة استئنافا بيانيا ناشئا عن قوله: ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ [الإسراء: 63]. وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم﴾ [الإسراء: 64] يفيد بأن فريقا من ذرية آدم لا يتبع إبليس. وقوله: ﴿عِبَادِي﴾ يريد المؤمنين في الكفر، والمتقين في المعاصي. وخصهم باسم العباد وإن كان اسما عاما لجميع الخلق، من حيث قصد تشريفهم والتنويه بهم، كما يقول رجل لأحد بنيه: إذا رأى منه ما يحب: هذا ابني، على معنى التنبيه منه والتشريف له. ومنه قول النبي r لسعد بن أبي وقاص: " هذا خالي فليرني امرؤٌ خاله " [سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب مناقب سعد بن أبي وقاص]. والمراد بـــ ﴿سُلْطَانٌ﴾ الملكة والتغلب. ثم قال تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ والمعنى: وكفى بربك يامحمد حافظا للمؤمنين من كيد الشيطان وغروره، وقيما على هدايتهم.

ثالثا: مقاصد الآيات:

تهدف هذه الآيات إلى تحقيق مقاصد تربوية عديدة، أبرزها:

- بيان انقياد الملائكة لأمر الله تعالى بسجودهم لآدم عليه السلام، فهم عباد معصومون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

- تكريم الله تعالى لآدم عليه السلام حيث خصه بسجود الملائكة؛ ليعلم البشر علو منزلتهم ورفعة مكانتهم عند الله.

- رحمة الله تعالى بعباده إذ أرشدهم إلى طريق الحق وعصم المخلصين منهم من وساوس الشيطان فلم يجعل له عليهم سلطانا.

• بيان خطورة الاستكبار وعدم الامتثال لأمر الله تعالى حيث توعد الله تعالى إبليس ومن تبعه من ذرية آدم لامتناعه واستكباره عن السجود لآدم عليه السلام.

التقويـم

1 – بماذا كرم الله تعالى الإنسان في هذه الآيات؟

2 – ما هي أسباب طرد إبليس من رحمة الله؟

3 – هل الأوامر في قوله تعالى: ﴿ٱذْهَبْ﴾ وما بعدها، حقيقية أم مجازية؟

الاستثمار

" وَجُمْلَةُ ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ﴾ بَدَلُ اشْتِمَالٍ مِنْ جُمْلَةِ ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ بِاعْتِبَارِ مَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِن احْتِقَارِ آدَمَ وَتَغْلِيطِ الْإِرَادَةِ مِنْ تَفْضِيلِهِ. فَقَدْ أُعِيدَ إِنْكَارُ التَّفْضِيلِ بِقَوْلِهِ: ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ الْمُفِيدِ الْإِنْكَارَ. و ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ تَرْكِيبٌ يُفْتَتَحُ بِهَا الْكَلَامُ الَّذِي يُرَادُ تَحْقِيقُهُ وَالِاهْتِمَامُ بِهِ. وَمَعْنَاهُ: أَخْبِرْنِي عَمَّا رَأَيْتَ، وَهُوَ مُرَكَّبٌ مِنْ هَمْزَةِ اسْتِفْهَامٍ، وَ (رَأَى) الَّتِي بِمَعْنَى عَلِمَ، وَتَاءِ الْمُخَاطَبِ الْمُفْرَدِ الْمَرْفُوعِ، ثُمَّ يُزَادُ عَلَى ضَمِيرِ الْخِطَابِ كَافُ خِطَابٍ تُشْبِهُ ضَمِيرَ الْخِطَابِ الْمَنْصُوبِ بِحَسَبِ الْمُخَاطَبِ وَاحِدًا أَوْ مُتَعَدِّدًا. وَهَذِهِ الْكَافُ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ تَأْكِيدٌ لِمَعْنَى الْخِطَابِ الَّذِي تُفِيدُهُ تَاءُ الْخِطَابِ الَّتِي فِي مَحَلِّ رَفْعٍ، وَهُوَ يُشْبِهُ التَّوْكِيدَ اللَّفْظِيَّ.

وَهَذَا الْكَلَامُ صَدَرَ مِنْ إِبْلِيسَ إِعْرَابًا عَمّا فِي ضَمِيرِهِ، وَإِنَّمَا شَرَطَ التَّأْخِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِيَعُمَّ بِإِغْوَائِهِ جَمِيعَ أَجْيَالِ ذُرِّيَّةِ آدَمَ فَلَا يَكُونُ جِيلٌ آمِنًا مِنْ إِغْوَائِهِ، وَصَدَرَ ذَلِكَ مِنْ إِبْلِيسَ عَنْ وِجْدَانٍ أُلْقِيَ فِي نَفْسِهِ صَادَفَ مُرَادَ اللهِ مِنْهُ؛ فَإِنَّ اللهَ لَمَّا خَلَقَهُ قَدَّرَ لَهُ أَنْ يَكُونَ عُنْصُرَ إِغْوَاءٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّهُ يُغْوِي كَثِيرًا مِنَ الْبَشَرِ وَيَسْلَمُ مِنْهُ قَلِيلٌ مِنْهُمْ ".

[التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور: 15 /150 151 (بتصرف)]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 - أوضح ما تشتمل عليه جملة ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ﴾ من معان.

2 - لماذا طلب إبليس إنظاره إلى يوم القيامة؟ ولماذا سلط على بني آدم؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 66 - 69 من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: يُزْجِي - يَخْسِفَ - حَاصِباً - قَاصِفاً - تَبِيعاً.

2 - ما هي النعم التي امتن الله تعالى بها على الإنسان؟ ولماذا هدد من جحدها؟

3 - أبحث عن نوع الاستغراق الذي يفيده لفظ ﴿الْإِنسَانُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُوراً﴾، وأوضح الفرق بين الاستغراق الحقيقي والعرفي.

الدرس
17

سورة الإسراء

﴿الآيات: 66 - 69﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف الغاية من امتنان الله تعالى بنعمه على الإنسان.

2- أن أستنتج المقصد من تهديد الله سبحانه للإنسان الجحود.

3- أن تمثل نعم الله علي لأشكره عليها.

تمهيد

لما ذكر الله تعالى في الآيات السالفة قصة إبليس، بين سبحانه في هذه الآيات بعض نعمه على الإنسان، وأقام أدلة واضحة على قدرته وعظيم سلطانه؛ ثم بين أن الإنسان مجبول على مقابلة نعم ربه بالإنكار والجحود، فإذا مسه ضر دعا ربه والتجأ إليه، وإذا كشف عنه ضره انغمس في الشهوات وغفل عن طاعة ربه.

فما هي النعم التي تفضل الله سبحانه بها على الإنسان؟ وما هي عاقبة من قابل تلك النعم بالجحود والنكران؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (66) وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّيكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا (67) أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ

جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا (68) أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا (69) ﴾ [سورة الإسراء: 66 - 69]

الفهم

الشرح :

- يُزْجِي : يسوق سوقا ثقيل السير.
- يَخْسِفَ : يغيب في التراب.
- حَاصِبًا : ريحا شديدة.
- قَاصِفًا : ريحا لها صوت شديد.
- تَبِيعًا : نصيرا يطلب ثأرا.

استخلاص المضامين:

1- ما هي نعم الله تعالى على الإنسان التي تضمنتها الآيات؟

2- ماذا جحد الإنسان في هذه الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: نعم الله تعالى على الإنسان في البحر:

لما أجرى الله تعالى الكلام في الآيات السابقة على الإنذار والتحذير، أورد في هذه الآيات استدلالا على صحة ذلك، فقال سبحانه: ﴿ رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ﴾

قوله: ﴿يُزْجِي﴾ يسوق سوقا ثقيل السير إما لضعف أو ثقل حمل أو غيره، فالإبل الضعاف تزجى، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾ [النور: 42]، والبضاعة المزجاة هي التي تحتاج لاختلالها أن تساق بشفاعة وتدفع بمعاون إلى الذي يقبضها، وإزجاء الفلك: سوقها من مكان إلى مكان بالريح اللينة والمجاديف، والفلك هنا جمع لا مفرد. و﴿الْبَحْرِ﴾: الماء الكثير عذبا كان أو ملحا، وقد غلب الاسم على هذا المشهور. وقوله تعالى: ﴿لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ لفظ يعم التجارة وطلب الأجر في حج ونحوه. وهذه الآية توقيف على آلاء الله وفضله على عباده. ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ " حيث هيأ لكم ما تحتاجون إليه وسهل عليكم ما تعسر من أسبابه " [أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: 261/3].

وبعد أن ألزم الله تعالى المشركين الحجة على استحقاقه تعالى الإلهية، أعقب ذلك ببيان إقرارهم بانفراده سبحانه بالتصرف حال اضطرارهم، ثم تعجب سبحانه من مناقضتهم أنفسهم عند نجاتهم وزوال اضطرارهم، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ الضر: لفظ يعم خوف الغرق، والامتساك في المشي، وأهول حالاته اضطرابه وتموجه. وقوله: ﴿ضَلَّ﴾ معناه تلف وفقد، وهي عبارة تحقير لمن يدعي إلها من دون الله. والمعنى في هذه الآية: أن الكفار إنما يعتقدون في أصنامهم أنها شافعة وأن لها فضلا، وكل واحد منهم بالفطرة يعلم علما لا يقدر على مدافعته أن الأصنام لا فعل لها في الشدائد العظام، فوقفهم الله من ذلك على حالة البحر.

ثم ذكر الله تعالى حالهم إذ كشف عنهم تلك الشدائد ونجاهم وفرج عنهم ووصلوا إلى البر من إعراضهم عنه وكفرانهم نعمة إنجائهم من الغرق فقال: ﴿فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا﴾ قوله: ﴿أَعْرَضْتُمْ﴾ أي: لم تفكروا في صنع الله وقت حاجتكم إليه. و﴿الْإِنسَانُ﴾ هنا للجنس، وهو مفيد للاستغراق؛ إذ كل أحد لا يكاد يؤدي شكر الله تعالى كما يجب. وقوله: ﴿كَفُورًا﴾ أي: كفورا بالنعم.

ثانيا: جحود الإنسان نعم الله:

بعد بيان الله سبحانه سخافة عقول الكفار، وأنهم إذا وصلوا إلى البر ونجوا من هول البحر

رجعوا إلى كفرهم آمنين عذاب الله، خوفهم بقدرته العظيمة فقال سبحانه: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ الهمزة في ﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾ للإنكار. و﴿أَن يَخْسِفَ﴾ أن يغيب في التراب. الحاصب: العارض الرامي بالبرد والحجارة ونحو ذلك، ومنه الحاصب الذي أصاب قوم لوط. والحصب: الرمي بالحصباء، وهي الحجارة الصغار. والوكيل: القائم بالأمور.

والمعنى: أفأمنتم أيها المعرضون الناسون الشدة حين صرتم إلى الرخاء أن يخسف الله بكم مكانكم من البر إذا أنتم في قبضة القدرة في البحر والبر.

وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي ﴿يَخْسِفَ﴾ بالياء على معنى يخسف الله، وكذلك ﴿فَيُرْسِلَ﴾ و﴿يُعِيدَ﴾ و﴿يرسل﴾ و﴿فَيُغْرِقَكُم﴾، وقرأ أبو جعفر ومجاهد "تغرقكم" بتاء الخطاب مسندا إلى الريح.

وقوله: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ "أم" في ﴿أَمْ أَمِنتُمْ﴾ منقطعة تقدر بـ " بل والهمزة "، فهي للإضراب الانتقالي أي: بل أمنتم. والقاصف الذي يكسر كل ما يلقى ويقصفه. و﴿تَارَةً﴾ جمعها تارات وتير، معناه: مرة أخرى. والباء في ﴿بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ سببية و" ما " مصدرية، أي: بسبب كفركم السابق منكم ﴿لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ التبيع: النصير الذي يطلب ثأرا أو دينا. ومن هذه اللفظة قول النبي عليه السلام: " إذا أتبع أحدكم على مليء فليتبع " [صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب تحريم مطل الغني...] فالمعنى: لا تجدون من يتبع فعلنا بكم، ويطلب نصرتكم.

ثالثا: مقاصد الآيات:

ترشد هذه الآيات إلى تحقيق مقاصد تربوية، يمكن إجمالها فيما يأتي:

- تأكيد الله سبحانه على وحدانيته واستحقاقه العبادة دون سواه؛ ذلك أن المقصد الأعظم في القرآن الكريم هو تقرير دلائل التوحيد.

- تذكير العباد بأن الله هو الذي يضمن أمن الإنسان وسلامته في البر والبحر، حينما يلتجئ إليه بالاستغاثة والدعاء دون سواه.

• بيان فضل الله تعالى وجوده على عباده، حيث لم يعاقبهم بما عاقب من قبلهم.

التقويـم

1 – لماذا امتن الله تعالى على الإنسان بنعمه وآلائه؟

2 – أبين المقصد من تهديد الله تعالى الإنسان الكفور؟

3 – هل التعريف في ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يفيد الاستغراق الحقيقي أم العرفي؟ وهل لذلك أثر في معنى الآية؟

الاستثمار

" وَلَمَّا كَانَ الشُّكْرُ عَلَى النِّعْمَةِ مُتَوَقِّفًا عَلَى تَذَكُّرِ النِّعْمَةِ كَانَتْ شَوَاغِلُهُ عَنْ تَذَكُّرِ النِّعَمِ الْمَاضِيَةِ مُغَطِّيَةً عَلَيْهَا، وَلِأَنَّ مُدْرَكَاتِ الْحَوَاسِّ مِنْهَا الْمُلَائِمُ لِلنَّفْسِ وَهُوَ الْغَالِبُ، وَمِنْهَا الْمُنَافِرُ لَهَا. فَالْإِنْسَانُ إِذَا أَدْرَكَ الْمُلَائِمَ لَمْ يَشْعُرْ بِقُدْرَةٍ عِنْدَهُ لِكَثْرَةِ تَكَرُّرِهِ حَتَّى صَارَ عَادَةً فَذُهِلَ عَمَّا فِيهِ مِنْ نَفْعٍ، فَإِذَا أَدْرَكَ الْمُنَافِرَ اسْتَذْكَرَ فُقْدَانَ الْمُلَائِمِ فَضَجَّ وَضَجِرَ. وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾ [فصلت: 50]. وَلِهَذَا قَالَ الْحُكَمَاءُ: الْعَافِيَةُ تَاج على رُؤُوس الْأَصِحَّاءِ لَا يَرَاهُ إِلَّا الْمَرْضَى. فَهَذَا الِاعْتِبَارُ هُوَ الَّذِي أَشَارَتْ لَهُ الْآيَةُ ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: 67] مَعَ الَّتِي بَعْدَهَا وَهِيَ ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ [الإسراء: 68] الْآيَةَ. وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَ مِنْ آدَابِ النَّفْسِ فِي الشَّرِيعَةِ تَذْكِيرُهَا بِنِعَمِ اللهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: 7] لِيَقُومَ ذِكْرُ النِّعْمَةِ مقام معاهدتها ". [التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور: 15/ 161 (بتصرف)]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 – ما المقصود بـــ "الملائم" و"المنافر" في النص؟ وما علاقتهما بشكر النعم؟

2 – ما أثر تذكر نعم الله تعالى على تزكية النفس؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: **70** – **72** من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

1 – أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ – بِإِمَٰمِهِمْ – فَتِيلًا – وَأَضَلُّ سَبِيلًا.

2 – كيف كرم الله تعالى الإنسان؟ ولماذا فضله على غيره؟

3 – بم تتعلق الباء في قوله تعالى: ﴿بِإِمَٰمِهِمْ﴾؟ وما فائدة تحديد هذا التعلق في توضيح معنى الآية؟

الدرس 18

سورة الإسراء

﴿الآيات: 70 - 72﴾

أهداف الدرس

1- أن أطلع على مظاهر تكريم الله تعالى الإنسان.

2- أن أستنتج أسباب تفاوت الناس يوم القيامة.

3- أن أستحضر نعم الله تعالى على الدوام لأستمر في طاعته.

تمهيد

لما بين الله تعالى في الآيات السابقة النعم التي امتن بها على عباده؛ نوه في هذه الآيات بتكريمه لبني آدم وتشريفهم على سائر المخلوقات، ثم ذكر سبحانه ما في الآخرة من تفاوت كبير بين الناس؛ إذ سينقسمون إلى سعداء يأخذون كتبهم بأيمانهم، وأشقياء يأخذون كتبهم بشمائلهم، عندئذ سيحاسب الله الجميع ويجازي كلا بما عمل.

فما هي مظاهر تشريف الله تعالى وتكريمه للإنسان؟ وعلى أي أساس يتفاوت الناس يوم القيامة؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (70) يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (71) وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا (72)﴾

[سورة الإسراء: 70-72]

الفهم

الشرح:

كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ : جعلنا لبني آدم كرما وشرفا وفضلا على جميع المخلوقات.

بِإِمَٰمِهِمۡ : بالذي كانوا يقتدون به ويتبعونه في الخير أو الشر.

فَتِيلٗا : مقدار فتيل وهو غلالة رقيقة تشبه الخيط في بطن النواة.

وَأَضَلُّ سَبِيلٗا : وأشد حيرة، وأقرب إلى العذاب.

استخلاص المضامين:

1- من كرم الله تعالى في هذه الآيات؟ وبماذا؟

2- هل يكون الناس في الآخرة على درجة واحدة؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: تكريم الله تعالى الإنسان:

لما ذكر الله تعالى من تخويف الإنسان ما ذكر في الآيات السابقة، بين نعمته عليهم وتكريمهم على غيرهم فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ كرمنا تضعيف كرم، فالمعنى: جعلنا لهم كرما وشرفا وفضلا على جميع المخلوقات. وهذا هو كرم نفي النقصان، لا كرم المال، وإنما هو كما تقول: ثوب كريم، أي: محاسنه جمة.

﴿وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ أي: وحملناهم بقدرتنا ورعايتنا على الدواب، وغير ذلك من وسائل الانتقال كالقطارات والسيارات وغيرها، وحملناهم في البحر على السفن التي تنقلهم من مكان إلى آخر، وهذا بيان لنوع من أنواع التكريم.

ثم بين سبحانه النوع الثاني من أنواع تكريم الإنسان، فقال عز وجل: ﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الرزق: كل ما صح الانتفاع به.

أما النوع الثالث مما كرم الله تعالى به الإنسان، فقد بينه سبحانه بقوله: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ أي: على البهائم والدواب والوحش والطير بالغلبة والاستيلاء، والثواب والجزاء والحفظ والتمييز وإصابة الفراسة " [الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: 10 /295].

قال ابن عطية: رحمه الله: وهذه الآية عدد الله تعالى فيها على بني آدم ما خصهم به من بين سائر الحيوان، والحيوان والجن هو الكثير المفضول، والملائكة هم الخارجون عن ذلك. وحملهم في البر والبحر، مما لا يصلح لحيوان سوى الإنسان الذي يحمل بإرادته وقصده وتدبيره في البر والبحر جميعا. والرزق من الطيبات لا يتسع فيه حيوان اتساع بني آدم؛ لأنهم يكسبون المال خاصة دون الحيوان، ويلبسون الثياب، ويأكلون المركبات من الأطعمة، وغاية كل حيوان أن يأكل لحما نيا، أو طعاما غير مركب.

وحكى الطبري عن جماعة أنهم قالوا: " التفضيل " هو أن يأكل بيديه وسائر الحيوان بالفم. وقال غيره: وأن ينظر من إشراف أكثر من كل حيوان، ويمشي قائما، ونحو هذا من التفضيل.

وهذا كله غير عام، وذلك لأن للحيوان من هذا النوع ما يفضل به ابن آدم، كجري الفرس وسمعه وإبصاره، وقوة الفيل، وشجاعة الأسد، وكرم الديك؛ وإنما التكريم والتفضيل بالعقل الذي يملك به الحيوان كله، وبه يعرف الله عز وجل، ويفهم كلامه، ويوصل إلى نعيمه.

وقالت فرقة: هذه الآية تقضي بفضل الملائكة على الإنس، من حيث هم المستثنون، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: 171]، وهذا غير لازم من الآية، بل التفضيل بين الإنس والجن لم تعن به الآية، بل يحتمل أن الملائكة أفضل، ويحتمل التساوي. وإنما صح تفضيل الملائكة من مواضع أخر من الشرع.

ثانيا: تفاوت أحوال الناس في الآخرة:

بعد بيان الله سبحانه أنواع تكريم الله تعالى للإنسان، ونعمه عليه في الدنيا، وأنه فضله على كثير من خلقه، بين في هذه الآيات ما في الآخرة من تفاوت شديد بين أهل السعادة وأهل الضلال، فقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ يحتمل قوله: ﴿يَوْمَ﴾ أن يكون منصوبا على الظرف، والعامل فيه: فعل مضمر تقديره "اذكر"، أو فعل يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾، تقديره: ولا يظلمون يوم ندعو، ثم فسره يظلمون الأخير. ويصح أن يعمل فيه ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ﴾؛ وذلك أن فضل البشر يوم القيامة على سائر الحيوان بين؛ لأنهم المنعمون المكلمون المحاسبون الذين لهم القدر. ويحتمل أن يكون يوم منصوبا على البناء لما أضيف إلى غير متمكن، ويكون موضعه رفعا بالابتداء، والخبر في التقسيم الذي أتى بعد في قوله: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن كَانَ﴾.

و﴿أُنَاسٍ﴾ اسم جمع لا واحد له من لفظه. وقوله: ﴿بِإِمَامِهِمْ﴾ يحتمل أن تتعلق الباء في ﴿بِإِمَامِهِمْ﴾ بـ﴿نَدْعُوا﴾، أي: ندعو باسم إمامهم، ويحتمل أن يريد مع إمامهم. فعلى التأويل الأول: يقال: ياأمة محمد، وياأتباع فرعون، ونحو هذا. وعلى التأويل الثاني: تجيء كل أمة معها إمامها من هاد أو مضل.

واختلف المفسرون في المقصود بـ ﴿بِإِمَامِهِمْ﴾، فقال مجاهد وقتادة: نبيهم. وقال ابن زيد: كتابهم الذي نزل عليهم. وقال ابن عباس والحسن: كتابهم الذي فيه أعمالهم. وقالت فرقة: متبعهم من هاد أو مضل. ولفظة "الإمام" تعم هذا كله؛ لأن الإمام هو ما يؤتم به ويهتدى به في المقصد.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ قوله: ﴿يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾ عبارة عن السرور بها، أي: يرددونها ويتأملونها. وقوله: ﴿فَتِيلًا﴾ الفتيل: هو الخيط الذي في شق نواة التمرة، يضرب به المثل في القلة وتفاهة القدر. وفيه استعارة تمثيلية، أي: لا ينقصون من ثواب أجورهم ولو بمقدار خيط شق النواة، أي: ولا أقل ولا أكثر. فهذا هو مفهوم الخطاب، حكم المسكوت عنه كحكم المذكور. وهو مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾ [الإسراء: 23] وكقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: 40].

ومعنى الآية: اذكر أيها الرسول يوم القيامة حين يدعو الله عز وجل كل جماعة من الناس مع إمامهم الذي كانوا يقتدون به في الدنيا، حينما تتطاير صحائف الأعمال وتوضع في الأيمان لأهل الإيمان، وفي الشمائل لأهل الكفر، وتوضع في أيمان المذنبين الذين ينفذ عليهم الوعيد، فسيستفيدون منها أنهم غير مخلدين في النار.

وأما من يؤتى كتابه بشماله، فقد عبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ قال محمد بن أبي موسى: الإشارة بهذه إلى النعم التي ذكرها في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ أي: من عمي عن شكر هذه النعم والإيمان لمسديها، فهو في أمور الآخرة وشأنها أعمى.

قال ابن عطية ويحتمل ﴿أَعْمَىٰ﴾ الثاني أن يكون بمنزلة الأول، على أنه تشبيه بأعمى البصر، ويحتمل أن يكون صفة تفضيل، أي: أشد عمى. والعمى في هذه الآية: هو عمى القلب في الأول والثاني.

وقال ابن عباس ومجاهد قتادة وابن زيد: الإشارة بـــ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ إلى الدنيا، أي: من كان في هذه الدار أعمى عن النظر في آيات الله وعبره والإيمان بأنبيائه، فهو في الآخرة أعمى. إما أن يكون على حذف مضاف، أي: في شأن الآخرة، وإما أن يكون: فهو في يوم القيامة أعمى على معنى أنه حيران لا يتوجه له صواب، ولا يلوح له نجح. قال مجاهد ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ عن حجته.

قال القاضي أبو محمد: والظاهر عندي أن الإشارة بـــ ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ إلى الدنيا، أي: من كان في دنياه هذه ووقت إدراكه وفهمه أعمى عن النظر في آيات الله، فهو في يوم القيامة أشد حيرة وأعمى لأنه قد باشر الخيبة ورأى مخايل العذاب. وبهذا التأويل تكون معادلة للتي قبلها من ذكر من يؤتى كتابه بيمينه. وإذا جعلنا قوله: في الآخرة بمعنى في شأن الآخرة لم تطرد المعادلة بين الآيتين.

وقرأ ابن كثير وابن عامر وقالون عن نافع وحفص عن عاصم: ﴿أَعْمَىٰ﴾ في الموضعين بغير إمالة، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم بخلاف عنه في الموضعين ب إمالة، وقرأ أبو عمرو

بإمالة الأول وفتح الثاني، وتأوله بمعنى أشد عمى ولذلك لم يمله. قال أبو علي: لأن الإمالة إنما تحسن في الأواخر، وأعمى ليس كذلك لأن تقديره أعمى من كذا، فليس يتم إلا في قولنا من كذا، فهو إذا ليس بآخر. ويقوي هذا التأويل قوله عطفا عليه: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾، فإنما عطف أضل الذي هو أفعل من كذا على ما هو شبيه به. وإنما جعله في الآخرة أضل سبيلا لأن الكافر في الدنيا يمكن أن يؤمن فينجو، وهو في الآخرة لا يمكنه ذلك، فهو أضل سبيلا وأشد حيرة وأقرب إلى العذاب.

وقول سيبويه رحمه الله: لا يقال: أعمى من كذا، في عمى العين الذي لا تفاضل فيه، وأما في عمى القلب فيقال ذلك؛ لأنه يقع فيه التفاضل.

ثالثا: مقاصد الآيات:

ترشد هذه الآيات إلى جملة من المقاصد التربوية، منها:

• تكريم الله تعالى الإنسان، وتفضيله على غيره بأن خلقه في أحسن تقويم ومنحه العقل والتفكير، وهيأ له أسباب راحته، وهيأ له ما يركبه في البر والبحر، ورزقه من الطيبات، وفضله على كثير من المخلوقات.

• وجوب الإخلاص لله عز وجل وحده والاعتراف بفضله ونعمه ومقابلتها بالشكر والعرفان، وفي هذا تحقيق لتزكية النفس وتهذيبها من المكدرات.

• محاسبة العباد يوم القيامة بالعدل المطلق؛ إذ سيتلقى الناس كتبهم المتضمنة لأعمالهم صغيرها وكبيرها.

التقويم

1 - بم فضل الله تعالى الإنسان على غيره في الآيات؟

2 - أستخلص من الآيات ما تضمنته من أساليب بلاغية، وأبين أثر ذلك في المعنى.

3 - ما المقصد من تقييد أعمال العباد وتسليمها لأصحابها يوم القيامة؟

الاستثمار

" وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِنْسَانَ جَوْهَرٌ مُرَكَّبٌ مِنَ النَّفْسِ وَالْبَدَنِ، فَالنَّفْسُ الْإِنْسَانِيَّةُ أَشْرَفُ النُّفُوسِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ، وَبَدَنُهُ أَشْرَفُ الْأَجْسَامِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ.

وَتَقْرِيرُ هَذِهِ الْفَضِيلَةِ فِي النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ هِيَ أَنَّ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ قُوَاهَا الْأَصْلِيَّةُ ثَلَاثٌ: وَهِيَ الِاغْتِذَاءُ وَالنُّمُوُّ وَالتَّوْلِيدُ، وَالنَّفْسُ الْحَيَوَانِيَّةُ لَهَا قُوَّتَانِ: الْحَسَاسَةُ سَوَاءٌ كَانَتْ ظَاهِرَةً أَوْ بَاطِنَةً، وَالْحَرَكَةُ بِالِاخْتِيَارِ، فَهَذِهِ الْقُوَى الْخَمْسَةُ: أَعْنِي الِاغْتِذَاءَ وَالنُّمُوَّ وَالتَّوْلِيدَ وَالْحِسَّ وَالْحَرَكَةَ حَاصِلَةٌ لِلنَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ. ثُمّ إِنَّ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ مُخْتَصَّةٌ بِقُوَّةٍ أُخْرَى، وَهِيَ الْقُوَّةُ الْعَاقِلَةُ الْمُدْرِكَةُ لِحَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ كَمَا هِيَ، وَهِيَ الَّتِي يَتَجَلَّى فِيهَا نُورُ مَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَى، وَيُشْرِقُ فِيهَا ضَوْءُ كِبْرِيَائِهِ، وَهُوَ الَّذِي يَطَّلِعُ عَلَى أَسْرَارِ عَالَمَيِ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، وَيُحِيطُ بِأَقْسَامِ مَخْلُوقَاتِ اللهِ مِنَ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَامِ كَمَا هِيَ، وَهَذِهِ الْقُوَّةُ مِنْ تَلْقِيحِ الْجَوَاهِرِ الْقُدْسِيَّةِ وَالْأَرْوَاحِ الْمُجَرَّدَةِ الْإِلَهِيَّةِ، فَهَذِهِ الْقُوَّةُ لَا نِسْبَةَ لَهَا فِي الشَّرَفِ وَالْفَضْلِ إِلَى تِلْكَ الْقُوَى النَّبَاتِيَّةِ وَالْحَيَوَانِيَّةِ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ظَهَرَ أَنَّ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ أَشْرَفُ النُّفُوسِ الْمَوْجُودَةِ فِي هَذَا الْعَالَمِ ".[مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي: 21 /372]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 - أقارن بين النفس الإنسانية، والنفس الحيوانية.

2 - أبرهن من خلال النص، على أن النفس الإنسانية أشرف من غيرها.

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 73 – 77 من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

1 – أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: كَادُواْ - لَيَفۡتِنُونَكَ - لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥ - تَرۡكَنُ.

2 – أبحث عن سبب نزول الآيات.

3 – على من يعود الضمير في ﴿كَادُواْ﴾ من قوله سبحانه: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ﴾؟

الدرس 19

سورة الإسراء

﴿الآيات: 73 - 77﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف نعم الله تعالى على نبيه ﷺ وعصمته من فتن المشركين.

2- أن أستنتج أسباب تخطيط المشركين لإخراج النبي ﷺ من مكة.

3- أن أستحضر عناية الله تعالى بعباده وحفظهم من كل سوء.

تمهيد

لما عدد الله تعالى نعمه على خلقه في الآيات السابقة ووضح درجاتهم؛ أخبر سبحانه في هذه الآيات عن تأييده لرسوله ﷺ مع التأكيد على عصمته من المشركين وخداعهم حين حاولوا التلبيس عليه ﷺ وصرفه عن شريعة الله تعالى، وحمله على تعديل وحي الله وإقرار ما يعبدونه من دون الله.

فكيف عصم الله تعالى رسوله ﷺ من فتنة المشركين؟ وما هي عاقبة من يحارب الله ورسوله؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (73) وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (74) إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (75) وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا (76)

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿77﴾﴾

[سورة الإسراء: 73 - 77]

الفهم

الشرح:

كَادُوا : قاربوا.

لَيَفْتِنُونَكَ : يزيلونك ويصرفونك.

لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ : لتختلق علينا غير ما أوحينا إليك.

تَرْكَنُ : تميل وتسكن.

استخلاص المضامين:

1- ما هو مكر المشركين بالنبي ﷺ الوارد في الآيات؟

2- ما هي خطة المشركين الثانية بعد فشل خطتهم الأولى؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: محاولة المشركين فتنة النبي ﷺ:

بين الله تعالى في هذه الآيات محاولة المشركين فتنة الرسول ﷺ، فقال سبحانه: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾، ﴿إِن﴾ هذه عند سيبويه هي المخففة من الثقيلة، واللام في قوله: ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾ لام تأكيد، و﴿إِن﴾ هذه عند الفراء بمعنى ما، واللام بمعنى إلا.

والضمير في قوله ﴿كَادُوا﴾ قيل: هو لقريش وقيل: لثقيف.

فأما على القول بأنه لقريش فقال ابن جبير ومجاهد: نزلت الآية لأنهم قالوا لرسول الله ﷺ: لا ندعك تستلم الحجر الأسود حتى تمس أيضا أوثاننا، على معنى التشرع بذلك. قال الطبري وغيره: فهم رسول الله ﷺ أن يظهر لهم ذلك وقلبه منكر، فنزلت الآية في ذلك.

قال الزجاج: فقال رسول الله ﷺ في نفسه: "وما علي أن أفعل لهم ذلك والله تعالى يعلم ما في نفسي". وقال ابن إسحاق وغيره: إنهم اجتمعوا إليه ليلة فعظموه وقالوا له: أنت سيدنا ولكن أقبل على بعض أمرنا ونقبل على بعض أمرك، فنزلت الآية في ذلك. فهي في معنى قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: 9].

وأما على القول بأنه لثقيف فقال ابن عباس وغيره: لأنهم طلبوا من رسول الله ﷺ أن يؤخرهم بعد إسلامهم سنة يعبدون فيها اللات، وقالوا: إنا نريد أن نأخذ ما يهدى لنا، ولكن إن خفت أن تنكر ذلك عليك العرب فقل: أوحى الله ذلك إلي، فنزلت الآية في ذلك. وهذا القول ضعيف يلزم قائله أن يجعل الآية مدنية، وقد روي ذلك. وروى قائلو الأقوال الأخرى أنها مكية.

قال ابن عطية: وجميع ما أريد من النبي ﷺ بحسب هذا الاختلاف قد أوحى الله إليه خلافه، إما في معجز وإما في غير معجز، وفعله هو أن لو وقع افتراء على الله، إذ أفعاله وأقواله إنما هي كلها شرع.

وقوله سبحانه: ﴿وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ توقيف على ما نجاه الله منه من مخالفة الكفار والولاية لهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ و﴿وَلَوْلَا﴾ حرف امتناع لوجود، أي: يقتضي امتناع جوابه لوجود شرطه، " وجواب لولا يقتضي إذا كان مثبتا امتناعه لوجود ما قبله؛ فعلى هذا مقاربة الركون لم تقع منه ﷺ فضلا عن الركون، والمانع من ذلك هو وجود تثبيت الله تعالى " [البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان: 7 /90]. و﴿ثَبَّتْنَاكَ﴾ من التثبيت: وهو جعل الشيء ثابتا، وهو مستعار للبقاء على حاله غير متغير. و﴿كِدْتَ﴾ أي: قاربت.

و﴿تَرْكَنُ﴾ من الركون: وهو شد الظهر إلى الأمر أو الحزم على جهة السكون إليه، كما يفعل الإنسان بالركن من الجدران، ومنه قوله تعالى حكاية: ﴿أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ﴾ [هود: 80].

وفي الآية تعديد نعم الله على النبي ﷺ. وروي أن رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية قال: " اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ".

ثم بين سبحانه لنبيه ﷺ عاقبة الميل إلى المشركين فقال عز وجل: ﴿إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا﴾، في قوله: ﴿ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ﴾ طباق. قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك: يريد ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات.

قال ابن عطية: على معنى أن ما يستحقه هذا المذنب من عقوبتنا في الدنيا والآخرة كنا نضعفه لك. وهذا التضعيف شائع مع النبي عليه السلام في أجره وفي ألمه وعقاب أزواجه.

ثانيا: محاولة المشركين إخراج النبي ﷺ من مكة:

لما بين الله تعالى عصمته للنبي ﷺ ويأس المشركين من إمكان استدراجه ﷺ إلى الانحراف بالدعوة عما أوحى الله به إليه؛ أتبع ذلك ببيان محاولتهم إزعاجه واستفزازه ﷺ ليخرجوه من مكة، فقال تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾

قيل: الضمير في ﴿كَادُواْ﴾ ليهود المدينة وناحيتها، كحيي بن أخطب وغيره؛ وذلك أنهم ذهبوا إلى المكر برسول الله ﷺ فقالوا له: إن هذه الأرض ليست بأرض الأنبياء، وإنما أرض الأنبياء بالشام، ولكنك تخاف الروم، فإن كنت نبيا فاخرج إليها، فإن الله سيحميك كما حمى غيرك من الأنبياء؛ فنزلت الآية في ذلك. وأخبر الله عز وجل أن رسول الله ﷺ لو خرج لم يلبثهم بعده إلا قليلا.

والأصح أن الضمير في ﴿كَادُواْ﴾ لقريش؛ لأن السورة مكية، ولأن ما قبلها خبر عن أهل مكة، ولم يجر لليهود ذكر. وحكى الزجاج عن ابن عباس وقتادة: أن "استفزازهم" هو ما كانوا أجمعوا عليه في دار الندوة من قتله كما ذهبوا قبل إلى حصره في الشعب وضيقوا عليه حتى

خرج واتبعوه إلى الغار وغير ذلك. ونفذ عليهم الوعيد في أن لم يلبثوا خلفه إلا قليلا يوم بدر. وقولـــه: ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ على هذا القول عام في الدنيا، كأنه قال: ليخرجوك من الدنيا. وعلى سائر الأقوال هي أرض مخصوصة إما مكة وإما المدينة، كما قال تعالى: ﴿أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: 35]، فإنما معناه من الأرض التي فيها تصرفهم.

ثم بين الله سبحانه وتعالى أن هذه هي سنته في الأمم السابقة، فقال تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ قوله ﴿سُنَّةَ﴾ نصب على المصدر. وقال الفراء: نصبه على حذف الخافض؛ لأن المعنى كسنة، فحذفت الكاف ونصب، ويلزمه على هذا أن لا يقف على قوله ﴿قَلِيلًا﴾.

ومعنى الآية: الإخبار أن سنة الله تعالى في الأمم الخالية وعادته، أنها إذا أخرجت نبيها من بين أظهرها نالها العذاب، واستأصلها الهلاك؛ فلم تلبث بعده إلا قليلا.

ثالثا: مقاصد الآيات:

تروم هذه الآيات تحقيق جملة من المقاصد التربوية، منها ما يأتي:

- تعداد نعم الله تعالى على رسوله ﷺ ولطفه به وعصمته له من فتن المشركين ومكائدهم، إذ ظنوا أنهم بهذه المكائد والخدع سيصرفون النبي ﷺ عما أوحى الله تعالى به إليه، ويزينون له اختراع ما لم ينزله سبحانه عليه، فيقرهم على ما هم عليه من عبادة الأصنام والأوثان.

- التأكيد على أهمية استحضار الإنسان فضل الله تعالى عليه، وإرشاده إلى طريق الحق والصواب، واستشعار خشيته سبحانه والثبات على العقيدة الصحيحة.

- تحقيق نصر الله تعالى لأنبيائه ورسله الداعين إلى الحق؛ فقد وعدهم الله تعالى بنصره، وعصمهم من أذى المعتدين الذين وعدهم بالهلاك والعذاب، تلك هي سنة الله تعالى في خلقه، فلن تجد لها تبديلا ولا تغييرا.

التقويم

1 – أستنتج من الآيات أثر نعمة الله تعالى على رسوله ﷺ وعلى أمته.

2 – أبين هل هم النبي ﷺ بالركون إلى مطالب المشركين، اعتمادا على معنى ﴿لَوْلَآ﴾؟

3 – ما هي عاقبة إخراج النبي ﷺ من مكة على المشركين؟ وما علاقة ذلك بسنن الله تعالى في الأمم السابقة؟

الاستثمار

قَالَ ابْنُ الْعَرَبِي رَحِمَهُ الله فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 74] "أَخْبَرَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ ثَبَّتَهُ وَقَرَّرَ التَّوْحِيدَ وَالْمَعْرِفَةَ فِي قَلْبِهِ، وَضَرَبَ عَلَيْهِ سُرَادِقَ الْعِصْمَةِ وَآوَاهُ فِي كَنَفِ الْحُرْمَةِ. وَلَوْ وَكَلَهُ إِلَى نَفْسِهِ وَرَفَعَ عَنْهُ ظِلَّ عِصْمَتِهِ لَحْظَةً لَأَلَمَّ بِمَا رَامُوهُ، وَلَكِنَّا أَمَرْنَا عَلَيْك بِالْمُحَافَظَةِ، وَأَشْرَقْنَا بِنُورِ الْهِدَايَةِ فُؤَادَك فَاسْتَبْصَرَ، وَأَزِحْ عَنْك الْبَاطِلَ وَادْحَرْ. فَهَذِهِ الْآيَةُ نَصٌّ فِي عِصْمَتِهِ مِنْ كُلِّ مَا نُسِبَ إِلَيْهِ، فَكَيْفَ يَتَأَوَّلُهَا أَحَدٌ؟". [أحكام القرآن، لابن العربي: 3 /306]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

– كيف أرد من خلال النص على ما جاء في بعض كتب التفسير من أن النبي ﷺ هَمَّ بالركون إلى المشركين واقترب من تنفيذ ما يطلبونه؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: **78 - 80** من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: دُلُوكِ ٱلشَّمْسِ - غَسَقِ ٱلَّيْلِ - قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ .

2- كيف تؤثر المداومة على الصلاة في تهذيب النفوس وتزكيتها؟

3- أبحث عن أثر الاختلاف في معنى ﴿دُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ في تفسير قوله سبحانه: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾؟

الدرس 20

سورة الإسراء

﴿الآيات: 78 - 81﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف فضل الصلوات المفروضة والنافلة.

2- أن أستنتج المقاصد والغايات من توجيه الله تعالى لنبيه ﷺ.

3- أن أواظب على الصلاة لتزكية نفسي ونيل رضا الله تعالى.

تمهيد

لما ذكر الله سبحانه وتعالى كيد الكفار ومحاولة فتنتهم النبي ﷺ واستفزازهم له؛ أردف ذلك بأمره ﷺ بالإقبال على عبادة ربه والمداومة على الصلاة المفروضة والنافلة، ثم وجهه سبحانه لعدم الالتفات إلى المشركين، وأمره بأن يتوجه إليه سبحانه بالدعاء ليحظى بالمقام المحمود الذي يغبطه عليه الأنبياء والمرسلون.

فما هي توجيهات الله تعالى لنبيه ﷺ الواردة في الآيات؟ وكيف أقتدي به ﷺ؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ الَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿78﴾ وَمِنَ الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿79﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن

﴿لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ٨٠ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ٨١﴾ [سورة الإسراء: 78 - 81]

الفهم

الشرح:

دُلُوكِ ٱلشَّمْسِ : زوالها عن دائرة نصف النهار.

غَسَقِ ٱلَّيْلِ : سواده وظلمته.

قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ : صلاة الصبح.

استخلاص مضامين الآيات:

1- إلام وجه الله سبحانه رسوله ﷺ في هذه الآيات؟

2- في أي الأمور أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يلتجئ إليه؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: توجيه الله تعالى نبيه ﷺ إلى المداومة على الصلاة المفروضة والنافلة:

أمر الله سبحانه رسوله ﷺ بإقامة الصلاة والمداومة عليها، فقال سبحانه: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ الصلاة في الآية إشارة إلى الصلوات المفروضة بإجماع من المفسرين. و﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ لزوالها، والإشارة إلى الظهر والعصر، واللام في ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ لام التوقيت، وهي بمعنى "عند" و﴿غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ أشير به إلى المغرب

والعشاء. ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ أريد به صلاة الصبح، وانتصب عطفا على الصلاة. فالآية على هذا تعم جميع الصلوات.

وروى ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: " أتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر ". وروى جابر أن النبي ﷺ خرج من عنده وقد طعم وزالت الشمس، فقال: " اخرج ياأبا بكر، فهذا حين دلكت الشمس ". وهذا القول هو الأصوب لعمومه الصلوات.

وقال ابن مسعود وابن عباس وزيد بن أسلم: ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ غروبها، والإشارة بذلك إلى المغرب، و﴿غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ اجتماع ظلمته، فالإشارة إلى العتمة. و﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ صلاة الصبح، ولم تقع إشارة على هذا إلى الظهر والعصر.

والقولان من جهة اللغة حسنان، والأول أصوب لعمومه الصلوات؛ وذلك أن الدلوك هو الميل في اللغة، فأول الدلوك هو الزوال، وآخره هو الغروب، ومن وقت الزوال إلى الغروب يسمى دلوكا؛ لأنها في حالة ميل. فذكر الله الصلوات التي في حالة " الدلوك " وعنده، فيدخل في ذلك الظهر والعصر والمغرب. ويصح أن تكون المغرب داخلة في غسق الليل. ومن الدلوك الذي هو الميل قول الأعرابي للحسن البصري: أيدالك الرجل امرأته؟ يريد: أيميل بها إلى المطل في دينها؟ فقال له الحسن: نعم إذا كان ملفجا، أي: عديما.

وقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ نصب قوله: ﴿وَقُرْءَانَ﴾ بفعل مضمر تقديره: واقرأ قرآن، ويصح أن ينصب عطفا على الصلاة، أو على الإغراء. أي: وأقم قرآن الفجر. وعبر عن صلاة الصبح خاصة بـــ"القرآن" لأن القرآن هو معظمها؛ إذ قراءتها طويلة مجهور بها.

وقوله تعالى: ﴿كَانَ مَشْهُودًا﴾ استئناف بياني لوجه تخصيص صلاة الصبح باسم القرآن، بأن صلاة الفجر مشهودة. معناه: يشهده حفظة النهار وحفظة الليل من الملائكة، حسبما ورد في الحديث المشهور من قوله عليه السلام: " يتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليل وملائكةٌ بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصـــلاة العصـــر " [صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب فضل صلاة العصر].

ولما أمر الله تعالى بالحفاظ على الصلوات الخمس على سبيل الرمز والإشارة، أردفه بالحث على صلاة الليل، فقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾، و﴿مِنَ﴾ في الآية للتبعيض، التقدير: وقم وقتا من الليل. والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائد على هذا المقدر، ويحتمل أن يعود على " القرآن " وإن كان لم يجر له ذكر مطلق كما هو الضمير مطلق، لكن جرى مضافا إلى الفجر. و﴿فَتَهَجَّدۡ﴾ الهجود: النوم، يقال: هجد يهجد بضم الجيم هجودا إذا نام. معناه: فاطرح الهجود عنك، ومثله قوله تعالى: ﴿فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ﴾ [الواقعة: 68] أي: تطرحون الفكاهة عن أنفسكم، وهي انبساط النفس وسرورها، يقال: رجل فكه، إذا كان كثير السرور والضحك. فالمعنى: وقتا من الليل اسهر به في صلاة وقراءة.

وقوله: ﴿نَافِلَةٗ لَّكَ﴾ قال ابن عباس وغيره: معناه زيادة لك في الفرض. قالوا: وكان قيام الليل فرضا على النبي ﷺ .

قال ابن عطية: وتحتمل الآية أن يكون هذا على وجه الندب في التنفل، ويكون الخطاب للنبي ﷺ والمراد هو وأمته، كخطابه في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآية.

وقال مجاهد: إنما هي نافلة للنبي ﷺ لأنه مغفور له، والناس يحطون بمثل ذلك خطاياهم. وبين أن النبي ﷺ منذ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر عام الحديبية، فإنما كانت نوافله واستغفاره فضائل من العمل، وقربا أشرف من نوافل أمته؛ لأن هذه إما أن تجبر بها فرائضهم حسب الحديث، وإما أن تحط بها خطاياهم. وقد يتصور من لا ذنب له ينتفل فيكون تنفله فضيلة، كنصراني يسلم وصبي يحتلم. وضعف الطبري قول مجاهد.

وقوله سبحانه: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ عزة من الله عز وجل لرسوله، وهو أمر الشفاعة الذي يتدافعه الأنبياء حتى ينتهي إليه عليه السلام، والحديث بطوله في البخاري ومسلم.

ولأجل ذلك السعي الذي له في مرضاة جميع العالم مؤمنهم وكافرهم يوم الحساب كما تضمنه حديث الشفاعة قالﷺ: " أنا سيد ولد آدم ولا فخر " . و﴿عَسَىٰٓ﴾ من الله واجبة، أي: تفيد القطع

والتحقيق؛ لأنه وعد كريم وهو لا يتخلف. و﴿مَقَامًا﴾ نصب على الظرف. ومن غريب حديث الشفاعة اقتضابه المعنى؛ وذلك أن صدر الحديث يقتضي أن النبي ﷺ يستنهض للشفاعة في أن يحاسب الناس، وينطلقون من الموقف، فيذهب لذلك، وينص بإثر ذلك على أنه شفع في إخراج المذنبين من النار، فمعناه الاقتضاب والاختصار؛ لأن الشفاعة في المذنبين لم تكن إلا بعد الحساب والزوال من الموقف، ودخول قوم الجنة ودخول قوم النار. وهذه الشفاعة لا يتدافعها الأنبياء؛ بل يشفعون ويشفع العلماء. وذكر الطبري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " المقام المحمود هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي ".

قال ابن عطية: وينبغي أن يتأول هذا على ما قلناه لأمته وغيرها، أو يقال: إن كل مقام منها محمود. قال أبو بكر النقاش: لرسول الله ﷺ ثلاث شفاعات، شفاعة العامة، وشفاعة السبق إلى الجنة، وشفاعة في أهل الكبائر. والمشهور أنهما شفاعتان فقط. وحكى الطبري عن فرقة منها مجاهد أنها قالت: " المقام المحمود ": هو أن الله عز وجل يجلس محمدا معه على عرشه، وروت في ذلك حديثا، وعضد الطبري جواز ذلك بشطط من القول، وهو لا يخرج إلا على تلطف في المعنى وفيه بعد، ولا ينكر مع ذلك أن يروى، والعلم يتأوله. وقد ذكر النقاش عن أبي داود السختياني أنه قال: من أنكر هذا الحديث فهو عندنا متهم ما زال أهل العلم يتحدثون بهذا.

ثانيا: أمر الله تعالى نبيه ﷺ بأن يتوكل عليه في كل أموره:

وقوله عز وجل: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ ظاهر هذه الآية والأحسن فيها أن يكون دعاء في أن يحسن الله حالته في كل ما يتناول من الأمور ويحاول من الأسفار والأعمال وينتظر من تصرف المقادير في الموت والحياة، فهي على أتم عموم. وذهب المفسرون إلى أنها في غرض مخصوص، ثم اختلفوا في تعيينه، فقال ابن عباس والحسن وقتادة: أراد أدخلني المدينة وأخرجني من مكة. وقال أبو صالح ومجاهد: أدخلني في أمر تبليغ الشرع وأخرجني منه بالأداء التام. وقال ابن عباس: الإدخال بالموت في القبر، والإخراج بالبعث. وما قدمت من العموم التام الذي يتناول هذا كله أصوب.

و ﴿صِدْقٍ﴾ هنا صفة تقتضي رفع المذام واستيعاب المدح، كما تقول: رجل صدق، أي: جامع للمحاسن. وقوله تعالى: ﴿وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ قال مجاهد وغيره: حجة. يريد: تنصرني ببيانها على الكفار. وقال الحسن وقتادة: يريد سعة ورياسة وسيفا ينصر دين الله. فطلب رسول الله ﷺ ذلك بأمر الله إياه به رغبة في نصر الدين، فروي أن الله وعده بذلك، ثم أنجزه له في حياته، وتممه بعد وفاته.

وقوله سبحانه: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ . هذه الآية نزلت بمكة، وكان رسول الله ﷺ يستشهد بها يوم فتح مكة وقت طعنه الأصنام وسقوطها لطعنه إياها بالمخصرة، حسبما في السيرة لابن هشام وفي غيرها.

وقد اختلف المفسرون في المقصود بقوله تعالى: ﴿جَاءَ الْحَقُّ﴾ قال قتادة: الحق القرآن، والباطل: الشيطان. وقالت فرقة: الحق الإيمان، والباطل الكفر. وقال ابن جريج: الحق الجهاد، والباطل الشرك. وقيل: غير ذلك. والصواب تعميم اللفظ بالغاية الممكنة؛ فيكون التفسير: جاء الشرع بجميع ما انطوى فيه، وزهق الكفر بجميع ما انطوى فيه. والباطل كل ما لا تنال به غاية نافعة. وقوله: ﴿كَانَ زَهُوقًا﴾ ليست "كان" إشارة إلى زمن مضى، بل المعنى كان وهو يكون، وهذا كقولك: كان الله عليما قادرا، ونحو هذا.

ثالثا: مقاصد الآيات:

ترشد هذه الآيات إلى جملة من المقاصد التربوية، منها ما يأتي:

- توجيه الله تعالى رسوله ﷺ إلى المحافظة على الصلوات المفروضة والاجتهاد في النوافل والحرص على التهجد؛ لما في ذلك من اطمئنان النفوس وتزكيتها وصونها من الانحراف.
- بيان جود الله تعالى ونعمه على رسوله ﷺ بأن أدخله مدخل صدق وأخرجه مخرج صدق، وكان له عونا ونصيرا على المشركين الذين حاولوا فتنته واستفزازه.
- إكرام الله تعالى رسوله ﷺ بالمقام المحمود الذي يغبطه عليه الأنبياء والمرسلون والخلائق أجمعون، وهو مقام الشفاعة العظمى.

التقويم

1 – أستنتج المقاصد التي تحققها الصلاة المفروضة والنافلة.

2 – أبرز دور الدعاء والتوكل على الله في تحقق ما يسعى إليه المؤمن من أهداف.

3 – أبين من خلال الآيات صراع الحق والباطل، ولمن تكون الغلبة.

الاستثمار

" قَوْمٌ اعْتَنَوْا بِإِقامَةِ صَلاَةِ الْجَوارِحِ وَهُمْ: الصَّالِحُونَ الْأَبْرَارُ، وَقَوْمٌ اعْتَنَوْا بِإِقامَةِ صَلاَةِ الْقُلُوبِ الَّتِي هِيَ الصَّلاَةُ الدَّائِمَةُ، وَهُمُ الْعَارِفُونَ الْكِبَارُ، وَقَوْمٌ اعْتَنَوْا بِسَهَرِ اللَّيْلِ فِي الرُّكوعِ وَالسُّجُودِ وَهُمُ الْعِبَادُ وَالزُّهَّادُ وَالصَّالِحُونَ أُولُوا الْجِدِّ وَالاِجْتِهَادِ. وَقَوْمٌ اعْتَنَوْا بِسَهَرِهِ فِي فِكْرَةِ الْعِيَانِ وَالشُّهُودِ، وَهُمُ الْمُقَرَّبُونَ عِنْدَ الْمَلِكِ الْوَدُودِ. الْأَوَّلُونَ يُوَفُّونَ أَجْرَهُمْ عَلَى التَّمامِ بِالْحُورِ وَالْوِلْدَانِ، وَالْآخَرُونَ يُكْشَفُ لَهُمُ الْحِجَابُ وَيَتَمَتَّعُونَ بِالنَّظَرِ عَلَى الدَّوامِ. الْأَوَّلُونَ مُحِبُّونَ، وَالْآخَرُونَ مَحْبُوبُونَ. الْأَوَّلُونَ يَشْفَعُونَ فِي أَقَارِبِهِمْ وَمَنْ تَعَلَّقَ بِهِمْ، وَالْآخَرُونَ قَدْ يَشْفَعُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ فِي أَهْلِ عَصْرِهِ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ ".

[البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة: 3 /224].

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 – أستخرج من النص أصناف عباد الله الصالحين.

2 – بم تتفاوت تلك الأصناف في الدرجات عند الله تعالى؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: **81 - 85** من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ - يَـُٔوسًا - عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ.

2 - أبحث عن أثر القرآن الكريم على أهل الإيمان وغيرهم.

3 - أستخرج ما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ من استعارة، وأبين أثرها في معنى الآية.

الدرس 21

سورة الإسراء

﴿الآيات: 82 - 85﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف أثر القرآن الكريم على المؤمنين وغيرهم.

2- أن أستنتج من الآيات ما يدل على سعة علم الله تعالى وقصور علم الإنسان.

3- أن أتدبر القرآن الكريم لتزكية نفسي وتطهيرها من المكدرات.

تمهيد

لما فصل الله تعالى في الآيات السابقة الإلهيات والنبوات والحشر والمعاد والبعث وإثبات القضاء والقدر، وأمر بالصلاة ونبه على ما فيها من الأسرار؛ أكد في هذه الآيات بأن القرآن الكريم شفاء ورحمة لأهل الإيمان، وخسران لأهل الظلم والطغيان، وأن الإنسان الجحود يتنكر لنعم الله ولا يقدر المعروف، وييأس ويتشاءم عند الشر، ثم بين الله تعالى أن حقيقة الروح من عنده وحده، وهذا دليل على سعة علمه سبحانه وقصور علم الإنسان الذي ينحصر بالحسيات دون الغيبيات.

ففيم يتمثل شفاء القرآن الكريم؟ وما الذي يدل على سعة علم الله تعالى؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (82) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا (83) قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا (84)

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾

[سورة الإسراء: 82 – 85]

الفهم

الشرح:

أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ : أدبر وتولى وتباعد.

يَـُٔوسٗا : قنوطا شديد اليأس من رحمة الله.

عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ : على طريقته ومذهبه الذي يشاكل حاله في الهدى والضلال.

استخلاص مضامين الآيات:

1- ما هو أثر القرآن الكريم على المؤمنين وغيرهم؟

2- بماذا استأثر الله تعالى في هذه الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: القرآن الكريم شفاء ورحمة لأهل الإيمان:

قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحْمَةٞ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، قوله: ﴿مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ يصح أن تكون ﴿مِنَ﴾ لابتداء الغاية، ويصح أن تكون لبيان الجنس، كأنه قال: وننزل ما فيه شفاء من القرآن. وأنكر بعض المتأولين أن يكون ﴿مِنَ﴾ للتبعيض لأنه يلزم منه أن بعضه لا شفاء فيه.

قال ابن عطية: وليس يلزمه هذا، بل يصح أن يكون للتبعيض بحسب أن إنزاله إنما هو مبعض، فكأنه قال: وننزل من القرآن شيئا شيئا ما فيه كله شفاء.

واستعارته الشفاء للقرآن هو بحسب إزالته للريب وكشفه غطاء القلب لفهم المعجزات والأمور الدالة على الله تعالى المقررة لشرعه، ويحتمل أن يراد بـــ " الشفاء " نفعه من الأمراض بالرقى والتعويذ ونحوه. وكونه ﴿ رَحْمَةٌ ﴾ ظاهر.

ثم لما بين الله تعالى أن القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين، بين كونه سببا للخسار والضلال في حق الظالمين المشركين، فقال سبحانه: ﴿ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ معنى أنه عليهم عمى، إذ هم معرضون كحالة من لا يفهم ولا يلقن. " وإنما كان كذلك لأن سماع القرآن يزيدهم غيظا وغضبا وحقدا وحسدا. وهذه الأخلاق الذميمة تدعوهم إلى الأعمال الباطلة وتزيد في تقوية تلك الأخلاق الفاسدة في جواهر نفوسهم، ثم لا يزال الخلق الخبيث النفساني يحمل على الأعمال الفاسدة، والإتيان بتلك الأعمال يقوي تلك الأخلاق، فبهذا الطريق يصير القرآن سببا لتزايد هؤلاء المشركين الضالين في درجات الخزي والضلال والفساد والنكال " [مفاتيح الغيب، للرازي: 21 /390].

ثم ذكر سبحانه أن حب الدنيا والرغبة في جمع المال والاعتقاد بأن ذلك بكسب الإنسان هو سبب وقوع هؤلاء المشركين في الضلال والخسران، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾، ولا يراد بـــ " الإنسان " في هذه الآية العموم، وإنما يراد به بعضه وهم الكفرة، وهذا كما تقول عند غضب: لا خير في الأصدقاء ولا أمانة في الناس، فأنت تعمم مبالغة، ومرادك البعض، وهذا بحسب ذكر الظالمين. و" الخسار " في الآية قبل، فاتصل ذكر الكفرة.

ويحتمل أن يكون الإنسان في هذه الآية عاما للجنس، على معنى أن هذا الخلق الذميم في سجيته، فالكافر يبالغ في الإعراض، والعاصي يأخذ بحظه منه. وقد قال رسول الله ﷺ في مؤمن: " فأعرض فأعرض الله عنه "، ومعنى ﴿أَعْرَضَ﴾ ولانا عرضه. و﴿وَنَأَى﴾ أي: بعد، وهذه استعارة؛ وذلك أنه يفعل أفعال المعرض النائي في تركه الإيمان بالله وشكر نعمه عليه.

وقرأ ابن عامر وحده (وناء)، ومعناه نهض، أي: متباعدا، هذا قول طائفة. وقالت أخرى: هو قلب للهمزة بعد الألف من " نأى " بعينه، وهي لغة كرأى وراء. ومن هذه اللفظة، قول الشاعر في صفة رام:

حتى إذا ما التأمت مفاصله * * وناء في شق الشمال كاهله

ومعناه: نهض متوركا على شماله. والذي عند ابن عطية أن ناء ونأى فعلان متباينان. وناء بجانبه عبارة عن التحيز والاستبداد، ونأى عبارة عن البعد والفراق.

ثم وصف الكفرة بأنهم إذا مسهم شر من مرض أو مصيبة في مال أو غير ذلك يئسوا من حيث لا يؤمنون بالله ولا يرجون تصرف أقداره، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾.

ثم قال عز وجل: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ الأمر للنبي ﷺ، أي: قل يامحمد. قال مجاهد: ﴿عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ معناه على طبيعته. وقال أيضا: معناه على حدته. وقال ابن عباس: معناه على ناحيته. وقال قتادة: معناه على ناحيته وعلى ما ينوي. وقال ابن زيد: معناه على دينه. وأرجح هذه العبارات قول ابن عباس وقتادة.

وهذه الآية تدل دلالة ما على أن الإنسان أولا لم يرد به العموم، أي: إن الكفار بهذه الصفات، والمؤمنون بخلافها، وكل منهم يعمل على ما يليق به. ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ أي: " أسد طريقا، وأبين منهجا " [أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: 3/ 265].

ثانيا: استئثاره تعالى بعلم حقيقة الروح:

لما ختم الله تعالى الآية السابقة بقوله: ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء: 84]، وكان للأرواح دور في الأفعال الصادرة عن الإنسان، عرض الله تعالى للروح وبين أنه سبحانه استأثر بعلم حقيقتها، فقال عز وجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، الضمير في ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ قيل: هو لليهود، وإن الآية مدنية. وروى عبد الله بن مسعود أنه كان مع رسول الله ﷺ فمر على حرث بالمدينة، ويروى على خرب، وإذا فيه جماعة من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح؛ فإن أجاب فيه عرفتم أنه ليس بنبي. وذلك أنه كان عندهم في التوراة أن الروح مما انفرد الله بعلمه ولا يطلع عليه أحدا من عباده. قال ابن مسعود: وقال بعضهم: لا تسألوه لئلا يأتي فيه بشيء تكرهونه، يعني والله أعلم من أنه لا يفسره فتقوى الحجة عليهم في نبوته. قال: فسألوه، فوقف رسول الله ﷺ متوكئا على عسيب، فظننت أنه يوحى إليه، ثم تلا عليهم الآية.

وقيل: الآية مكية والضمير لقريش، وذلك أنهم قالوا: نسأل عن محمد أهل الكتاب من اليهود، فأرسلوا إليهم إلى المدينة النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط، فقال اليهود لهما: جرباه بثلاث مسائل: سلوه عن أهل الكهف، وعن ذي القرنين، وعن الروح؛ فإن فسر الثلاثة فهو كذاب، وإن سكت عن الروح فهو نبي. فسألته قريش عن الروح، فيروى أن النبي ﷺ قال لهم: " غدا أخبركم به "، ولم يقل إن شاء الله؛ فاستمسك الوحي عليه خمسة عشر يوما معاتبة على وعده لهم دون استثناء، ثم نزلت هذه الآية.

واختلف الناس في الروح المسؤول عنه، أي روح هو؟

فقال الجمهور: وقع السؤال عن الروح التي في الأشخاص الحيوانية ما هي؟ فالروح اسم جنس على هذا، وهذا هو الصواب، وهو المشكل الذي لا تفسير له.

وقال قتادة: الروح المسئول عنه جبريل. قال وكان ابن عباس يكتمه. وقالت فرقة: عيسى ابن مريم. وقالت فرقة: الروح القرآن. وهذه كلها أقوال مفسرة، والأول أظهرها وأصوبها.

وقوله ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ يحتمل تأويلين:

أحدهما: أن يكون " الأمر " اسم جنس للأمور أي: الروح من جملة أمور الله التي استأثر بعلمها، فهي إضافة خلق إلى خالق.

والثاني: أن يكون مصدرا من أمر يأمر، أي: الروح مما أمره أمرا بالكون فكان.

وقرأ ابن مسعود والأعمش " وما أوتوا "، ورواها ابن مسعود عن النبي ﷺ. وقرأ الجمهور " وما أوتيتم ". واختلف فيمن خوطب بذلك، فقالت فرقة: السائلون فقط. وقال قوم: المراد اليهود بجملتهم. وعلى هذا هي قراءة ابن مسعود. وقالت فرقة: العالم كله. وهذا هو الصحيح؛ لأن قول الله له: ﴿قُلِ الرُّوحُ﴾ إنما هو أمر بالقول لجميع العالم؛ إذ كذلك هي أقواله كلها، وعلى ذلك تمت الآية من مخاطبة الكل. ويحتمل أيضا أن تكون مخاطبة من الله للنبي ﷺ ولجميع الناس. ويتصف ما عند جميع الناس من العلم بالقلة بإضافته إلى علم الله عز وجل الذي وسع كل شيء.

ثالثا: مقاصد الآيات:

تهدف هذه الآيات إلى تحقيق مقاصد تربوية عديدة، منها:

- إنعام الله تعالى على الإنسان بالقرآن الكريم الذي هو شفاء لأمراض القلوب ورحمة للمؤمنين.
- توجيه الله تعالى رسوله ﷺ والمؤمنين إلى أسلوب التخلص من الجدال الفارغ والحوار غير المثمر؛ إذ أرشدهم إلى الإعراض عن ذلك ونسبة العلم به إلى الله تعالى.
- التأكيد على أن الناس إنما يسيرون وفق ميولهم وطبائعهم المنبثقة من تربيتهم وأخلاقهم، وأن من طبيعتهم في أكثر الأحيان أن يستكبروا ويبتعدوا عن الحق إذا نالوا خيرا ونعمة، وأن ييأسوا ويكفروا إذا نالهم شر ونقمة.

التقويم

1 – لماذا كان القرآن الكريم شفاء ورحمة للمؤمنين وخسارا للظالمين المشركين؟

2 – ما الحكمة من إعراض الله تعالى عن إجابة المشركين عن حقيقة الروح؟

3 – كيف تؤثر هذه الآيات في الصحة النفسية للمسلمين؟

الاستثمار

قَالَ ابْنُ عَجِيبَةَ رَحِمَهُ الله فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾ [الإسراء: 83]: " يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ الْمُشْفِقِ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يُمْعِنَ النَّظَرَ فِي كَلَامِ سَيِّدِهِ، فَإِذَا وَجَدَهُ مَدَحَ قَوْمًا بِعَمَلٍ بَادَرَ إِلَى فِعْلِهِ، أَوْ بِوَصْفٍ بَادَرَ إِلَى التَّخَلُّقِ بِهِ، وَإِذَا وَجَدَهُ ذَمَّ قَوْمًا بِسَبَبِ عَمَلٍ تَبَاعَدَ عَنْهُ جَهْدَهُ، أَوْ بِوَصْفٍ تَطَهَّرَ مِنْهُ بِالْكُلِّيَّةِ. وَقَدْ ذَمَّ الْحَقُّ تَعَالَى هُنَا مَنْ بَطِرَ بِالنِّعْمَةِ وَغَفَلَ عَنِ الْقِيَامِ بِشُكْرِهَا، وَمَنْ جَزِعَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ

وَأَيِسَ مِنْ ذَهَابِهَا. فَلَنْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُ عَلَى عَكْسِ هَذَا، فَإِذَا أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ أَوْ بَلِيَّةٌ تَضَرَّعَ إِلَى مَوْلَاهُ وَرَجَا فَضْلَهُ وَنَوَالَهُ، وَإِذَا أَصَابَتْهُ نِعْمَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ أَوْ دِينِيَّةٌ أَكْثَرَ مِنْ شُكْرِهَا".

[البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة: 3 /227]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 – كيف يتعامل المؤمن مع محاب الله ومساخطه؟

2 – أبين من خلال النص ما يساعدني على شكر الله تعالى وتزكية نفسي.

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: **86** – **89** من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

1 – أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: ظَهِيراً – وَلَقَدْ صَرَّفْنَا – مِن كُلِّ مَثَلٍ – كُفُوراً .

2 – أوضح ما استشهد به ابن عطية رحمه الله على فصاحة العرب ونباهتهم، فيما يأتي:

– فهم الفرزدق شعر جرير في شعر ذي الرمة: " يعد الناسبون إلى تميم ".

– قول الأعرابي: عز فحكم فقطع.

– قول الأعرابي للأصمعي: من أحوج الكريم إلى أن يقسم؟

3 – هل الاستثناء في قوله سبحانه: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ منقطع أم منفصل؟ وما الفرق بينهما؟ وهل لذلك أثر في تفسير الآية؟

الدرس 22

سورة الإسراء

﴿الآيات: 86 - 89﴾

أهداف الدرس

1- أن أتبين المقصد من توجيه الله تعالى لرسوله ﷺ.

2- أن أستنتج إعجاز القرآن الكريم من خلال الآيات.

3- أن أعتز بالقرآن الكريم وبما تضمنه من الآيات المعجزة.

تمهيد

بعد امتنان الله سبحانه على نبيه ﷺ في الآيات السابقة بالقرآن الكريم وجعله شفاء للناس؛ بين في هذه الآيات تمام نعمته على نبيه ﷺ باستمرار إكرامه بالقرآن الكريم، مبينا له إعجازه واشتماله على الحكم والأحكام والآداب التي يحتاج إليها الإنسان في الدنيا والآخرة.

فبماذا امتن الله تعالى على رسوله ﷺ ؟ وبماذا أعجز الله تعالى المشركين؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا (86) إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (87) قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (89)﴾ [سورة الإسراء: 86-89]

الفهم

الشرح:

ظَهِيراً : معينا.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا : كررنا ورددنا على أساليب مختلفة توجب زيادة تقرير ورسوخ.

مِن كُلِّ مَثَلٍ : من كل معنى بديع في الحسن والغرابة والبراعة كالمثل.

كُفُوراً : جحودا وامتناعا.

استخلاص مضامين الآيات:

1- بم امتن الله تعالى على رسوله ﷺ في الآيات؟

2- من تحدى الله تعالى في الآيات؟ وبماذا؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: فضل اللّه سبحانه على رسوله ﷺ:

بعد امتنان الله تعالى في الآية السابقة على رسوله ﷺ؛ ذكر في هذه الآيات مظهرا من مظاهر قدرته بعد أن بين أن الروح من أمره، فقال سبحانه: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ أي: ولئن شاء الله لذهب بالوحي الذي آتاك، ثم لا ناصر لك منه، أي: فليس بعظيم أن لا تجيء بتفسير في الروح الذي أردت أن تفسره للناس ووعدتهم بذلك. وقوله تعالى: ﴿وَكِيلًا﴾ الوكيل: القائم بالأمر في الانتصار أو المخاصمة ونحو ذلك من وجوه النفع.

وقوله: ﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾ استثناء منقطع، أي: لكن رحمة من ربك تمسك ذلك عليك. وهذا الاستثناء المنقطع يخصص تخصيصا ما وليس كالمتصل؛ لأن المتصل يخصص من الجنس أو الجملة، والمنقطع يخصص أجنبيا من ذلك. ولا ينكر وقوع المنقطع في القرآن إلا أعجمي، وقد حكي ذلك عن ابن خويز منداد.

ثم عدد عليه عز وجل كبر فضله في اختصاصه بالنبوة وحمايته من المشركين إلى غير ذلك مما لا يحصى، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾.

ثانيا: تحدي الله تعالى الإنس والجن بالقرآن الكريم:

بعد امتنان الله تعالى على رسوله ﷺ بالقرآن الكريم، أمره أن يتحدى المشركين بهذا القرآن فقال سبحانه: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾

سبب نزول هذه الآية: أن جماعة من قريش قالت لرسول الله ﷺ : يا محمد، جئنا بآية غريبة غير هذا القرآن، فإنا نقدر على المجيء بمثل هذا؛ فنزلت هذه الآية المصرحة بالتعجيز المعلمة بأن جميع الخلائق لو تعاونوا إنسا وجنا على ذلك لم يقدروا عليه. والعجز في معارضة القرآن إنما وقع في النظم والرصف لمعانيه؛ وعلة ذلك الإحاطة التي لا يتصف بها إلا الله عز وجل، والبشر مقصر ضرورة بالجهل والنسيان والغفلة وأنواع النقص الغالبة عليه.

واللام في قوله: ﴿لَّئِنِ﴾ مؤذنة غير لازمة قد تحذف أحيانا، وقد تجيء هذه اللام مؤكدة فقط، ويجيء الفعل المنفي مجزوما. وقوله: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ في موضع رفع، و" لا " متلقية قسما. وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ معطوف على مقدر، أي: لا يستطيعون الإتيان بمثله لو لم يكن بعضهم ظهيرا ونصيرا لبعض، ولو كان بعضهم ظهيرا ونصيرا لبعض لما استطاعوا أيضا. ومعنى ﴿ظَهِيرًا﴾ معينا، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ [التحريم: 4]. والمقصود أنهم لا يستطيعون الإتيان بمثله على كل حال مفروض.

وفهمت العرب بخلوص فهمها في ميز الكلام ودربتها به، ما لا نفهمه نحن، ولا كل من خالطته حضارة. ففهموا العجز عنه ضرورة ومشاهدة، وعلمه الناس بعدهم استدلالا ونظرا، ولكل حصل علم قطعي؛ لكن ليس في مرتبة واحدة. وهذا كما علمت الصحابة شرع النبي وأعماله مشاهدة علم ضرورة، وعلمنا نحن المتواتر من ذلك بنقل التواتر، فحصل للجميع القطع؛ لكن في مرتبتين.

وفهم إعجاز القرآن أرباب الفصاحة الذين لهم غرائب في ميز الكلام. ألا ترى إلى فهم الفرزدق شعر جرير في شعر ذي الرمة في قوله: يعد الناسبون إلى تميم؟ وألا ترى قصة جرير في نوادره مع الفرزدق في قول الفرزدق: علام تلفتين؟ وفي قوله: تلفت أنها تحت ابن قين؟ وألا ترى إلى قول الأعرابي: عز فحكم فقطع؟ وألا ترى إلى استدلال الآخر على البعث بقوله: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: 2]، فقال: إن الزيارة تقتضي الانصراف. ومنه علم بشار بقول أبي عمرو بن العلاء في شعر الأعشى: وأنكرتني وما كان الذي نكرت. ومنه قول الأعرابي للأصمعي: من أحوج الكريم إلى أن يقسم؟ ومن فهمهم أنهم ببدائههم يأتون بكلمة منثورة تفضل المنقح من الشعر، وأمثلة ذلك محفوظة. ومن ذلك أجوبتهم المسكتة، إلى غير ذلك من براعتهم في الفصاحة، وكونهم فيها النهاية، كما كان السحر في زمن موسى، والطب في زمن عيسى. فهم مع هذه الأفهام أقروا بالعجز، ولجأ المحاد منهم إلى السيف، ورضي بالقتل والسباء وكشف الحرم، وهو كان يجد المندوحة عن ذلك بالمعارضة.

وكذلك التحدي بالعشر السور، والتحدي بالسورة إنما وقع كله على حد واحد في النظم خاصة، وقيد العشر بالافتراء لأنهم ذكروا أن القرآن مفترى، فدعاهم بعقب ذكر ذلك إلى الإتيان بعشر سور مفتريات، ولم يذكر الافتراء في السورة لأنه لم يجر عنهم ذكر ذلك قبل؛ بل قال: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: 22]، على أنه قد جاء ذكر السورة مع ذكرهم الافتراء في سورة هود.

وقد اختلف الناس في هذا الموضع فقيل: دعو إلى السورة المماثلة في النظم والغيوب وغير ذلك من الأوصاف، وكان ذلك من تكليف ما لا يطاق، فلما عسر عليهم خفف بالدعوة إلى المفتريات. وقيل: غير هذا مما ينحل عند تحصيله.

ومع عجز المشركين عن الإتيان بسورة من مثل القرآن الكريم إلا أنهم استمروا في طغيانهم وإنكارهم القرآن الكريم، قال سبحانه في بيان ذلك: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ﴾ مفعول: صرفنا محذوف، والتقدير: ولقد صرفنا الهدايات والعبر بوجوه متعددة. وتصريف القول هو ترديد البيان عن المعنى.

وقوله تعالى: ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ يجوز أن تكون ﴿مِن﴾ لابتداء الغاية، ويكون المفعول بـ"صرفنا" مقدرا تقديره: ولقد صرفنا في هذا القرآن التنبيه والعبر من كل مثل ضربناه. ويجوز أن تكون مؤكدة زائدة، والتقدير: ولقد صرفنا كل مثل، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: 124]. وقوله: ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ عبارة عن تكسب الكفار الكفر وإعراضهم عن الإيمان، وفي التعبير بـ ﴿فَأَبَىٰ﴾ تغليظ. والكفر بالخلق والاختراع هو من فعل الله تعالى، وبالتكسب والدؤوب هو من الإنسان. وقوله: ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ " مصدر كالخروج. والاستثناء مفرغ منصوب بـ ﴿أَبَىٰ﴾ لأنه في معنى النفي، أي: ما رضي أكثرهم إلا الكفر به " [البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة: 3/ 230].

ثالثا: مقاصد الآيات:

تقرر هذه الآيات جملة من المقاصد التربوية، أهمها:

- إكرام الله تعالى رسوله ﷺ بما يؤكد نبوته وهو القرآن الكريم الذي اشتمل على أرسخ القواعد وأقوم الحكم والأحكام، حيث عجز العالم عن الإتيان بمثله، بل إن فصحاء اللسان وبلغاءهم الذين نزل بلغتهم عجزوا عن الإتيان بسورة واحدة مثله.

- التأكيد على نبوة الرسول ﷺ وبيان شدة عناد المشركين لتوحيد الله تعالى برضاهم عبادة الحجر وإنكارهم رسالة النبي ﷺ.

التقويم

1 – ما المقصد من توجيه الله تعالى رسوله ﷺ في هذه الآيات؟

2 – أبين مظاهر إعجاز القرآن الكريم الواردة في الآيات.

3 – كيف يؤثر إعجاز القرآن الكريم في إصلاح النفوس وتهذيبها؟

4 – أوضح من خلال التفسير ما يدل على نباهة العرب وبراعتهم في فهم السياق.

الاستثمار

قال الفخر الرازي عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾: " لِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: هَبْ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَجْزُ الْإِنْسَانِ عَنْ مُعَارَضَتِهِ فَكَيْفَ عَرَفْتُمْ عَجْزَ الْجِنِّ عَنْ مُعَارَضَتِهِ؟ وَأَيْضًا فَلِمَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ نَظْمُ الْجِنِّ أَلْقَوْهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَخَصُّوهُ بِهِ عَلَى سَبِيلِ السَّعْيِ فِي إِضْلَالِ الْخَلْقِ؟ فَعَلَى هَذَا إِنَّمَا تَعْرِفُونَ صِدْقَ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا عَرَفْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا صَادِقٌ فِي قَوْلِهِ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْجِنِّ بَلْ هُوَ مِنْ كَلَامِ اللهِ تَعَالَى، فَحِينَئِذٍ يَلْزَمُ الدَّوْرُ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنَّ يَقُولَ: كَيْفَ يُعْقَلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ قَوْلِ الْجِنِّ؟ لِأَنَّا نَقُولُ: إِنّ هَذِهِ الْآيَةَ دَلَّتْ عَلَى وُقُوعِ التَّحَدِّي مَعَ الْجِنِّ، وَإِنَّمَا يَحْسُنُ هَذَا التَّحَدِّي لَوْ كَانُوا فُصَحَاءَ بُلَغَاءَ، وَمَتَى كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ كَانَ الِاحْتِمَالُ الْمَذْكُورُ قَائِمًا؟". [مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي: 21 /406]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 – أستخرج الإشكال الوارد في النص.

2 – أبين الجواب عن هذا الإشكال.

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: **90 - 93** من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: **يَنۢبُوعاً - جَنَّةٌ - كِسَفاً - قَبِيلاً - مِّن زُخْرُفٍ - تَرْقَىٰ** .

2 - ما هو المقصد من إعراض الله تعالى عن مطالب المشركين؟

3 - ما أثر قراءة ﴿تُفَجِّرَ﴾ و﴿تَفْجُرَ﴾ في معنى قوله سبحانه: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تُفَجِّرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنۢبُوعاً﴾ ؟

الدرس 23

سورة الإسراء

﴿الآيات: 90 - 93﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف على الخوارق المادية والسخافات التي طلبها المشركون من النبي ﷺ.

2- أن أستنتج أسلوب الحكمة في جواب النبي ﷺ على طلبهم.

3- أن أقتدي بالنبي ﷺ في محاورة من يخالفني في الرأي.

تمهيـــد

بعد عجز مشركي العرب عن الإتيان بمثل القرآن الكريم؛ أخذوا يراوغون ويقترحون آيات أخرى تعنتا وحيرة، فطلبوا من النبي ﷺ إحدى آيات ست برهانا على صدق رسالته، فأمره الله تعالى بالرد عليهم ونبذ مطالبهم؛ لأنه ليس إلا بشرا أرسله الله ليبلغهم دعوته، فلا يملك التصرف في الكون.

فما الذي جعل المشركين يطلبون من النبي ﷺ هاته الآيات؟ وكيف رد الله تعالى على مطالبهم؟

الآيـات

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا (90) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (91) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (92) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ

﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا (93)﴾ [سورة الإسراء: 90 – 93]

الفهم

الشرح:

يَنْبُوعاً : عينا لا ينضب ماؤها.

جَنَّةٌ : بستان كثير الأشجار.

كِسَفاً : قطعا جمع كسفة كقطعة.

قَبِيلاً : مقابلة لنراهم عيانا.

مِّن زُخْرُفٍ : من ذهب.

تَرْقَىٰ : تصعد في السماء على السلم.

استخلاص مضامين الآيات:

1- ماذا طلب المشركون من النبي ﷺ في هذه الآيات؟

2- مم نزه الله تعالى نفسه في هذه الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: طلب المشركين من النبي ﷺ الإتيان بخوارق مادية برهانا على صدقه:

لم يعترف المشركون بأن عجزهم عن الإتيان بمثل القرآن الكريم يثبت أنه كلام الله، ويثبت نبوة رسوله ﷺ؛ إذ بعد أن أفحمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب المقنع، حادوا إلى سؤال النبي ﷺ إنزال إحدى ست آيات حتى يؤمنوا به.

وروي في طلبهم هذا حديث طويل، حاصله: أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وعبد الله بن أبي أمية والنضر بن الحارث وغيرهم من مشيخة قريش وسادتها، اجتمعوا فعرضوا عليه ﷺ أن يملكوه إن أراد الملك، أو يجمعوا له المال الوفير إن أراد الغنى، أو يطبوه إن كان به داء ونحو هذا من الأقاويل، فدعاهم رسول الله ﷺ عند ذلك إلى الله، وقال: " إنما جئتكم من عند الله بأمر فيه صلاح دينكم ودنياكم، فإن سمعتم وأطعتم فحسن، وإلا صبرت لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم بما شاء "، فقالوا له حينئذ: فإن كان ما تزعمه حقا ففجر لنا ينبوعا ونؤمن لك، ولتكن لك جنة، إلى غير ذلك مما كلفوه، فقال لهم رسول الله ﷺ: " هذا كله إلى الله، ولا يلزمني هذا ولا غيره، وإنما أنا مستسلم لأمر الله "، هذا هو معنى الحديث. وفي الألفاظ اختلاف وروايات متشعبة يطول سوق جميعها، فاختصرت لذلك.

ويروى أن قائل هذه المقالة هو عبد الله بن أبي أمية، فإنه قال لرسول الله ﷺ: "إني لا أؤمن لك حتى تأتي بكتاب أراك هابطا به، فيه من الله عز وجل إلى عبد الله بن أبي أمية". وروي أن جماعتهم طلبت منه نحو هذا.

وما طلبه المشركون من النبي ﷺ ستة أنواع من المعجزات:

أولها: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ﴿حَتَّىٰ تُفَجِّرَ﴾ بضم التاء وفتح الفاء وتشديد الجيم مكسورة. وقرأ عاصم وحمزة الكسائي حتى " تَفْجُرَ " بفتح التاء وضم الجيم. وفي القرآن ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ [البقرة: 59]، و" انفجر " مأخوذ من " فجر " دال على المطاوعة، فهذا مما يقوي القراءة الثانية. وأما الأولى فتقتضي المبالغة في التفجير. وعبر بكلمة ﴿يَنۢبُوعًا﴾ للإشعار بأنهم لا يريدون من الماء ما يكفيهم فحسب، وإنما يريدون ماء كثيرا لا ينقص في وقت من الأوقات، فهي صفة مبالغة إنما تقع للماء الكثير. وطلبت قريش هذا من رسول الله ﷺ بمكة، وإياها عنوا بـ ﴿ٱلْأَرْضِ﴾، فالتعريف فيها للعهد.

وثانيها: قوله سبحانه: ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا﴾، اقترحوا الجنة أن تكون بمكة لامتناع ذلك فيها، وإلا ففي سائر البلاد كان ذلك ممكنا، وإنما طلبوا

أن يكون ذلك بأمر إلهي في ذلك الموضع الجدب. وقوله: ﴿فَتُفَجِّرَ﴾ تضعيف مبالغة لا تضعيف تعدية، كـ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ [يوسف: 23]. و﴿خِلَٰلَهَا﴾ ظرف، ومعناه: أثناءها وفي داخلها.

وثالثها: قوله تعالى: ﴿أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا﴾ قوله: ﴿كَمَا زَعَمۡتَ﴾، إشارة إلى ما تلي عليهم قبل ذلك في قوله عز وجل: ﴿إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [سبأ: 9]. وقوله: ﴿كِسَفًا﴾ حال من ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾. والمعنى: أو تسقط أنت علينا السماء إسقاطا مماثلا لما هددتنا به من أن في قدرة ربك – سبحانه- أن ينزل علينا عذابا متقطعا من السماء.

ورابعها: قوله عز وجل: ﴿أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾، قوله: ﴿قَبِيلًا﴾ قيل: معناه مقابلة وعيانا. وقيل: معناه ضامنا وزعيما بتصديقك، ومنه القبالة وهي الضمان، والقبيل والمتقبل: الضامن. وقيل: معناه نوعا وجنسا لا نظير له عندنا.

وخامسها: قوله تعالى: ﴿أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ﴾، قال المفسرون: "الزخرف" : الذهب في هذا الموضع. والزخرف ما تزين به، كان بذهب أو غيره، ومنه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا﴾ [يونس: 24]. وفي قراءة عبد الله بن مسعود " أو يكون لك بيت من ذهب ". قال مجاهد: ما كنا نعرف الزخرف حتى قرأنا في حرف عبد الله " من ذهب ".

وسادسها: قوله تعالى: ﴿أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ﴾ قوله: ﴿تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ معناه: تصعد في معارج السماء، فحذف المضاف. والرقي: الصعود. وقوله: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يريد في الهواء علوا، والعرب تسمي الهواء علوا سماء لأنه في حيز السمو. ويحتمل أن يريدوا السماء المعروفة، وهو أظهر؛ لأنه أعلمهم أن إله الخلق فيها وأنه يأتيه خبرها.

ثانيا: تنزيه الله تعالى عن مطالب المشركين:

بعد سرد الآيات مطالب المشركين السابقة، خاطب الله عز وجل رسوله ﷺ بقوله: ﴿قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾ الاستفهام هنا للنفي، أي: ما كنت إلا رسولا كسائر الرسل وبشرا مثلهم.

والمعنى: قل سبحان ربي وتنزيها له من الإتيان مع الملائكة قبيلا، ومن أن يخاطبكم بكتاب كما أردتم، ومن أن أقترح أنا عليه هذه الأشياء، وما أنا إلا بشر كسائر البشر، ورسول كسائر الرسل، أرسلت إليكم بالشريعة، فإنما علي التبليغ فقط.

وقرأ ابن كثير وابن عامر "قال سبحان ربي" على معنى الخبر عن رسول الله ﷺ أنه سبح عند قولهم.

وقد نزهت هذه الآية الله سبحانه وتعالى "عن شيء لا يليق به أو نسب إليه مما تقدم ذكره. وليس فيما تقدم ذكره شيء لا يليق بالله إلا قولهم: أو تأتي بالله، فدل هذا على أن قوله: " سبحان ربي " تنزيه لله عن الإتيان والمجيء، وذلك يدل على فساد قول المشبهة في أن الله تعالى يجيء ويذهب. فإن قالوا: لم لا يجوز أن يكون المراد تنزيه الله تعالى عن أن يتحكم عليه المتحكمون في اقتراح الأشياء؟ قلنا: القوم لم يتحكموا على الله، وإنما قالوا للرسول ﷺ: إن كنت نبيا صادقا فاطلب من الله أن يشرفك بهذه المعجزات. فالقوم تحكموا على الرسول وما تحكموا على الله، فلا يليق حمل قوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ على هذا المعنى، فوجب حمله على قولهم: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ﴾. وتقرير هذا الجواب أن يقال: إما أن يكون مرادكم من هذا الاقتراح أنكم طلبتم الإتيان من عند نفسي بهذه الأشياء، أو طلبتم مني أن أطلب من الله تعالى إظهارها على يدي لتدل على كوني رسولا حقا من عند الله. والأول باطل لأني بشر، والبشر لا قدرة له على هذه الأشياء. والثاني أيضا باطل لأني قد أتيتكم بمعجزة واحدة وهي القرآن، فطلب هذه المعجزات طلب لما لا حاجة إليه ولا ضرورة، فكأن طلبها يجري مجرى التعنت والتحكم، وأنا عبد مأمور ليس لي أن أتحكم على الله ". [مفاتيح الغيب، للرازي: 21 /409 410].

ثانيا: مقاصد الآيات:

تهدف هذه الآيات إلى تحقيق مقاصد تربوية متعددة، منها:

• بيان صدق رسالة النبي ﷺ التي تدعو إلى توحيد الله تعالى، وترشد الناس إلى عبادته؛ إذ هو وحده من يستحق ذلك.

• تأييد الله تعالى رسوله ﷺ بالقرآن الكريم الذي عجز العرب عن الإتيان بمثله، وكان الدليل الأكبر على صدق المرسل به ﷺ في دعوى النبوة.

• ليس من شرط صدق النبوة تواتر المعجزات وتكاثرها؛ لأنه لو فتح هذا الباب لطالب الناس كل رسول أتى بمعجزة أن يأتيهم بمعجزة أخرى، وهكذا لا يتوقف الأمر عند حد يحتكم إليه العقلاء، وينتهي فيه عناد المعاندين.

التقويـم

1 – لماذا لم يستجب الله تعالى لطلب المشركين تأكيدا لصدق رسوله ﷺ؟

2 – أستنتج من الآيات حكمة النبي ﷺ في تعامله مع المشركين.

3 – كيف أقتدي بالنبي ﷺ في التعامل مع المخالفين؟

الاستثمار

لما طلب المشركون من الرسول ﷺ ما ورد في الآيات موضوع الدرس، أجابهم بقوله: "ذَلِكَ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ أَنْ يفعلَه بِكُمْ فَعَلَ". قَالُوا: يَامُحَمَّدُ، أَفَمَا عَلِمَ رَبُّكَ أَنَّا سَنَجْلِسُ مَعَكَ وَنَسْأَلُكَ عمّا سَأَلْنَاكَ عَنْهُ وَنَطْلُبُ مِنكَ مَا نَطْلُبُ، فيتقدم فَيُعَلِّمَكَ مَا تُرَاجِعُنَا بِهِ وَيُخْبِرُكَ مَا هُوَ صَانِعٌ فِي ذَلِكَ بِنَا إِذْ لَمْ نَقْبَلْ مِنْكَ مَا جِئْتَنَا بِهِ؟ إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّكَ إِنَّمَا يُعَلِّمُكَ هَذَا رَجُلٌ بِالْيَمَامَةِ يُقَالُ لَهُ: الرَّحْمَنُ، وَإِنَّا وَاللهِ لَا نُؤْمِنُ بِالرَّحْمَنِ أَبَدًا، فَقَدْ أَعْذَرْنَا إِلَيْكَ يَامُحَمّدُ، وَإِنَّا وَاللهِ لَا نَتْرُكُكَ وَمَا بَلَغْتَ مِنَّا حَتّى نُهْلِكَكَ، أَوْ تُهْلِكَنَا. وَقَالَ قَائِلُهُمْ: نَحْنُ نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَهِيَ بَنَاتُ اللهِ. وَقَالَ قَائِلُهُمْ: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّى تَأْتِيَنَا بِاللهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا. فَلَمّا قَالُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ قَامَ عَنْهُمْ، وَقَامَ مَعَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ ابْنُ الْمُغِيرَةِ (...) فَقَالَ لَهُ: يَامُحَمَّدُ، عَرَضَ عَلَيْكَ قومُك مَا عَرَضُوا فَلَمْ تقبله مِنْهُمْ، ثُمّ سَأَلُوكَ لِأَنْفُسِهِمْ أُمُورًا لِيَعْرِفُوا بِهَا مَنْزِلَتَكَ مِنَ اللهِ كَمَا

تَقُولُ وَيُصدّقُوك وَيَتَّبِعُوك فَلَمْ تفعلْ، ثُمّ سَأَلُوك أَنْ تَأْخُذَ لِنَفْسِك مَا يَعْرِفُونَ بِهِ فَضْلَك عَلَيْهِمْ وَمَنْزِلَتَك مِنَ اللهِ فَلَمْ تَفْعَلْ، ثُمّ سَأَلُوكَ أَنْ تُعَجّلَ لَهُمْ بعضَ مَا تخوّفهم بِهِ مِنْ الْعَذَابِ فَلَمْ تَفْعَلْ، أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ، فَوَاللهِ لَا أُومِنُ بِكَ أَبَدًا حَتَّى تَتَّخِذَ إِلَى السَّمَاءِ سُلَّما ثُمّ ترقى فِيهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْك حَتَّى تأتيها، ثُمّ تَأْتِي مَعَكَ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَشْهَدُونَ لَكَ أَنَّكَ كَمَا تَقُولُ، وَايْمُ اللهِ لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ مَا ظَنَنْتُ أَنّي أُصَدّقُك. ثُمّ انْصَرَفَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَانْصَرَفَ رسولُ اللهِ ﷺ إلَى أَهْلِهِ حَزِينًا آسِفًا لِمَا فَاتَهُ مِمّا كَانَ يَطْمَعُ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ حِينَ دَعوْهُ، وَلِمَا رَأَى مِنْ مُبَاعَدَتِهِمْ إياه".

[السيرة النبوية، لابن هشام: 1 /262 263]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 - أبرز من خلال النص تجرؤ المشركين على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ.

2 - أبين الحكمة من عدم تعجيل الله تعالى عقابهم جزاء لهم على هذا التجرؤ.

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: **94** - **98** من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: أَوْلِيَآءَ - مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ - خَبَتْ - سَعِيرًا.

2 - كيف رد الله تعالى عن المشركين وأبطل مزاعمهم؟

3 - ما العلة في حذف ياء ﴿الْمُهْتَدِ﴾ في قوله سبحانه: ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾؟

الدرس 24

سورة الإسراء

﴿الآيات: 94 - 98﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف الأسلوب الحكيم في رد الله سبحانه على مزاعم المشركين.

2- أن أستنتج أسباب جزاء المشركين بما ورد في الآيات.

3- أن أحذر من الخوض فيما اختص الله تعالى بتدبيره مما لا طاقة لي به.

تمهيد

لما ذكر الله تعالى إنكار المشركين لرسالة النبي ﷺ ومطالبتهم إياه بتحقيق أمور سخيفة حتى يؤمنوا به ويصدقوا رسالته؛ بين في هذه الآيات شبهة أخرى من شبهاتهم الباطلة التي منعتهم من الإيمان، وهي زعمهم بأن الرسول لا يمكن أن يكون من البشر، بل ينبغي أن يكون من الملائكة. وقد رد الله تعالى على أوهامهم هذه وتوعدهم بالعذاب الأليم يوم القيامة جزاء على تعنتهم وعنادهم وتكذيبهم بآيات ربهم.

فما هي أوهام المشركين التي منعتهم من الإيمان؟ وكيف فند الله سبحانه مزاعمهم؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿94﴾ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴿95﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ إِنَّهُۥ

﴿كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ٩٦ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ٩٧ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا ٩٨﴾

[سورة الإسراء: 94 – 98]

الفهم

الشرح:

أَوۡلِيَآءَ	: أنصارا يتولون شؤونهم.
مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ	: مستقرهم ومقامهم.
خَبَتۡ	: سكن لهبها.
سَعِيرٗا	: لهبا وتوقدا.

استخلاص مضامين الآيات:

1– ما هي المزاعم التي أبطلها الله تعالى في هذه الآيات؟

2– لمن أعد الله تعالى الجزاء الوارد في الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: تفنيد الله سبحانه شبهات المشركين وأوهامهم:

لما طلب المشركون من النبي ﷺ تحقيق مطالب متهافتة لتصديقه والإيمان بما

جاء به، بين سبحانه سبب كفرهم وعنادهم، فقال سبحانه: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾، ﴿أَن﴾ الأولى في محل نصب بإسقاط حرف الخفض. و﴿أَن﴾ الثانية في محل رفع بـــ " منع ". والتعريف في الناس للاستغراق، ومعنى الآية: وما منع جميع الناس من أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا توهمهم الباطل وتعجبهم من إرسال الله رسلا من البشر، وبعثة الرسل من البشر غير بدع ولا غريب.

وعلى تقدير بعث الله تعالى ملكا رسولا إلى الخلق، فإنما يؤمنون بكونه رسولا من عند الله لقيام المعجز الدال على صدقه في ادعاء رسالة الله تعالى، فهذا المعجز سواء ظهر على يد الملك أو على يد البشر وجب الإقرار برسالته، وقد أنكروا المعجزات التي أتى بها النبي ﷺ، وهذا لا يمنع إنكارهم للمعجزات ولو أتت على يد الملك. فثبت أن قولهم بأن الرسول لا بد وأن يكون من الملائكة تحكم فاسد وتعنت باطل.

وقد شمل عموم الآية كفار قريش؛ لذلك وجه الله تعالى رسوله ﷺ بأن يجيبهم عن هذه الشبهة الواهية بقوله: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا﴾، هذه الآية على معنى التوبيخ والتلهف من النبي عليه السلام والبشر، كأنه يقول متعجبا منهم: ما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا هذه العلة النزرة والاستبعاد الذي لا يستند إلى حجة، وبعثة البشر رسلا غير بدع ولا غريب، فبها يقع الإفهام والتمكن من النظر كما لو كان في الأرض ملائكة يسكنونها مطمئنين، أي: وادعين فيها مقيمين لكان الرسول إليهم من الملائكة ليقع الإفهام، وأما البشر فلو بعث إليهم ملك لنفرت طباعهم من رؤيته، ولم تحتمله أبصارهم ولا تجلدت له قلوبهم. وإنما أراد الله جري أحوالهم على معتادها.

ثم نبه الله رسوله ﷺ إلى إنهاء الجدل مع هؤلاء المتعنتين، فقال سبحانه: ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾. روى البخاري: أن الملأ من قريش، الذين قالوا لرسول الله ﷺ المقالات التي تقدم ذكرها من عرض الملك عليه والغنى وغير ذلك، لما سمعوا قوله: ﴿هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾، قالوا: فمن يشهد لك أنك

رسول الله؟ فلتجئ معك طائفة من الملائكة تشهد لك بصدقك في نبوتك، فنزلت هذه الآية.

قال القاضي أبو محمد: ومعنى أقوالهم إنما هو طلب شهادة دون أن يذكروها، ففي ذلك نزلت الآية، أي: الله يشهد بيني وبينكم الذي له الخبر والبصر لجميعنا صادقنا وكاذبنا.

ثم رد الأمر إلى خلق الله تعالى واختراعه الهدى والضلال في قلوب البشر، أي: ليس بيدي من أمركم أكثر من التبليغ.

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ " يعلم أحوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها، وفيه تسلية للرسول ﷺ وتهديد للكفار" [أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: 3/ 267].

ثانيا: جزاء من كذب بآيات الله تعالى وأنكر البعث:

أخبر الله سبحانه عن عظيم سلطانه في خلقه، ونفوذ حكمه فيهم، فقال: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾. في قوله تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾ وعيد.

ولما أجاب الله تعالى عن شبهات القوم في إنكار النبوة وأردفها بالوعيد الإجمالي بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: 96] ذكر بعده الوعيد الشديد على سبيل التفصيل، فقال سبحانه: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾. وقد اختلف في معنى هذه الآية، فقيل: هي استعارات، إما لأنهم من الحيرة والهم والذهول يشبهون أصحاب هذه الصفات. وإما من حيث إنهم لا يرون ما يسرهم ولا يسمعونه ولا ينصفونه بحجة. وقيل: تلك هي صفاتهم على الحقيقة، وذلك عند قيامهم من قبورهم، ثم يرد الله إليهم أبصارهم وسمعهم ونطقهم، فعندما يرد ذلك إليهم يرون النار ويسمعون زفيرها ويتكلمون بكل ما حكي عنهم في ذلك؛ لأنه يقال للمنصرف عن أمر خائفا مهموما: انصرف على وجهه. ويقال للبعير المتفه: كأنما يمشي على وجهه. ومن قال: ذلك في الآية حقيقة قال: أقدرهم الله على النقلة على الوجوه كما أقدرهم في الدنيا على النقلة على الأقدام. وفي هذا المعنى حديث أنس رضي الله عنه: " أن رجلا قال: يا نبي الله، يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: " أليس الذي أمشاه

على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟ "قال قتادة: بلى وعزة ربنا"

[صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب الذين يحشرون على وجوههم...]

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ خبت النار معناه: سكن اللهيب، والجمر على حاله. والمعنى: كلما فرغت من إحراقهم فيسكن اللهيب القائم عليهم قدر ما يعادون ثم تثور فتزداد توقدا ولهيبا. فالزيادة في حيزهم، وأما جهنم فعلى حالها من الشدة لا يصيبها فتور.

ثم بين سبحانه سبب جزائهم بذلك فقال: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ الإشارة إلى الوعيد المتقدم بجهنم.

وقوله تعالى: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يعم الدلائل والحجج التي جاء بها محمد عليه السلام، ويعم آيات القرآن وما تضمن من خبر وأمر ونهي. ثم عظم عليهم أمر إنكار البعث وخصه بالذكر مع كونه في عموم الكفر بآيات القرآن. ووجه تخصيصه التعظيم له والتنبيه على خطارة الكفر في إنكاره. وقوله: ﴿وَرُفَٰتًا﴾ الرفات: بقية الشيء التي قد أصارها البلى إلى حال التراب. وقوله: ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾ البعث: تحريك الشيء الساكن. وهذا الاستفهام منهم هو على جهة الإنكار والاستبعاد للحال بزعمهم.

ثالثا: مقاصد الآيات:

تقرر هذه الآيات جملة من المقاصد التربوية، منها ما يأتي:

- رد الله تعالى على منكري رسالات رسله، وبيان مبرراتهم التي يتعللون بها.
- بيان فضل الله تعالى وإنعامه على رسوله ﷺ؛ إذ سلاه عن تكذيب المشركين له وإنكارهم رسالته، ووجهه إلى ما وجه إليه الرسل والأنبياء قبله من تفويض الأمر إلى الله وتحكيمه في أعدائه.
- بيان جزاء المشركين المكذبين بالرسالة الإلهية والمنكرين للبعث والحساب؛ إذ جعل عقوبتهم مناسبة للجرم الذي اقترفوه، وفي ذلك تحقيق للعدل الإلهي.

التقويم

1 – ما العلة في إرسال الله تعالى الرسل من البشر دون الملائكة؟

2 – ما السبب في بعث الله تعالى المشركين على هيئتهم الواردة في الآيات؟

3 – على ماذا يدل قوله تعالى: ﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾؟

الاستثمار

" مَنْ يَهْدِهِ الله إِلَى صَرِيحِ الْمَعْرِفَةِ وَسِرِّ الْخُصُوصِيَّةِ فَهُوَ المهتدي إِلَيْهَا، يَهْدِيهِ أَوَّلًا إِلَى صُحْبَةِ أَهْلِهَا، فَإِذَا تَرَبَّى وَتَهَذَّبَ أَشْرَقَتْ عَلَيْهِ أَنْوَارُهَا. وَمَنْ يُضْلِلْهُ عَنْهَا فَلَا يَنْظُرُ وَلَا يَهْتَدِي إِلَى صُحْبَةِ أَهْلِهَا، فَيُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَحْجُوبًا عَنِ الله كَمَا عَاشَ مَحْجُوبًا. يَمُوتُ الْمَرْءُ عَلَى مَا عَاشَ عَلَيْهِ، وَيُبْعَثُ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ، لَا يُبْصِرُ أَسْرَارَ الذَّاتِ فِي مَظَاهِرِ النَّعِيمِ، وَلَا يَنْطِقُ بِالْمُكَالَمَةِ مَعَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَلَا يَسْمَعُ مُكَالَمَةَ الْحَقِّ مَعَ الْمُقَرَّبِينَ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ إِنْكَارِهِ لِأَهْلِ التَّرْبِيَةِ فِي زَمَانِهِ، وَقَالَ: لَا يُمْكِنُ أَنْ يَبْعَثَ الله مَنْ يُحْيِي الْأَرْوَاحَ الْمَيْتَةَ بِالْجَهْلِ بِالْمَعْرِفَةِ الْكَامِلَةِ، وَفِيهِ إِنْكَارٌ لِعُمُومِ الْقُدْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ، وَتَحْجِيرٌ عَلَى الْحَقِّ ".

[البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة: 3 /236]

أتأمل النص وأبين من خلاله ما يؤثر في هداية الإنسان وضلاله.

الإعداد القبلي

أتأمل الآيتين: 99 - 100 من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: أَجَلًا - خَزَآئِنَ - لَّأَمْسَكْتُمْ - قَتُورًا.

2 - بم وصف الله تعالى الإنسان في الآيتين؟ وما الغرض من ذلك؟

3 - أبحث عن الأساليب البلاغية الواردة في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾، وأوظف ذلك في فهم معنى الآية.

الدرس

25

سورة الإسراء

﴿الآيتان: 99 - 100﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف الحجج التي واجه الله سبحانه بها منكري البعث.

2- أن أستنتج سبب وصف الله تعالى الإنسان بالبخل والشح.

3- أن أسترشد بالقرآن الكريم في إنفاق مالي بما يرضي الله تعالى.

تمهيد

بعد رد الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة على منكري النبوة؛ بين في هاتين الآيتين بطلان عقيدتهم في البعث مستدلا على ذلك بقياس التمثيل، ذلك أنهم استبعدوا إعادة خلق الإنسان بعد أن يصير ترابا ورفاتا، فأجاب الله عز وجل عن هذه الشبهة الواهية بأن من قدر على خلق السموات والأرض وهي أكبر من خلق الإنسان، قادر على إعادتهم بأعيانهم.

فكيف رد الله تعالى على منكري البعث؟ وما المقصد من وصفهم بالبخل والشح؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (99) قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا (100)﴾ [سورة الإسراء: 99-100]

الفهم

الشرح :

أَجَلًا : زمانا مجعولا لا غاية يبلغ إليها في حال من الأحوال، وشاع إطلاقه على الحياة.

خَزَآئِنَ : أرزاق.

لَّأَمْسَكْتُمْ : لبخلتم.

قَتُورًا : مبالغا في البخل.

استخلاص مضامين الآيات:

1- على من رد الله سبحانه في هذه الآيات؟ وبماذا؟

2- بم وصف الله تعالى الإنسان في الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: رد اللّه سبحانه على منكري البعث بالحجج القاطعة:

لما أنكر المشركون البعث في الآيات السابقة، رد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾. الهمزة في قوله: ﴿أَوَلَمْ﴾ للاستفهام التوبيخي، وهي داخلة على محذوف. و" الرؤية " هنا رؤية القلب.

وقوله سبحانه: ﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ يحتمل بأن يكون المراد: قادر على أن يخلقهم مرة ثانية، فعبر عن ذلك بلفظ المثل. ويحتمل أن يكون المراد: قادر على أن يخلق عبيدا آخرين يوحدونه ويعبدونه، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: 38].

وهذه الآية احتجاج عليهم فيما استبعدوه من البعث، وذلك أنهم يقرون بخلق الله تعالى واختراعه لهذه الجملة التي البشر جزء منها، فهم لا ينكرون ذلك، فكيف يصح لهم أن يقروا بخلقه للكل وإخراجه من خمول العدم، وينكرون إعادته للبعض؟ فحصل الأمر في حيز الجواز، وأخبر الصادق الذي قامت دلائل معجزاته بوقوع ذلك الجائز.

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: 32]. وقوله سبحانه: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: 80].

ولما بين الله سبحانه بأنه قادر على البعث وأنه ممكن الوجود، أردفه ببيان أن لوقوعه وقتا معلوما، فقال: ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ " الأجل " هنا يحتمل أن يريد به القيامة، ويحتمل أن يريد أجل الموت. وهو على هذا التأويل اسم جنس؛ لأنه وضعه موضع الآجال. ومقصد هذا الكلام بيان قدرة الله عز وجل وملكه لخلقه، وبتقرير ذلك يقوى جواز بعثه لهم حين يشاء لا إله إلا هو.

وقوله: ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ أي: عبارة عن تكسبهم وجنوحهم.

ثانيا: البخل من طباع الإنسان وسجاياه:

بعد بيان الله تعالى تكذيب الكفار بالبعث والحشر، أردف ذلك ببيان بخلهم ولو امتلكوا خزائن السموات والأرض، فقال سبحانه: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا﴾، حكم ﴿لَّوْ﴾ أن يليها الفعل إما مظهرا وإما مضمرا يفسره الظاهر بعد ذلك، فـ﴿أَنتُمْ﴾ مرفوع بفعل يفسره ما بعده، كقول حاتم الطائي: لو ذات سوار لطمتني. والتقدير هنا: قل: لو تملكون أنتم تملكون خزائن، فـ ﴿أَنتُمْ﴾ رفع على تبع الضمير.

و﴿رَحْمَةِ﴾ في هذه الآية: المال والنعم التي تصرف في الأرزاق، ومن هذا سميت رحمة. و﴿الْإِنفَاقِ﴾ المعروف ذهاب المال، وهو مؤد إلى الفقر، فكأن المعنى خشية عاقبة الإنفاق. وقال بعض اللغويين: أنفق الرجل معناه افتقر، كما تقول: أترب وأقتر. وقوله: ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا﴾

أي: ممسكا، يريد أن في طبعه ومنتهى نظره أن الأشياء تتناهى وتفنى، فهو لو ملك خزائن رحمة الله لأمسك خشية الفقر، كما قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: 52] وكما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: 19 - 22].

وكذلك يظن أن قدرة الله تعالى تقف دون البعث، والأمر ليس كذلك، بل قدرته لا تتناهى، فهو مخترع من الخلق ما يشاء، ويخترع من الرحمة الأرزاق، فلا يخاف نفاد خزائن رحمته.

ويدل على كرمه وسخائه سبحانه ما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله أن رسول الله ﷺ قال: " يد الله ملأى لا يغيضها نفقةٌ، سحاء الليل والنهار. وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغض ما في يده " [صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾]

ثالثا: مقاصد الآيات:

تسعى هذه الآيات لتحقيق جملة من المقاصد التربوية، منها ما يأتي:

- تأكيد الله سبحانه على وقوع البعث، ببيان أنه كما قدر على خلق السموات والأرض والإنسان أول مرة وهو مما يعترف به المشركون، فهو سبحانه قادر على إعادة خلق الإنسان وإحيائه بعد موته، كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم:26]

- منة الله تعالى بنعمه على عباده إذ أمهلهم إلى أجل معلوم رحمة بهم وفضلا منه سبحانه وطمعا في استقامتهم وتوبتهم.

- تذكير الله تعالى عباده بقدرته التي لا تتناهى، فهو يخترع من الرحمة والأرزاق ما يشاء كما يخترع من الخلق ما يشاء.

التقويـم

1 – أستدل انطلاقا من الآيتين على وقوع البعث، مبينا أوهام المشركين بخصوص ذلك.

2 – ما وجه المبالغة في وصف الإنسان بالبخل؟

3 – ما أثر الإيمان بالبعث والحساب في تزكية النفس ونفع الغير؟

الاستثمار

قَالَ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾:
" وَالْأَجَلُ هُنَا مُحْتَمِلٌ لِإِرَادَةِ الْوَقْتِ الَّذِي جُعِلَ لِوُقُوعِ الْبَعْثِ فِي عِلْمِ اللهِ تَعَالَى. وَوَجْهُ كَوْنِ هَذَا الْجَعْلِ لَهُمْ أَنَّهُمْ دَاخِلُونَ فِي ذَلِكَ الْأَجَلِ لِأَنَّهُمْ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ يُبْعَثُ حِينَئِذٍ، فَتَخْصِيصُهُمْ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُمُ الَّذِينَ أَنْكَرُوا الْبَعْثَ (...) وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْأَجَلُ أَجَلَ الْحَيَاةِ، أَيْ: وَجَعَلَ لِحَيَاتِهِمْ أَجَلًا، فَيَكُونَ اسْتِدْلَالًا ثَانِيًا عَلَى الْبَعْثِ، أَيْ: أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ جَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لِحَيَاتِهِمْ، فَمَا أَوْجَدَهُمْ وَأَحْيَاهُمْ وَجَعَلَ لِحَيَاتِهِمْ أَجَلًا إِلَّا لِأَنَّهُ سَيُعِيدُهُمْ إِلَى حَيَاةٍ أُخْرَى، وَإِلَّا لَمَا أَفْنَاهُمْ بَعْدَ أَنْ أَحْيَاهُمْ؛ لِأَنَّ الْحِكْمَةَ تَقْتَضِي أَنَّ مَا يُوجِدُهُ الْحَكِيمُ يَحْرِصُ عَلَى بَقَائِهِ وَعَدَمِ فَنَائِهِ، فَمَا كَانَ هَذَا الْفَنَاءُ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ إِلَّا فَنَاءً عَارِضًا لِاسْتِقْبَالِ وُجُودٍ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا الْوُجُودِ وَأَبْقَى ".

[التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور: 15 /222]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 – أستخرج من النص معنى الأجل.

2 – كيف يمكن الاستدلال على وقوع البعث انطلاقا من النص؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 101 - 104 من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ - مَسْحُوراً - مَثْبُوراً - يَسْتَفِزَّهُم - لَفِيفاً.

2 - هل يتأثر المشركون بالمعجزات التي يؤيد الله سبحانه بها رسله؟

3 - ما المقصد من ذكر الله تعالى لإهلاك فرعون ومن معه بعدما كذبوا بمعجزات موسى؟

الدرس 26

سورة الإسراء

﴿الآيات: 101 - 104﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف أثر المعجزات في قلوب المشركين.

2- أن أستنتج عاقبة إنكار المعجزات التي أيد الله تعالى بها رسله.

3- أن أقوي إيماني بتأمل تلك المعجزات والغاية منها.

تمهيد

بعدما طلب المشركون من النبي ﷺ إتيانهم بخوارق مادية لتصديقه والإيمان به؛ بين سبحانه في هذه الآيات أن العبرة في الإيمان ليست في تلك الخوارق المادية، وإنما في تأثر القلوب بها وتقبلها للحق، وساق الله سبحانه للاستدلال على ذلك مثلا من قصة موسى عليه السلام الذي آتاه الله من المعجزات ما يشهد بصدقه، فلم تزد فرعون ومن تبعه إلا كفرا وعنادا.

فهل تؤثر المعجزات في قلوب المنكرين؟ وما عاقبتهم في الدنيا والآخرة؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا (101) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (102) فَأَرَادَ أَن

﴿يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا ۝١٠٣ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ۝١٠٤﴾

[سورة الإسراء: 101 - 104]

الفهم

الشرح:

تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ : معجزات واضحات.

مَسْحُورًا : مغلوبا على عقلك، مخدوعا.

مَثْبُورًا : هالكا بانصرافك عن الحق والخير.

يَسْتَفِزَّهُم : يستخفهم ويخرجهم من ديار مصر.

لَفِيفًا : مختلطين من أحياء وقبائل شتى.

استخلاص مضامين الآيات:

1- بم كذب فرعون؟ ولماذا؟

2- من أهلك الله سبحانه في الآيات؟ ولمن مكن في أرضه؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: تكذيب فرعون بمعجزات موسى عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾، اتفق المتأولون والرواة أن الآيات

الخمس التي في سورة الأعراف هي من هذه التسع، وهي: الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم. واختلفوا في الأربع، فقال ابن عباس: هي يده ولسانه حين انحلت عقدته وعصاه والبحر. وقال محمد بن كعب القرطبي: هي البحر والعصا والطمسة والحجر، وقال: سألني عن ذلك عمر بن عبد العزيز فأخبرته، فقال لي: وما الطمسة؟ فقلت: دعا موسى وأمن هارون، فطمس الله أموالهم وردها حجارة. فقال عمر: وهل يكون الفقه إلا هكذا؟ ثم دعا بخريطة فيها غرائب كانت لعبد العزيز بن مروان (أبيه) جمعها بمصر، فاستخرج منها الجوزة والبيضة والعدسة وهي كلها حجر كانت من بقايا أموال آل فرعون. وقال الضحاك: هي إلقاء العصا مرتين واليد وعقدة لسانه. وقال عكرمة ومطر الوراق والشعبي: هي العصا واليد والسنون ونقص الثمرات. وقال الحسن: هي العصا في كونها ثعبانا وتلقف العصا ما يأفكون. وقال ابن عباس: هي السنون في بواديهم ونقص الثمرات في قراهم واليد والعصا. وروى مطرف عن مالك أنها: العصا واليد والجبل إذ نتق والبحر. وروى ابن وهب عنه مكان البحر الحجر.

والذي يلزم من الآية أن الله تعالى خص من آيات موسى التي تنيف على أربعة وعشرين تسعا بالذكر، ووصفها بالبيان ولم يعينها. وقد اختلف العلماء في تعيينها بحسب اجتهادهم في بيانها أو روايتهم التوقيف في ذلك.

وقالت فرقة: آيات موسى إنما أريد بها آيات التوراة التي هي أوامر ونواه. وروى في هذا صفوان بن عسال أن يهوديا من يهود المدينة قال لآخر: سر بنا إلى هذا النبي نسأله عن آيات موسى، فقال له الآخر: لا تقل: إنه نبي، فإنه لو سمعك صار له أربع أعين، قال: فسارا إلى رسول الله ﷺ فسألاه، فقال: "هن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تسرقوا، ولا تسحروا، ولا تمشوا ببريء إلى سلطان فيقتله، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا محصنة، ولا تفروا من الزحف، .. وعليكم اليهود خاصة ألا تعتدوا في السبت" [سنن الترمذي، أبواب التفسير، باب ومن سورة بني إسرائيل].

وقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾.

قرأ الجمهور ﴿فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وروي عن ابن كثير والكسائي " فسل " على لغة من قال سال

يسال. وهذا كله على معنى الأمر لمحمد ﷺ أي: اسأل معاصريك عما أعلمناك به من غيب هذه القصة. ثم قال: ﴿إِذْ جَآءَهُمْ﴾ يريد آباءهم، وأدخلهم في الضمير إذ هم منهم. ويحتمل أن يريد: فاسأل بني إسرائيل الأولين الذين جاءهم موسى، وتكون إحالته إياه على سؤالهم بطلب أخبارهم والنظر في أحوالهم وما في كتبهم، نحو قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ [الزخرف: 44]، وهذا كما تقول لمن تعظه: سل الأمم الخالية هل بقي منها مخلد؟ ونحو هذا مما يجعل النظر فيه مكان السؤال. قال الحسن: سؤالك نظرك في القرآن. وقرأ ابن عباس " فسأل بني إسرائيل " أي: فسأل موسى فرعون بني إسرائيل أي: طلبهم لينجيهم من العذاب.

وقوله: ﴿مَسْحُورًا﴾ اختلف فيه المتأولون، فقالت فرقة: هو مفعول على بابه، أي: إنك قد سحرت فكلامك مختل وما تأتي به غير مستقيم. وقال الطبري: هو مفعول بمعنى فاعل كما قال: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: 45]، وكما قالوا: مشؤوم وميمون، وإنما هو شايمٌ ويأمنٌ.

قال ابن عطية: وهذا لا يتخرج إلا على النسب، أي: ذا سحر ملكته وعلمته، فأنت تأتي بهذه الغرائب لذلك. وهذه مخاطبة تنقص، فيستقيم أن يكون مسحورا مفعولا على ظاهره. وعلى أن يكون بمعنى ساحر يعارضنا ما حكي عنهم أنهم قالوا له على جهة المدح: ﴿يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الزخرف: 48] فإما أن يكون القائلون هنالك ليس فيهم فرعون، وإما أن يكون فيهم لكنه تنقل من تنقصه إلى تعظيمه، وفي هذا نظر.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾، روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره أنه قرأ "علمت" بتاء المتكلم مضمومة، وهي قراءة الكسائي. قال علي رضي الله عنه: ما علم عدو الله قط، وإنما علم موسى. وتتقوى هذه القراءة لمن تأول ﴿مَسْحُورًا﴾ على بابه. فلما رماه فرعون بأنه قد سحر ففسد نظره وعقله وكلامه رد هو عليه بأنه يعلم آيات الله، وأنه ليس بمسحور، بل محرر لما يأتي به.

وقرأ الجمهور ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ بتاء المخاطب مفتوحة، فكأن موسى عليه السلام رماه بأنه يكفر عنادا. ومن قال بوقوع الكفر عنادا فله تعلق بهذه الآية، وجعلها كقوله عز وجل:

﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: 14]. وقد حكى الطبري ذلك عن ابن عباس، ونحا إلى ذلك الزجاج. وهي بعد معرضة للاحتمال على أن يكون قول موسى عليه السلام إبلاغا على فرعون في التوبيخ، أي: أنت بحال من يعلم هذا، وهي من الوضوح بحيث تعلمها، ولم يكن ذلك على جهة الخبر عن علم فرعون. ومن يريد من الآية وقوع الكفر عنادا فإنما يجعل هذا خبرا من موسى عن علم فرعون. والإشارة بـ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إلى التسع الآيات.

وقوله: ﴿بَصَآئِرَ﴾ جمع بصيرة وهي الطريقة، أي: طرائق يهتدى بها. وكذلك غلب على البصيرة أنها تستعمل في طريقة النفس في نظرها واعتقادها. ونصب "بصائر" على الحال. و"المثبور" المهلك، قاله مجاهد. وقال ابن عباس والضحاك: هو المغلوب. وقال ابن زيد: هو المخبول. وروي عن ابن عباس أنه فسره بالملعون.

وقال بعض العلماء: كان موسى عليه السلام في أول أمره يجزع، ويؤمر بالقول اللين، ويطلب الوزير، فلما تقوت نفسه بقوى النبوءة تجلد وقابل فرعون بأكثر مما أمر به بحسب اجتهاده الجائز له. قال ابن زيد: اجترأ موسى أن يقول له فوق ما أمره الله به. وقالت فرقة: بل المثبور المغلوب المختدع، وما كان موسى عليه السلام ليكون لعانا.

ثانيا: إهلاك الله تعالى لفرعون وتمكينه للمؤمنين من بني إسرائيل في الأرض:

وقوله عز وجل: ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا﴾، يستفزهم معناه: يستخفهم ويقلعهم إما بقتل أو بإجلاء. والأرض: أرض مصر. وقد تقدم أنه متى ذكرت الأرض عموما فإنما يراد بها ما يناسب القصة المتكلم فيها، وقد يحسن عمومها في بعض القصص.

قال ابن عطية: واقتضبت هذه الآية قصص بني إسرائيل، وإنما ذكرت عظم الأمر وخطيره، وذلك طرفاه: أراد فرعون غلبتهم وقتلهم، وهذا كان بدء الأمر، ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ﴾ أي: أغرقه الله وأغرق جنوده، وهذا كان نهاية الأمر.

ثم ذكر تعالى أمر بني إسرائيل بعد إغراق فرعون بسكنى أرض الشام، فقال سبحانه: ﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ ووعد

الآخرة: هو يوم القيامة. و﴿لَفِيفًا﴾ اللفيف: الجمع المختلط الذي قد لف بعضه إلى بعض، فليس ثم قبائل ولا انحياز. قال بعض اللغويين: هو من أسماء الجموع ولا واحد له من لفظه. وقال الطبري: هو بمعنى المصدر، كقول القائل: لففته لفا ولفيفا، وفي هذا نظر فتأمله.

ثالثا: مقاصد الآيات:

ترشد هذه الآيات إلى جملة من المقاصد التربوية، منها:

- تأييد الله سبحانه لموسى عليه السلام بالمعجزات الباهرة دلالة على صدق رسالته، وفي هذا رد على مشركي مكة الذين طالبوا رسول الله ﷺ بالمعجزات، وبيان بأنها لن تنفعهم كما لم تنفع فرعون وقومه.
- إنعام الله سبحانه على عبده موسى ومن تبعه من بني إسرائيل إذ أيده بالمعجزات الخارقة ونجاه وقومه من عدوهم، ومكن لهم في الأرض يتصرفون فيها كيفما يشاءون.

التقويم

1 – لماذا لم ينتفع فرعون وقومه بمعجزات موسى عليه السلام رغم عظمتها؟

2 – أستنتج من الآيات عاقبة عناد فرعون وقومه وطغيانهم.

3 – أبين أثر اختلاف القراءات في قوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ على معنى الآية.

4 – ما الغاية من ذكر قصة موسى وفرعون في معرض الحديث عن المشركين؟

الاستثمار

" اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ فِي الْقُرْآنِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِنْ مُعْجِزَاتِ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. أَحَدُهَا: أَنّ الله تَعَالَى أَزَالَ الْعُقْدَةَ مِنْ لِسَانِهِ، قِيلَ فِي التَّفْسِيرِ: ذَهَبَتِ الْعُجْمَةُ وَصَارَ فَصِيحًا. وَثَانِيهَا: انْقِلَابُ الْعَصَا حَيَّةً. وَثَالِثُهَا: تَلَقُّفُ الْحَيَّةِ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ مَعَ

كَثْرَتِها. وَرابِعُها: الْيَدُ الْبَيْضاءُ. وَخَمْسَةٌ أُخَرُ وَهِيَ: الطُّوفانُ وَالْجَرادُ وَالْقُمَّلُ وَالضَّفادِعُ وَالدَّمُ. وَالْعاشِرُ: شَقُّ الْبَحْرِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ [البقرة: 49] وَالْحادِيَ عَشَرَ: الْحَجَرُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ [الأعراف: 160]. الثّانِيَ عَشَرَ: إِظْلالُ الْجَبَلِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ [الأعراف: 171]. وَالثّالِثَ عَشَرَ: إِنْزالُ الْمَنِّ وَالسَّلْوى عَلَيْهِ وَعَلى قَوْمِهِ. وَالرّابِعَ عَشَرَ وَالْخامِسَ عَشَرَ: قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [الأعراف: 129].. وَالسّادِسَ عَشَرَ: الطَّمْسُ عَلى أَمْوالِهِمْ مِنَ النَّحْلِ وَالدَّقيقِ وَالْأَطْعِمَةِ وَالدَّراهِمِ وَالدَّنانيرِ ".

[مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي: 21 /414].

أتأمل النص وأجمع بين ما ورد فيه وبين قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ اعتمادا على قاعدة أصولية.

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: **105** – **108** من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

1 – أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ – وَبِالْحَقِّ نَزَلَ – وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ – عَلَىٰ مُكْثٍ – وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا – أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ – يَخِرُّونَ .

2 – ما الحكمة من تنويه الله عز وجل بالقرآن الكريم في هذه الآيات؟

3 – ما الذي يفيده الحصر في قوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾؟ وما فائدة تكرار هذا مع قوله سبحانه: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ﴾؟

الدرس 27

سورة الإسراء

﴿الآيات: 105 - 108﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف منزلة القرآن الكريم وصفة إنزاله.

2- أن أميز بين المشركين والصالحين من أهل الكتاب في تأثرهم بالقرآن الكريم.

3- أن أقتدي بالصالحين من أهل الكتاب في تأثرهم بالقرآن الكريم.

تمهيد

لما بين الله سبحانه في قوله: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن﴾ [الإسراء: 88] أن القرآن معجز صادق فيما يخبر به؛ نوه سبحانه بالقرآن الكريم وبين صفة نزوله، وذكر أن أهل الكتاب الذين يعظمهم المشركون آمنوا به وخشعوا عند سماعه.

فما المقصد من تنويه الله تعالى بالقرآن الكريم؟ وكيف يؤثر في خشوع القلب وتقويم السلوك؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا (105) وقرءانا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا (106) قل ءامنوا به أو لا تومنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا (107) ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا (108)﴾ [سورة الإسراء: 105 - 108]

الفهـم

الشرح:

وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ : بالحكمة الإلهية وبالواجب الذي هو المصلحة والسداد.

وَبِالْحَقِّ نَزَلَ : نزل القرآن بالحق في أوامره ونواهيه وأخباره.

وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ : أن نزلناه مفرقا منجما غير مجتمع.

عَلَىٰ مُكْثٍ :على مهل وتؤدة ليفهمه المستمع إليه.

وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا : شيئا بعد شيء على حسب المصالح.

أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ : مؤمنو أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

يَخِرُّونَ : الخرور: سقوط الجسم.

استخلاص مضامين الآيات:

1- بم نوه الله سبحانه في هذه الآيات؟

2- بماذا رد الله سبحانه على من أنكر القرآن الكريم؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: تنويه الله سبحانه بالقرآن الكريم وبيانه صفة إنزاله.

قوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾، الضمير في قوله: ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ عائد على القرآن المذكور في قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الإسراء: 89]، ويجوز أن يكون الكلام مستأنفا. وأشار بالضمير إلى القرآن على غير ذكر متقدم لشهرته.

والمقصود بقوله: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ﴾ بالواجب الذي هو المصلحة والسداد للناس بالحق في نفسه. وقوله: ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ يريد بالحق في أوامره ونواهيه وأخباره، فبهذا التأويل يكون تكرار اللفظ لمعنى غير الأول. وذهب الطبري إلى أنهما بمعنى واحد، أي: بأخباره وأوامره وبذلك نزل.

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ أي: وما أرسلناك أيها الرسول الكريم إلا مبشرا لمن أطاعنا بالثواب، ومنذرا لمن عصانا بالعقاب.

ثم بين تعالى الحكم التي أنزل القرآن من أجلها مفصلا ومنجما حسب الوقائع والأحداث، فقال سبحانه: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾. مذهب سيبويه أن نصب ﴿وَقُرْآنًا﴾ بفعل مضمر يفسره الظاهر بعد، أي: وفرقنا قرآنا. ويصح أن يكون معطوفا على الكاف في ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾ من حيث كان إرسال هذا وإنزال هذا لمعنى واحد. وقرأ الجمهور ﴿فَرَقْنَاهُ﴾ بتخفيف الراء، ومعناه: بيناه وأوضحناه وجعلناه فرقانا. وقرئ "فرقناه" بتشديد الراء. إلا أن في قراءة ابن مسعود وأبي "فرقناه عليك لتقرأه" أي: أنزلناه شيئا بعد شيء لا جملة واحدة. ويتناسق هذا المعنى مع قوله: ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾، وهذا كان مما أراد الله من نزوله بأسباب تقع في الأرض من أقوال وأفعال في أزمان محدودة معينة.

واختلف أهل العلم في مدة نزول القرآن، فقيل: في خمس وعشرين سنة. وقال ابن عباس: في ثلاث وعشرين سنة. وقال قتادة: في عشرين سنة. وهذا بحسب الخلاف في سن رسول الله ﷺ، وذلك أن الوحي بدأ وهو ابن أربعين، وتم بموته. وحكى الطبري عن الحسن البصري أنه قال: نزل القرآن في ثمان عشرة سنة.

وتأولت فرقة قوله عز وجل: ﴿عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ أي: على ترسل في التلاوة وهو الترتيل، وهذا قول مجاهد وابن عباس وابن جريج وابن زيد. والتأويل الآخر: على مكث وتطاول في المدة شيئا بعد شيء. وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ مبالغة وتأكيد بالمصدر للمعنى المتقدم ذكره.

ثانيا: تفاوت الناس في تأثرهم بالقرآن الكريم:

بعد تنويه الله سبحانه بالقرآن الكريم وبيان صفة نزوله، وضح تفاوت الناس في تصديقهم

بالقرآن الكريم وتأثرهم به، إذ عاند المشركون وكفروا به، وصدق به الصالحون من أهل الكتاب وتأثروا به. قال سبحانه: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ تحقير للكفار، وفي ضمنه ضرب من التوعد. والمعنى: إنكم لستم بحجة، فسواء علينا آمنتم أم كفرتم، وإنما ضرر ذلك على أنفسكم، وإنما الحجة أهل العلم من قبله، وهم بالصفة المذكورة. ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ اختلف الناس في المراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ فقالت فرقة: هم مؤمنو أهل الكتاب. وقالت فرقة: هم ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل ومن جرى مجراهما. وقيل: إن جماعة من أهل الكتاب جلسوا وهم على دينهم فتذاكروا أمر النبي ﷺ وما أنزل عليه وقرئ عليهم منه شيء فخشعوا وسبحوا لله وقالوا: هذا وقت نبوة المذكور في التوراة وهذه صفته ووعد الله به واقع لا محالة، وجنحوا إلى الإسلام هذا الجنوح، فنزلت الآية فيهم.

وقالت فرقة: المراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ محمد ﷺ. والضمير في ﴿قَبْلِهِۦٓ﴾ عائد على القرآن حسب الضمير في ﴿بِهِۦٓ﴾، ويبين ذلك قوله: ﴿إِذَا يُتْلَىٰ﴾. وقيل: الضميران لمحمد ﷺ، واستأنف ذكر القرآن في قوله: ﴿إِذَا يُتْلَىٰ﴾. وقوله: ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾ أي: لناحيتها، وهذا كما تقول: تساقط لليد والفم، أي: لناحيتهما. وعليهما قال ابن عباس: المعنى للوجوه. وقال الحسن: المعنى للحي. و"الأذقان": أسافل الوجوه حيث يجتمع اللحيان، وهي أقرب ما في رأس الإنسان إلى الأرض، لا سيما عند سجوده.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ و﴿إِن﴾ في قوله: ﴿إِن كَانَ﴾ هي عند سيبويه المخففة من الثقيلة، واللام بعدها لام التوكيد. وهي عند الفراء النافية، واللام بمعنى " إلا ". ويتوجه في هذه الآية معنى آخر وهو أن يكون قوله: ﴿ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ مخلصا للوعيد دون التحقير، والمعنى فسترون ما تجازون به، ثم ضرب لهم المثل على جهة التقريع بمن تقدم من أهل الكتاب. أي: إن الناس لم يكونوا كما أنتم في الكفر، بل الذين أوتوا التوراة والإنجيل والزبور والكتب المنزلة في الجملة إذا يتلى عليهم ما نزل عليهم خشعوا وآمنوا.

وقوله عز وجل: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ﴾ هذه مبالغة في صفتهم ومدح

لهم وحض لكل من ترسم بالعلم وحصل منه شيئا أن يجري إلى هذه الرتبة. وحكى الطبري عن التميمي أنه قال: إن من أوتي من العلم ما لم يبكه لخليق أن لا يكون أوتي علما ينفعه؛ لأن الله تعالى نعت العلماء، ثم تلا هذه الآية كلها.

ثالثا: مقاصد الآيات:

تهدف هذه الآيات إلى تحقيق مقاصد تربوية كثيرة، منها:

- تأكيد الله سبحانه على صدق القرآن الكريم وأنه الحق من عنده سبحانه في أخباره وأحكامه وشرائعه، ومصدق للرسول ﷺ في كل ما أتى به من عنده عز وجل.
- التنويه بأهمية القرآن الكريم وقيمته.
- بيان مهمة النبي ﷺ التي تنحصر في تبليغ رسالة ربه دون إلزام ولا إكراه.
- تقرير عدم حجية ما عليه المشركون من التردد في شأن القرآن الكريم في صدقه، ما دام الصالحون من أهل الكتاب وهم خير منهم وأعلم آمنوا به وصدقوه، وتأثروا به وخشعوا عند سماعه.
- إكرام الله تعالى وإنعامه على رسول الله ﷺ بالقرآن الكريم، حيث أنزله عليه منجما ومفرقا حسب الوقائع والأحداث؛ لتكون ألفاظه ومعانيه أثبت في نفوس المؤمنين.

التقويم

1 - ما المقصد من إيراد الله تعالى تنويهه بالقرآن الكريم في هذه الآيات؟

2 - ما الحكمة من إنزال الله سبحانه القرآن منجما ومفرقا؟

3 - ما الغاية من استشهاد الآيات بتصديق الصالحين من أهل الكتاب بالقرآن الكريم في معرض الرد على المشركين الذين كذبوا بآياته؟

4 - أبين الأسلوب البلاغي في قوله سبحانه: ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾ وأثره في معنى الآية.

الاستثمار

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴾ [مريم: 58]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: 22]

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: " اقْرَأْ عَلَيَّ ". قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: " فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي ". فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّى بَلَغْتُ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: 41] قَالَ: " أَمْسِكْ "، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ "

[صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ﴾].

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 – أستنتج المضمون المشترك بين النصوص.

2 – ما هو أثر القرآن الكريم في نفوس الخاشعين؟ وما دوره في تزكية النفوس وتهذيبها؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيتين: **109 - 110** من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ - ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ - ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾ - ﴿وَكَبِّرْهُ﴾.

2 - كيف أستدل على توحيد الله تعالى من خلال تعدد أسمائه الحسنى؟

3 - أستخرج ما في ﴿أَيًّا مَّا﴾ في قوله تعالى: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ من قواعد وتقديرات نحوية.

الدرس

28

سورة الإسراء

﴿الآيتان: 109 - 110﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف أن تعدد أسماء الله الحسنى لا تنافي وحدانيته.

2- أن أستنتج من الآيتين منهاج الوسطية والاعتدال.

3- أن أستحضر نعم الله علينا فأحمده عليها.

تمهيـــد

بعد أن أثبت الله سبحانه إعجاز القرآن الكريم للعالمين؛ بين سبحانه في هاتين الآيتين أن له الأسماء الحسنى، وأنه لم يتخذ ولدا ردا على من ادعى أن الرسول ﷺ يشرك بالله تعالى حينما يدعوه بأسمائه الحسنى، ثم وجه سبحانه نبيه ﷺ إلى التوسط في الصلاة بين الجهر والإسرار، وأن يحمد الله تعالى الواحد الأحد الذي لم يتخذ والدا ولا ولدا.

فما هي مبادئ التوحيد التي تضمنتها الآيتان؟ وكيف أستفيد من توجيهات الله سبحانه لنبيه ﷺ؟

الآيـــات

قال الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (109) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (110)﴾

[سورة الإسراء:109 - 110]

الفهـم

الشرح :

ٱلْحُسْنَىٰ : مؤنث الأحسن الذي هو أفعل تفضيل.

وَلَا تُخَافِتْ بِهَا : ولا تخفض صوتك حتى لا يسمعك من خلفك في الصلاة.

وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ : لم يكن له ناصر من أجل العجز والافتقار.

وَكَبِّرْهُ : اعتقد أنه كبير.

استخلاص مضامين الآيات:

1- هل تعدد أسماء الله الحسنى ينافي وحدانيته؟

2- ما هو توجيه الله تعالى لرسوله ﷺ الوارد في الآيتين؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: دعاء الله سبحانه بالأسماء الحسنى لا ينافي وحدانيته:

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾، سبب نزول هذه الآية أن المشركين سمعوا رسول الله ﷺ يدعو: " ياالله يا رحمن "، فقالوا: كان محمد أمرنا بدعاء إله واحد وهو يدعو إلهين، قاله ابن عباس.

وقال مكحول: تهجد رسول الله ﷺ ليلة فقال في دعائه: "يارحمن يارحيم"، فسمعه رجل من المشركين، وكان باليمامة رجل يسمى الرحمن، فقال ذلك السامع: ما بال محمد يدعو رحمن اليمامة، فنزلت مبينة أنها لمسمى واحد، فإن دعوتموه بالله فهو ذلك، وإن دعوتموه بالرحمن فهو ذلك.

" والدعاء في قوله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ﴾ بمعنى التسمية وهو يتعدى إلى مفعولين حذف أولهما استغناء عنه، و﴿أَوِ﴾ للتخيير". [أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: 3 /270] "و(أي) اسم استفهام في الأصل، فإذا اقترنت بها (ما) الزائدة أفادت الشرط كما تفيده كيف إذا اقترنت بها (ما) الزائدة؛ ولذلك جزم الفعل بعدها وهو " تدعوا " شرطا، وجيء لها بجواب مقترن بالفاء وهو ﴿فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾" [التحرير والتنوير لابن عاشور: 15 /236]. "والتنوين في ﴿أَيّٗا﴾ عوض عن المضاف إليه، و﴿مَّا﴾ صلة لتأكيد ما في ﴿أَيّٗا﴾ من الإبهام، والتقدير: أي هذين الاسمين سميتم وذكرتم فلله الأسماء الحسنى. والضمير في ﴿فَلَهُ﴾ ليس براجع إلى أحد الاسمين المذكورين ولكن إلى مسماهما وهو ذاته عز وعلا، والمعنى: أيا ما تدعوا فهو حسن، فوضع موضعه قوله: فله الأسماء الحسنى؛ لأنه إذا حسنت أسماؤه فقد حسن هذان الاسمان لأنه منها "

[مفاتيح الغيب للرازي: 21 /418].

ثانيا: التوسط والاعتدال في الصلاة:

ثم أمر رسول الله ﷺ أن لا يرفع صوته بصلاته وأن لا يسر بها، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا﴾ وحقيقة الإسرار هو الذي لا يسمعه المتكلم به، ولكنه في الآية عبارة عن خفض الصوت وإن لم ينته إلى ما ذكرناه.

واختلف المتأولون في الصلاة ما هي؟ فقال ابن عباس وعائشة وجماعة: هي الدعاء. وقال ابن عباس أيضا: هي قراءة القرآن في الصلاة. فهذا على حذف مضاف، التقدير: ولا تجهر بقراءة صلاتك. قال: والسبب أن رسول الله ﷺ جهر بالقرآن فسمعه المشركون فسبوا القرآن ومن أنزله، فأمر رسول الله ﷺ بالوسط؛ ليسمع أصحابه المصلون معه، ويذهب عنه أذى المشركين.

قال ابن سيرين: كان الأعراب يجهرون بتشهدهم، فنزلت الآية في ذلك. وكان أبو بكر رضي الله عنه يسر قراءته، وكان عمر يجهر بها، فقيل لهما في ذلك، فقال أبو بكر: إنما أناجي ربي

وهو يعلم حاجتي، وقال عمر: أنا أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان، فلما نزلت هذه الآية قيل لأبي بكر: ارفع أنت قليلا، وقيل لعمر: اخفض أنت قليلا.

وقالت عائشة أيضا: "الصلاة" يراد بها في هذه الآية التشهد. وقال ابن عباس والحسن: المراد والمعنى: ولا تحسن صلاتك في الجهر ولا تسئها في السر، بل اتبع طريقا وسطا يكون دائما في كل حالة. وقال ابن زيد: معنى الآية النهي عما يفعله أهل الإنجيل والتوراة من رفع الصوت أحيانا فيرفع الناس معه، ويخفض أحيانا فيسكت من خلفه. وقال ابن عباس في الآية: إن معناها ولا تجهر بصلاة النهار ولا تخافت بصلاة الليل، واتبع سبيلا من امتثال الأمر كما رسم لك، ذكره يحيى بن سلام والزهراوي. وقال عبد الله بن مسعود: لم يخافت من أسمع أذنيه. وما روي من أنه قيل لأبي بكر: ارفع أنت قليلا يرد هذا. ولكن الذي قال ابن مسعود هو أصل اللغة، ويستعمل الخفوت بعد ذلك في أرفع من ذلك.

ولما نهى الله سبحانه نبيه ﷺ عن الجهر بالدعاء أو قراءة الصلاة، أعقب ذلك بأمره بحمده سبحانه وإظهار توحيده عز وجل لدفع أوهام المشركين في اعتقادهم، فقال سبحانه: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ ردت هذه الآية على اليهود والنصارى والعرب في قولهم أفذاذا: عزير وعيسى والملائكة ذرية لله، سبحانه وتعالى عن أقوالهم.

ثم رد الله سبحانه على العرب في قولهم: لولا أولياء الله لذل، فقال سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾. وقيد لفظ الآية نفي الولاية لله عز وجل بطريق الذل وعلى جهة الانتصار، إذ ولايته موجودة بتفضله ورحمته لمن والى من صالحي عباده.

قال مجاهد: المعنى لم يحالف أحدا ولا ابتغى نصر أحد، وقوله: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ أبلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم والإجلال. ثم أكدها بالمصدر تحقيقا لها وإبلاغا في معناها. وسميت هذه الآية: آية العز.

وروى مطرف عن عبد الله بن كعب قال: افتتحت التوراة بفاتحة سورة الأنعام وختمت بخاتمة هذه السورة.

ثالثا: مقاصد الآيات:

تهدف هذه الآيات إلى تحقيق مقاصد كثيرة، منها:

- تأكيد الله سبحانه وتعالى على وحدانيته وإن تعددت أسماؤه الحسنى التي منها الرحمن والرحيم. فتعددها لا يدل على تعدد الآلهة كما فهم المشركون خطأً.
- نفي الولد والشريك عن الله سبحانه، ونفي احتياجه عز وجل للنصير والمعين.
- بيان الله سبحانه نعمه وفضله على رسوله ﷺ وعلى أمته من خلال إرشاده تعالى إلى وسيلة دعائه والتقرب إليه؛ إذ بين سبحانه أنه يستجيب دعاء عباده بأي اسم دعوه سواء باسم الرحمن أو الرحيم أو بأي اسم من أسمائه الحسنى.
- توجيه الله تعالى رسوله ﷺ إلى الوسطية في الصلاة وبحمده سبحانه الواحد العزيز.

التقويم

1 – كيف رد الله سبحانه وتعالى على شبه المشركين المتعلقة باسمه "الرحمن"؟

2 – أستنتج من الآيات مبدأ الوسطية والاعتدال من خلال توجيه الله سبحانه لرسوله ﷺ.

3 – ما هي الآية التي سميت بآية العز؟ وما المقصد من تسميتها بذلك؟

الاستثمار

يقول فخر الدين الرازي رحمه الله عند تفسير قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180]: "ثُمَّ إِنَّ لِتِلْكَ الدَّعْوَةِ شَرَائِطَ كَثِيرَةً...، وَأَحْسَنُ مَا فِيهِ أَنْ يَكُونَ مُسْتَحْضِرًا لِأَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا: عِزَّةُ الربوبية. والثانية: ذلة العبودية. فَهُنَاكَ يَحْسُنُ ذَلِكَ الدُّعَاءُ، وَيَعْظُمُ مَوْقِعُ ذَلِكَ الذِّكْرِ، فَأَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ كَانَ قَلِيلَ الْفَائِدَةِ. وَأَنَا أَذْكُرُ لِهَذَا الْمَعْنَى مِثَالًا، وَهُوَ أَنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ فِي تَحْرِيمَةِ صَلَاتِهِ: اللهُ أَكْبَرُ، فَإِنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَسْتَحْضِرَ فِي النِّيَّةِ جميع ما أمكنه من معرفة مِنْ آثَارِ حِكْمَةِ الله تَعَالَى فِي تَخْلِيقِ نَفْسِهِ وَبَدَنِهِ وَقُوَاهُ الْعَقْلِيَّةِ وَالْحِسِّيَّةِ أَوِ الْحَرَكِيَّةِ، ثُمَّ يَتَعَدَّى مِنْ نَفْسِهِ إِلَى اسْتِحْضَارِ آثَارِ حِكْمَةِ الله فِي تَخْلِيقِ جَمِيعِ النَّاسِ وَجَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ وَجَمِيعِ أَصْنَافِ النَّبَاتِ وَالْمَعَادِنِ وَالْآثَارِ الْعُلْوِيَّةِ مِنَ الرَّعْدِ وَالْبَرْقِ وَالصَّوَاعِقِ الَّتِي تُوجَدُ فِي كُلِّ أَطْرَافِ الْعَالَمِ. ثُمَّ يَسْتَحْضِرُ آثَارَ قُدْرَةِ الله تَعَالَى فِي تَخْلِيقِ الْأَرْضِينَ وَالْجِبَالِ وَالْبِحَارِ وَالْمَفَاوِزِ. ثُمَّ يَسْتَحْضِرُ آثَارَ قُدْرَةِ الله تَعَالَى فِي تَخْلِيقِ طَبَقَاتِ الْعَنَاصِرِ السُّفْلِيَّةِ وَالْعُلْوِيَّةِ. ثُمَّ يَسْتَحْضِرُ آثَارَ قُدْرَةِ الله تعالى في تخليق أطباق السموات عَلَى سَعَتِهَا وَعِظَمِهَا وَفِي تَخْلِيقِ أَجْرَامِ النَّيِّرَاتِ مِنَ الثَّوَابِتِ وَالسَّيَّارَاتِ. ثُمَّ يَسْتَحْضِرُ آثَارَ قُدْرَةِ الله تَعَالَى فِي تَخْلِيقِ الْكُرْسِيِّ وَسِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. ثُمَّ يَسْتَحْضِرُ آثَارَ قُدْرَتِهِ فِي تَخْلِيقِ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الْمُحِيطِ بِكُلِّ هَذِهِ الْمَوْجُودَاتِ. ثُمَّ يَسْتَحْضِرُ آثَارَ قُدْرَتِهِ فِي تَخْلِيقِ الْمَلَائِكَةِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ وَجُنُودِ عَالَمِ الرُّوحَانِيَّاتِ. فَلَا يَزَالُ يَسْتَحْضِرُ مِنْ هَذِهِ الدَّرَجَاتِ وَالْمَرَاتِبِ أَقْصَى مَا يَصِلُ إِلَيْهِ فَهْمُهُ وَعَقْلُهُ وَذِكْرُهُ وَخَاطِرُهُ وَخَيَالُهُ. ثُمَّ عِنْدَ اسْتِحْضَارِ جَمِيعِ هَذِهِ الرُّوحَانِيَّاتِ وَالْجِسْمَانِيَّاتِ عَلَى تَفَاوُتِ دَرَجَاتِهَا وَتَبَايُنِ مَنَازِلِهَا وَمَرَاتِبِهَا، وَيَقُولُ: اللهُ أَكْبَرُ، وَيُشِيرُ بِقَوْلِهِ: "الله" إِلَى الْمَوْجُودِ الَّذِي خَلَقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ وَأَخْرَجَهَا مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ، وَرَتَّبَهَا بِمَا لَهَا مِنَ الصِّفَاتِ وَالنُّعُوتِ، وَبِقَوْلِهِ: أَكْبَرُ، أَيْ: أَنَّهُ لَا يُشْبِهُ لِكِبْرِيَائِهِ وَجَبَرُوتِهِ

وَعِزِّهِ وَعُلُوِّهِ وَصَمَدِيَّتِهِ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ، بَلْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ. فَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا الْمِثَالَ الْوَاحِدَ فَقِسِ الذِّكْرَ الْحَاصِلَ مَعَ الْعِرْفَانِ والشعور. وعند هذا يَنْفَتِحُ عَلَى عَقْلِكَ نَسَمَةٌ مِنَ الْأَسْرَارِ الْمُودَعَةِ تَحْتَ قَوْلِهِ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾".

[مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي: 15 /415]

1 – كيف يؤثر الدعاء بأسماء الله الحسنى في تقويم السلوك واستقامة الإنسان؟

2 – أبين شروط التأثر بأسماء الله الحسنى.

فهرس الأعلام

الأعلام	ترجمتهم
ابن عطية	عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن عبد الله بن تمام بن عطية، أبو محمد المحاربي الغرناطي المالكي الأندلسي، الفقيه المفسر، تلقى العلم من مشايخ الأندلس، ومنهم: أبوه أبو بكر غالب وأبو علي الغساني. له تآليف كثيرة منها: " المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، توفي سنة 542هـ.
ابن جرير الطبرى	محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري، الفقيه المفسر المؤرخ. امتنع عن القضاء وولاية المظالم. من أشهر مؤلفاته: "جامع البيان فى تفسير القرآن" و"اختلاف الفقهاء" و"أخبار الرسل والملوك"، ويعرف بتاريخ الطبرى. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفى بها سنة 310 هـ.
ابن عاشور	محمد الطاهر بن عاشور التونسي، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. له مؤلفات كثيرة، من أشهرها "مقاصد الشريعة الإسلامية" و"التحرير والتنوير في تفسير القرآن"، وغيرها من المؤلفات. توفي رحمه الله سنة 1393 هـ.
ابن عباس	عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، الصحابي الجليل حبر الأمة، ولد بمكة، ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله ﷺ، وروى

الأعلام	ترجمتهم
	عنه أحاديث كثيرة، حيث بلغت في الصحيحين وغيرهما نحو 1660 حديثا. سكن الطائف، وكف بصره في آخر عمره. وتوفي بها سنة 68 هـ.
ابن عجيبة	أحمد بن محمد بن المهدى بن الحسين بن محمد المعروف بابن عجيبة والمكنى بأبي عباس، الإمام المفسر. من مؤلفاته: "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد"، و"حاشية على مختصر خليل"، و"حاشية على الجامع الصغير" للسيوطي وغيرها، توفي رحمه الله سنة 1224هـ
ابن كثير	إسماعيل بن عمر بن كثير، عماد الدين أبو الفداء الدمشقي الشافعي، الإمام الحافظ المحدث المؤرخ. من مؤلفاته: " تفسير القرآن العظيم " و" الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث" وغيرها، توفي رحمه الله سنة 774 هـ.
أبو بكر ابن العربي	محمد بن عبد الله بن محمد، أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي، من حفاظ الحديث. برع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. صنف كتبا في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ. منها: "العواصم من القواصم" و"عارضة الأحوذي في شرح الترمذي" و"أحكام القرآن"، و"القبس في شرح موطأ ابن أنس". ولد في إشبيلية، وولي فيها القضاء، ورحل إلى المشرق، ومات بقرب فاس، ودفن بها عام 543 هـ .
أبو حيان	محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي الجياني النفزي، أثير الدين أبو حيان. من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث

الأعلام	ترجمتهم
	والتراجم واللغات. من أشهر كتبه: البحر المحيط في تفسير القرآن، ولد في غرناطة، ورحل إلى مالقة. ثم أقام بالقاهرة. وتوفي فيها عام: **745** هـ.
الألوسي	محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء، مفسر ومحدث وأديب، تقلد الإفتاء ببلده سنة **1248** هـ وعزل، فانقطع للعلم، من كتبه: " روح المعاني في التفسير". ولد ببغداد وتوفي بها سنة **1270** هـ .
أم المؤمنين عائشة	أم عبد الله عائشة بنت أبى بكر الصديق صاحب رسول الله ﷺ، أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب، تزوجها النبي ﷺ قبل الهجرة وبنى بها في السنة الثانية بعد الهجرة، وكانت أكثر أزواجه رواية للحديث عنه ﷺ، توفيت سنة **58** هـ.
البصري	الحسن بن يسار البصري، تابعي، كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك، ولد بالمدينة، وشب في كنف علي بن أبي طالب، توفي بالبصرة سنة: **110**هـ.
الثعلبي	أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق الثعلبي، من أهل نيسابور مؤرخ ومفسر، من كتبه: "عرائس المجالس في قصص الأنبياء"، و"الكشف والبيان في تفسير القرآن" المعروف بتفسير الثعلبي، توفي سنة **427** هـ.
الزمخشري	أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري جار الله، كان إماما في التفسير والنحو واللغة والأدب، ألف كتبا كثيرة أهمها تفسيره المشهور: "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل". توفي سنة **538** هـ.

الأعلام	ترجمتهم
الضحاك	أبو القاسم الضحاك بن مزاحم الهلالي، له باع كبير في التفسير والقصص، روي عنه أنه قال: "حق على من تعلم القرآن أن يكون فقيها" توفي سنة 202هـ.
فخر الدين الرازي	محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله فخر الدين الرازي الإمام المفسر. ولد في الري وإليها نسبته، ويقال له: ابن خطيب الري، ورحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان. أوحد زمانه في المعقول والمنقول. من أشهر كتبه: "التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب" و"المحصول في علم الأصول"، وتوفي في هراة. 606 هـ .
قتادة	هو: قتادة بن دعامة السدوسي، قدوة المفسرين والمحدثين، روى عن عبد الله بن سرجس، وأنس بن مالك، وأبي الطفيل الكناني، وسعيد بن المسيب، توفي سنة 118هـ.
القرطبي	أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المفسر، من أهم مؤلفاته كتاب "الجامع لأحكام القرآن" وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعا. توفي رحمه الله سنة 671 هـ.
مالك بن أنس	مالك بن أنس، أبو عبد الله المدني، إمام دار الهجرة. انتشر مذهبه بالحجاز والبصرة وما والاها وبإفريقية والمغرب والأندلس ومصر، وأتباعه كثيرون جدا ولد سنة 93 هـ وتوفي سنة 179هـ.

الأعلام	ترجمتهم
مجاهد	مجاهد بن جبر، شيخ القراء والمفسرين، روى عن ابن عباس وأبي هريرة وعائشة وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمرو ورافع بن خديج وجابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري وغيرهم. توفي سنة **104**هـ.
المراغي	أحمد بن مصطفى المراغي، مفسر مصري، تخرج بدار العلوم سنة **1909**م، ثم كان مدرس الشريعة الإسلامية بها. من مؤلفاته: "تفسير المراغي"، و"الحسبة في الإسلام"، و"الوجيز في أصول الفقه"، و"علوم البلاغة"، توفي بالقاهرة سنة **1371** هـ.

فهرس المصادر والمراجع

ر.ت	المصادر والمراجع
1	القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع الطبعة الصادرة عن مؤسسة محمد السادس لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الثالثة 2012.
2	أحكام القرآن: للقاضي محمد بن عبد الله أبي بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1424 هـ، 2003 م.
3	الأعلام: لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، 2002م.
4	البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، طبعة 1420هـ.
5	البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الطبعة: 1419هـ.

ر.ت	المصادر والمراجع
6	تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: المشهور بـ "التحرير والتنوير" لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس 1984 هـ.
7	التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى ، 1416 هـ.
8	تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1420هـ ، 1999 م.
9	تفسير القران العظيم: لمحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي، ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ) تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، 1419 هـ.
10	جامع البيان في تأويل القرآن: لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420 هـ ، 2000 م.
11	الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله r وسننه وأيامه: المعروف بـ "صحيح البخاري"، لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، (المتوفى: 256هـ) تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

ر.ت	المصادر والمراجع
12	الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ.
13	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ) ، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ.
14	سنن ابن ماجه: لابن ماجه أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
15	سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، 1430 هـ، 2009م.
16	سنن الترمذي: لمحمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ).

ر.ت	المصادر والمراجع
17	السيرة النبوية لابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، 1375هـ ، 1955م.
18	شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى، 1423هـ ، 2003م.
19	صفوة التفاسير: لمحمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 1417 هـ.
20	الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عُمر بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1407 هـ.
21	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ
22	المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
23	المعجم الأوسط، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد , عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة.

ر.ت	المصادر والمراجع
24	مفاتيح الغيب ويسمى التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ابن خطيب الري (المتوفى: 606هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثالثة - 1420 هـ
25	الموافقات في أصول الشريعة للإمام الشاطبي المتوفى سنة 790هـ. تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1417هـ، 1997م.
26	الموطأ، للإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ)، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1406 هـ - 1985 م.

فهرس الموضوعات